

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر 02

العوامل البيئية وأثرها على العمارة وال عمران

في منطقة تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست
دراسة أثرية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

إعداد الطالب

محمد مزراق

تحت إشراف

أ.د/عبد الكريم مزروق

نوقشت يوم 28 أبريل 2018 أمام لجنة المناقشة مكونة من:

- د. عقاب محمد الطيب رئيساً معهد الآثار (الجزائر)
أ.د. مزروق عبد الكريم مشرفاً ومقرراً معهد الآثار (الجزائر)
د.ة حنفي عائشة عضواً معهد الآثار (الجزائر)
د.ة تيمليكشت هبيرة عضواً معهد الآثار (الجزائر)
د. موشموش محمد عضواً جامعة محمد بوضياف (المسيلة)

السنة الجامعية 2017 - 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وبارك في عمرهما
إلى زوجتي وبنائي.. زهرة... يمينة. بدر الدين. احمد عبد الغني. عبد
اللطيف. مروة..

إلى كافة أفراد أسرتي الكريمة بكل تفرعاتها
إلى جميع أساتذتي الكرام عبر مساري التعليمي الذين أضاءوا طريقي
بالعلوم والمعارف

إلى استاذي الفاضل.. الاستاذ الدكتور عبد الكريم عزوق الذي تشرفت
بقبوله الاشراف وبرعاية هذا العمل المتواضع.
....إلى كل محبي العلم والمعرفة أهدي هذا العمل المتواضع....

كلمة شكر وتقدير

اتقدم بشكري الجزيل وعرفاني العميق إلى استاذي الفاضل أ.د عبد الكريم عزوق على مجهوداته الطيبة رغم ثقل مسؤولياته الكبيرة... لقد كان لي معلما وأستاذا فعلمني مما فتح الله عليه من العلوم منذ التحاقني بالجامعة..وكان لي الاخ الاكبر والصديق الناصح فتابعني وشجعني وأرشدني في سبيل عملي وفي سبيل كسب العلوم والاستزادة منها والإسهام فيها... اقول لأستاذي ومعلمي شكرا على قدمته لي من اجل الاسهام في تبليغ رسالة العلم. وفي هذا المجال لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير غير المتناهيين إلى أساتذتي الافاضل والرفقة الطيبة من الزملاء والاصدقاء على توجيهاتهم وتشجيعاتهم لي... وإلى من ساندني وساعدني في تقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح هذا العمل المتواضع. ومنهم أخص بالذكر:

د. محمد الطيب عقاب ، د. عز الدين بويحيوي، دة. خيرة بن بلة، دة. صادق رحمة ، د. نور الدين بن عبد الله ،د.عبد النبي زندري، أ. الشقة عبد الله ، أ.لمغربي محمد الصالح ، بويطاون نعيمة، الغايزي خديجة ،الطالب باعبو عبد القادر بن عبد الله ، مشايخ الزوايا بالإقليم.

مصالح البلدية ومسح الأراضي ببلدية عين صالح، مصالح ولاية تمنراست، مصالح الديوان الوطني للحظيرة الثقافية للأهقار، مصالح مديرية الشؤون الدينية والاقواف لولاية تمنراست. فشكراً مرة ثانية غير متناهية للجميع اسال الله أن يجعل عونهم لي في ميزان الحسنات.

ملخص الأطروحة

تسعى دراسة هذا الموضوع بعنوان العوامل البيئية واثرها على العمارة والعمران في منطقة تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست إلى طرح اشكالية عميقة تتمحور حول تأثيرات العوامل البيئية على البناء التقليدي بقصور تيديكلت الشرقية. والتي انعكست في تشكيل العمارة والعمران المحلي وتصميم المخططات وتوجيه المباني. و لمعرفة ذلك تطلب الموضوع الوقوف على مفاهيم البيئة واقسامها و التعريف بالمنشآت المعمارية حسب الخصوصية بالإقليم ووصف اهم النماذج للتوضيح ، و الوقوف والحديث على اهم العوامل البيئية التي اثرت في التشكيل المعماري وما هي الحلول والمعالجات التي تحقق الراحة الحرارية للإنسان وباقي الأحياء في المنطقة .

الكلمات المفتاحية: البيئة ، تيديكلت ، عين صالح ، اقسطن ، قسبة ، العمران.

مقدمة

مقدمة:

التعريف بالموضوع:

يعتبر موضوع البيئة من المواضيع التي حظيت باهتمام كبير في الساحة العلمية ، فنالت نقاشات وأبحاث جادة في مختلف المجالات والتخصصات وذلك بغرض التوصل إلى مفهوم شامل يحدد معناها ودورها في الحياة الكونية بالسلب أو الإيجاب ، و لا يمكن فصل هذا الدور عن حياة الناس وعن المجالات المختلفة للحياة في كل زمان ومكان، فتقرض ظروف البيئة في هذا المقام واقعها في رسم منهج الحياة الذي تسلكه الكائنات الحية والجماد وفي مقدمة ذلك الإنسان.

ويكون الإنسان أمام هذا الواقع مطالب بحتمية التفاعل مع ظروف البيئة المحيطة به وهو الأمر الذي ينطبق كذلك على الجماد الموجود من حوله ومنه العمائر، ويتضح هذا الواقع من خلال المباني المختلفة التي ظلت شامخة لمدد من السنين في مختلف بقاع العالم، ومن أمثلتها النماذج الباقية في إقليم تيديكلت الشرقية.

وتعد المباني القديمة بالمنطقة من بين المخلفات الأثرية التي تأقلمت واستجابت مع ظروف المنطقة المناخية والطبيعية

وتتمثل أشهر منشآت العمارة والتعمير في تشييد القصور الصحراوية والقصبات والمباني الدينية والجنائزية وعمران السقي والريوفلح الارض ومباني تخص التجارة والاقتصاد. وقد بنيت كل هذه النماذج المعمارية في كافة الواحات والقصور المنتشرة في المنطقة من مواد بناء محلية حيث أن هذه المواد المستغلة كانت هي الأوفر والأنسب مع ظروف هذه البيئة الصحراوية ولعل هذا ما جعل الإنسان يختارها لإنجاز عمائره من خلال تجربته مع دواعي الحياة.

فتعتبر النماذج العمرانية للمنشآت بهذا الإقليم احد الشواهد الحية الباقية التي تدل على تكيفها مع العوامل المختلفة للبيئة المحلية على سطح الأرض من رياح وحرارة وبرودة ومياه وغيرها من العوامل التي كانت لها تأثيرات مختلفة على العمائر وتصميماتها وتنفيذ مخططاتها.

وكان الأسلوب التقليدي في تصميم العمارة المحلية متواصلًا في مثل هذه المواطن الصحراوية وظل العمل به متبعا إلى زمن متأخر تماشيا مع إفرزات دواعي البيئة المحلية

إلى أن تغيرت بعض المعطيات البيئية حيث اجبر الإنسان على تغيير أسلوب وطريقة البناء كله ومادة صناعته وهو ما كان له أثر سلبي في تلاعب المباني مع ظروف البيئة المحلية على عكس اجتهاد الإنسان في الفترة السابقة وهذا ما جعلني بالذات أبحث عن تفسيرات لبقاء مباني شامخة بنيت من مواد انشائية هشة لمدد من السنين قياسا مع مباني متأخرة صنعت من مواد صلبة في وسط بيئة صحراوية لها مميزاتها وشروطها الخاصة، وقد رأيت مضمون الإجابة حسب نظري هو أن اختار الوسط البيئي لإقليم تيديكلت الشرقية موضوعا للدراسة لإيجاد تفسيرات لذلك.

فقد تمكن الانسان أن يعيش في هذه المنطقة قديما وتفاعل مع ظروف بيئتها حيث خلف آثار هامة تعود إلى مختلف المراحل التاريخية ومنها معالم الآثار الاسلامية التي ما زالت تشهد على ماضي الانسان بهذه المنطقة الصحراوية.

وتتوفر تيديكلت الشرقية ايضا على زخم كبير من المواد الإنشائية الخام التي ساهمت في عمران المنطقة عبر السنين وهي اليوم نشهد العزوف عنها من قبل الانسان الذي لجأ إلى ادخال مواد انشائية غريبة وغير متوافقة مع المناخ الصحراوي.

ويعتبر المناخ السائد ايضا ذو أثر هام في تفريغ الكتل المعمارية واستقرار الانسان حسب الدواعي، واليوم باتت فيه أغلب المنشآت المعمارية تستدعى وسائل اضافية حتى يستطيع الانسان ان يعيش بأريحية تحت ظلالها.

ويندرج في هذا السياق الموضوع الذي بين أيدينا وهو محاولة منا للتعريف بعمارة وعمران إقليم تيديكلت الشرقية من خلال تداعيات الظروف البيئية المختلفة التي أدت إلى إفراز أنماط وأشكال عمرانية خاصة

أسباب اختيار الموضوع:

يكتسي موضوعنا هذا أهمية خاصة نظرا لقلة الدراسات الأثرية المتخصصة في الدراسات الصحراوية ولا سيما في مجال البيئة بالذات وعلاقتها بالعمارة والتعمير المحليين وهذا راجع إلى غياب الأثرين في ربوع انتشار مثل هذه الموجودات الأثرية في الميدان، رغم اهتمام الدولة المتواصل ورعايتها للتراث الثقافي والتاريخي وتثمينه.

و لذا استوقفني الأمر أمام هذا الواقع المرير وتطلب مني التدخل والمتابعة الميدانية بالتحري والملاحظة والاستفسار من اجل الوقوف على حيثيات الموضوع لإيجاد الأجوبة عن التساؤلات المطروحة في دائرة علم الآثار وفي واقع الحياة الاجتماعية.

ولما كانت عمارة المباني عموما وطريقة تشييدها خصوصا تعتبر منذ القدم من المقومات الأساسية التي تحدد الهوية الثقافية والمعمارية للمجتمعات كان لزاما علينا أن نصنفها ضمن المكاسب التاريخية والفنية الأثرية للحضارة الإنسانية أجمع فقد بات لزاما علينا أن نبسط الموضوع من بدايته إلى نهايته من أجل التوصل إلى طموحات فكر الإنسان المحلي وهو يكابد قسوة الطبيعة في هذه المنطقة الصحراوية.

وأن ما يلاحظ اليوم على المباني التقليدية في الصحراء عموما وفي إقليم تيديكلت خصوصا أنها صارت في حالة اندثار تدريجي بسبب أثر عاديات الزمن عليها بعدما قضت سنينا طويلة كما سلف أن أشرنا إليه سابقا وهي تقاوم اثر العوامل البيئية .

إن هذا الواقع الذي تمر به المباني القديمة بالمنطقة من جراء العوامل السالفة الذكر، كان له أثر كبير في الإساءة إلى هذه الآثار ومن ناحية أخرى نرى أنه قد استهدف لنا مضامين لفنون وطرز معمارية محلية لا يمكن إن نستردها إذا افتقدناها في غياب الحفظ والصيانة والترميم والمراقبة المستمرة.

وعليه اصبح من الواجب علينا المحافظة على الطابع المحلي للتراث الأثري والمعماري لمجتمعنا وأمتنا، ويمكن أن نحقق ذلك بجرد الموجودات ودراستها وتثمينها.

وعموما كان اختياري للموضوع مبني على عدة أسباب منها:

1- ندرة الدراسات الأثرية: التي تتناول مثل هذه المواضيع ومنها تأثير البيئة على تخطيط ومخططات العمارة والتعمير المحليين مثل ما هو الشأن في هذا الإقليم، على أساس أن أغلب الدراسات التي قام بها بعض القادة العسكريين او بعثاتهم الاستكشافية للفيافي الصحراوية أغلبها عبارة عن دراسة وصفية للجانب الطبوغرافي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة ولم ترق إلى معالجة البحوث العلمية.

2- الأهمية التاريخية والأثرية لعمران هذه المنطقة إذ تعتبر قديمة من حيث النشأة وآثار ذلك ما زال باق وشاهد على تعاقب السنين، ويتمثل ذلك في

- تخطيط ومخططات العمائر التي جاءت بشكل معماري وفني فريد يستدعي الانتباه والوقوف عليه بغرض الدراسة والتحليل.
- 3- إن موضوع العمارة والتعمير مهم من وجهة نظر اجتماعية اقتصادية ومناخية مما يضطرنا إلى إعادة النظر في كيفية تطوير المواد الإنشائية التقليدية في هذه الأقاليم الصحراوية مع المحافظة على الأصالة وتماشيا مع تحديات العصرية.
- 4- العزوف عن المواد الإنشائية التي تتناسب مع الظروف البيئية والمناخية والحضارية.
- 5- تدهور الطابع العمراني المحلي بسبب ثورة المواد الإنشائية الحديثة والغريبة عن البيئة المحلية.
- 6- تنامي أصوات الباحثين والمفكرين في الندوات والملتقيات والأيام الدراسية التي تقام من حين لآخر لإعادة الاعتبار إلى قيم وهوية الأمة، وتجسيد ذلك في واقع العمارة. وقد استوقفني الأمر أمام هذا الواقع المرير، وتطلب مني التدخل والمتابعة الميدانية بالتحري والملاحظة والاستفسار من أجل الوقوف على حيثيات الموضوع لإيجاد الأجوبة عن التساؤلات المطروحة في دائرة علم الآثار وفي واقع الحياة الاجتماعية. فحاولت من خلال هذا البحث المتواضع، أن ألقى الضوء على هذا الجانب المهم من العمارة المحلية المتأثرة بالبيئة، وهو في رأينا أساس أي دراسة معمارية، تكون لها علاقة مباشرة أو غير ذلك مع البناء والبناء، فمعرفة أصلها ومميزاتها تمكن الدارس في بحوث الأثرية والعمارة خصوصا من تحليل جوانب هامة لفترة من الفترات الحضارية المشيدة ولا سيما تلك المتعلقة أساسا بالمستوى الذي بلغته العمارة في فترة محددة، هذا فضلا عن معرفة مدى تفاعل الإنسان مع محيطه البيئي تفاعلاً عقليا واجتماعياً.

- إشكالية البحث:

طرح لنا موضوع البيئة الصحراوية وأثرها على البناء التقليدي بقصور تيديكلت إشكالية عميقة تحمل في طياتها مجموعة من التساؤلات التي لا بد من اثارها وإيجاد الحلول لها وهي تتمحور حول تأثير البيئة على المنشآت المعمارية لمنطقة تيديكلت الشرقية.

وكما هو مألوف أن الصحراء تتميز بوسط بيئي قاسي من شدة الحرارة اللافحة والبرودة الشديدة والرياح العاتية وغيرها من العوامل الشديدة الاثر في المحيط ، ورغم كل ذلك فقد تفاعل الإنسان مع دواعي بيئته وتأقلم معها ، فشيّد المباني وفجر الآبار وأفلح الأراضي وطاب له المقام بالمكان،ومن جانب آخر يلاحظ أن جل ما شيده الإنسان من عمائر ظلت شامخة وشاهدة لمدد من السنين وهي بذلك تجرنا إلى الخوض في ضرورة معرفة بنية وتركيبية مادة البناء المحلية إلى جانب خصائصها الفيزيائية والكيميائية. كما يلاحظ ايضا على التصاميم والمخططات المعمارية بالإقليم التي برزت بأشكال ونماذج مختلفة وفريدة،أنها جاءت متأثرة بعناصر بيئية عديدة .

وهذا ما يثير الفضوللمعرفة انعكاسات ذلك على العمارة والعمران البشري في مثل هذه المنطقة الصحراوية وذلك في:

- معرفة بؤادر استقرار الانسان وبداية العمران في اقليم تيديكلت الشرقية ، والوقوف على العوامل البيئية المختلفة التي اثرت بشكل او بأخر على تصميم المخططات وتنفيذها في الاشكال المختلفة للكتل المعمارية التي وصلتنا من خلال الروايات المتواترة والملاحظات الميدانية والمقابلات الشخصية والمعطيات الاثرية.
- معرفة مختلف الحلول والمعالجات التي اهتدى إليها المعماري في سبيل تحقيق راحة الانسان.

ووقفا على الاثار التي تشكل عمارة وعمران الاقليم قي شطرها المادي من جهة وشطرها غير المادي من جهة ثانية فان ذلك أيضا يثير فضولنا إلى تحليلها لمعرفة أثر الحضارة الاسلامية - منذ وصول الاسلام إلى المنطقة - على ثقافة الانسان التي نلاحظها على العمارة والعمران المحلي.

وانطلاقا مما سلف ذكره نجعلنا نتساءل كيف أثرت هذه العوامل البيئية المختلفة على العمران المحلي في تيديكلت الشرقية ؟.

منهج الدراسة:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي حيث استعنت بالروايات المتواترة والنصوص التاريخية والعمل في الميدان لوصف وتحليل المعطيات الأثرية ومقارنة بعض المعطيات مع مثيلاتها في العالم الاسلامي لتصنيفها وتنميطها.

الوسائل المستعملة:

وبناء على المناهج المتبعة واستكمال المتطلبات مختلف المناهج فقد اعتمدت في جمع المعلومات على التقنيات التالية:

- 1- الملاحظة: استخدام هذه الوسيلة (الملاحظة البسيطة المنظمة) لمختلف المواد قيد الدراسة وهذا لمعاينتها ووصفها وتحليل الحقائق والمعلومات.
- 2- المقابلة: اعتمدنا هذه الوسيلة من أجل الحصول على معلومات أكثر دقة من الحرفيين في ميدان العمران إلى جانب بعض أعلام وأعيان المنطقة.
- 3- الصور الفوتوغرافية: وهي تكمل الملاحظة وتدعمها.
- 4- الوثائق: وتتمثل في بعض الكتب والمجلات، والأطروحات، والمواقع الالكترونية.
- 5- المخططات والجدول والتقارير التقنية: وهي تساعد في تحديد وتحليل بعض المعطيات الخاصة بالموضوع.

محاور الدراسة: وتمثلت محاور دراسة الموضوع في جانب نظري وآخر تطبيقي

أ. الجانب النظري: وأولي في هذا الجانب اهتماما بالمعطيات التاريخية المتعلقة بالمنطقة وبموضوع الدراسة معتمدا في ذلك على الإطلاع وأخذ المعلومات من المراجع الأساسية والثانوية من مصادر وكتب مختصة في تاريخ المنطقة والبيئة والعمارة الصحراوية منذ القرن السادس هجري (06هـ / 12م) اعتمادا على اقدم لوحة في تاسيس العمران، وهي اللوحة التأسيسية لبناء اول مسجد بالاقليم (اللوحة رقم 15) إلى الفترة الحديثة، إضافة إلى المراجع التي أشارت من قريب أو من بعيد إلى الإقليم، وكذا الوثائق الخاصة والمخططات المنجزة في إطار الدراسات التي أجريت على المنطقة قبل وأثناء الفترة الاستعمارية وما بعدها.

ب. الجانب الميداني: يعتبر هذا الأخير اساس الدراسة حيث اقوم بدراسة الموضوع دراسة ميدانية انطلاقا من بعض الآثار الباقية معتمدا على التحري والرفع الاثري

والفوتوغرافيو جرد وتصنيف ما تبقى من موجودات اثرية ، وأقوم في هذا الجانب من الدراسة بالوقوف على أهم العمائر المنتشرة بالإقليم والمواد البيئية المستغلة في إنشاءها مركزا على نوعيتها وطريقة استعمالها. واثناء زيارتي الميدانية إلى قصور ووحدات الاقليم وقفت على المعالم الاثرية منها المسجد العتيق باقسطن باسول ومئذنة جامع السنوسي ومئذنة جامع الدحانية، وقصبة القصر الكبير وقصبة وسط البلاد باجودة والنسيج العمراني لزاوية الحاج بلقاسم والشوير بانغر، وتاغرمت باقسطن، والساهلة، وعمران الاضرحة ، ونظام الفقارة، والناعورة ، وحفرة الركب.

وعلى هذا الاساس تطلب الموضوع في هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي.

وكان اختيار دراستي لهذه النماذج من المنشآت المعمارية دون غيرها بهدف الوقوف على الدراسة التاريخية والجغرافية للمنطقة ، و على الدراسة الوصفية للوقوف على حالة هذه الشواهد المادية الباقية ، والدراسة التحليلية لربط علاقة العمران بالمنطقة مع غيره في المناطق المجاورة ، ودراسة مواد الانشاء. مقدمة تناولت فيها التعريف بموضوع الدراسة.

الفصل الاول: وهو عبارة عن دراسة تمهيدية خصصته للتعريف بالبيئة واقسامها واثرها على العمارة والعمران البشري، وفيه حددت لفظ البيئة في اللغة والاصطلاح ومن خلال مصادر التشريع الاسلامي. ومعرفة اقسام البيئة الطبيعية والحضرية، واثر البيئة على العمارة والعمران البشري.

الفصل الثاني: بعنوان الاطار التاريخي والجغرافي للإقليم وتناولت فيه الجانب التاريخي والجغرافي لإقليم تيديكلت الشرقية والتركيبية الاجتماعية وذلك من خلال نزوح الافراد والجماعات للإقليم والأسباب التي ادت إلى ذلك. وكذلك التعريف بتيديكلت كأحد مفاتيح الدراسة.

الفصل الثالث: بعنوان الدراسة الوصفية لنماذج من المنشآت المعمارية وفيه عرفت بالمنشآت المعمارية حسب الخصوصية ووصف اهم النماذج للتوضيح ممثلة في

المنشآت المعمارية المدنية والدينية والدفاعية والاقتصادية مركزا على بعض العناصر المعمارية والبنائية المختارة للدلالة على المقاومة للعوامل البيئية.

الفصل الرابع: بعنوان الدراسة التحليلية للعناصر والعوامل البيئية المؤثرة على العمارة، وحاولت الوقوف والحديث على اهم العوامل البيئية التي اثرت في التشكيل المعماري وما هي الحلول والمعالجات التي تحقق الراحة الحرارية.

خاتمة: استنتج البحث وفيها النتائج المتوصل اليها من خلال هذه الدراسة وهي بمثابة الاجابة عن التساؤلات التي طرحت في المقدمة وشغلت بال الكثير من الدارسين.

تحليل مصادر ومراجع البحث

اعتمدت في هذا البحث على بعض المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع من زاوية أو أخرى للضرورة إذ أن صعوبة الموضوع تقتضي منا ذلك، ونظرا لأن دراسة الآثار الصحراوية تفتقر إلى الكثير من المراجع العربية والأجنبية التي تلبى الغرض الأكاديمي.

ورغم ذلك فإن هناك بعض الدراسات والإشارات من طرف الأجانب الذين زاروا المنطقة فكانت دراساتهم أغلبها تدور حول العادات والتقاليد لأهل المنطقة أكثر من التركيز على الجانب الاثري والمادي ، وكانت كتاباتهم غير كافية ولا تؤدي الغرض المرجو في مثل هذه الدراسات المتخصصة،

أما المراجع العربية التي استعنت بها في معالجة هذا الموضوع بصفة تقريبية اذكرها في ما يلي:

1. يحيى وزيري في كتابه العمارة الإسلامية والبيئة الذي ناقش فيه **علاقة العمارة بالبيئة والتعريف بهما** ومدى تأثير كل منهما على الأخرى، كما أوضح لنا مدى تأثير المناخ والحضارات المختلفة على شكل المبنى ومعالجاته المناخية.
2. محمد صابر سليم في مؤلف مشترك بعنوان علوم البيئة وهو بصفة عامة يتطرق إلى تعريف البيئة وأنواعها وتأثيرات العوامل البيئية على المحيط
3. رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني في بحثهم البيئة ومشكلاتها ففي هذا البحث أشارا لنا إلى مدى تأثيرات العوامل البيئية على الأقاليم الصحراوية

4. ابن خلدون (108هـ/1408م) في مؤلفه تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) وخاصة الجزء السادس والسابع الذين أشار فيهما إلى أقاليم توات قبلة تلمسان كما يذكر وفيه تطرق إلى السكان وغالب معيشتهم وعوائدهم وصراعهم مع البيئة في كسب الرزق من اجل البقاء
5. علي حملاوي في كتابه نماذج من قصور منطقة الأغواط ففي هذا الكتاب تطرق إلى الخصوصية التي تتميز بها العمارة الصحراوية في اختيار مادة البناء وفي اثر المناخ في توجيه مخططات العمارات ومنها استحداث عناصر معمارية جديدة تتماشى ومتطلبات البيئة المحلية
6. فرج محمود فرج في دراسته لإقليم توات خلال القرنين 18 و 19 الميلاديين الذي خصص دراسته لإقليم توات والتي تعد تيديكلت احد أقاليمها الثلاث وهذا الكتاب كان مخصصا لدراسة الجوانب التاريخية والاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد اضافة الى الجانب الطبوغرافي والجغرافي للإقليم.
7. محمد بن عبد الله بن صالح في كتابه الطين كمادة منظمة لانتقال الحرارة الذي أفادنا بدراسة تحليلية وافية لمادة الطين وضرورة استعمالها في العمران قياسا نظرا لتلاؤمها مع الوسط البيئي الصحراوي.
8. احمد محمد عبد الله في بحثه المناخ والعمارة، وهي دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة وقد عالج في البحث قضية تأثير التكوينات العمرانية في المدينة بعامل المناخ وأعطى الحلول المناسبة لذلك
9. Capitaine LO في بحثه Les foggaras des Tidikelt وقد جاء في هذا البحث دراسة لتقنية استخراج المياه على سطح الارض والدور وطبوغرافيا الأرض واثرها في اختيار تنفيذ العمارات واختيار اتجاهاتها
10. VOINOT Louis في بحثه le Tidikelt وهي دراسة تهتم بالجانب التاريخي والجغرافي ومعتقدات الأهالي بالمنطقة وقد اشارت هذه الدراسة الى الموقع الإستراتيجي الذي تحتله في هذا الوسط الصحراوي أهلها لأن تكون موطن استقطاب الوافدين من مختلف الجهات.

-
11. L évolution continentale post CONRAD (L) في بحثه
hercynienne du Sahara algérien وفيه أفادنا بالتركيبية الكيميائية لمادة
الطين باعتبارها أحد المواد الأساسية التي اعتمد عليها في العمارة التقليدية
12. Oasis Moderne, Essais Urbanismes في كتابه ODAR(C) L
Saharien وفيه أعطى لنا إشارة هامة هي اعتماد أهالي الصحراء على المواد
المحلية في تشييد العمائر ومن ذلك مادة الخشب ومنتجات الفلاحة باعتبارها مواد
البيئة المحلية
13. Résumé historique et géographique Malte brum في بحثه
de L exploration de Gerhard Rohlf's à Touat et Ain Salah
والذي تحدث فيه عن توات وعين صالح بالذات حيث أشار إلى طريقة توزيع
قصورها وتنوع قبائلها ونشاط الحركة التجارية بها وهو مايتماشى والمعطيات
البيئية المساهمة في ذلك.

الفصل الأول

التعريف بالبيئة وأقسامها وأثرها على العمارة والعمران البشري

1. أصل كلمة بيئة
2. أقسام البيئة
3. اثر البيئة على العمارة والعمران البشري

التعريف بالبيئة وأقسامها وأثرها على العمارة وال عمران البشري

يتطلب مثالي نصل إلى حكم ما نحن بصدد بحثه وهو "العوامل البيئية وأثرها على العمارة وال عمران في منطقة تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست" إلى ضبط معاني مفردات الموضوع، وهنا يشدّ انتباهنا إلى ثلاثة ألفاظ بارزة وهامة في هذا الموضوع وهم ألفاظ: البيئة والعمارة وتيديكلت.

1. التعريف بالبيئة (أصل كلمة بيئة ومعناها):

1.1. تعريف البيئة في اللغة

يعود الأصل اللغوي لكلمة أو لفظة البيئة إلى الجذر (ب و أ) ومن الفعل الماضي (بوأ). ولفظة البيئة هي كلمة عربية من كلام السابقين ولها اشتقاقات عديدة جاءت بألفاظ متقاربة في المعنى حيث أشارت إلى ذلك مختلف المعاجم والمناجد اللغوية المعتمدة موضحة لنا أشكال رسم حروفها ومعاني ألفاظها التي تعود إلى مصدر اشتقاقها الجذر السالف الذكر.

ونذكر في ما يلي بعض الإشارات الهامة التي تستوقفنا في ضبط معاني ألفاظ البيئة: فجاءت لفظة البيئة في مختار الصحاح للرازي⁽¹⁾ تعني اسم مشتق من الفعل الماضي بوأ فيقال: تبوأ منزلاً أي نزله، وبوأ له منزلاً وبوأه منزلاً بمعنى هياه ومكّن له فيه. وجاءت تحمل نفس المعنى بألفاظ⁽²⁾، بوات له مكاناً أي سويته، وبوات الرّمح أي هيات له مكاناً ثم قصدت الطعن به، ويقال أيضاً أباء منزلاً أي هياه له وأنزلهممكن له فيه ويقصد بذلك المكان والمنزل.

فمعنى البيئة هنا حسب ما تقدم ذكره جاء يشير إلى النزول بالمحل أو المكان وتهيئته والإقامة فيه، كما انه يدل لنا أيضاً على الاستقرار والإعمار.

¹ - الرازي (محمد بن ابي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، طبعة مدققة، دائرة المعاجم، لبنان 1986، ص

..28

² - سميح (عاطف الزين)، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الثانية، لبنان 1404 هـ - 1984 م، ص 154

أما في لسان العرب لابن منظور⁽¹⁾ ف جاء لفظ البيئة والباءة والمباءة بمعنى منزل القوم حيث يتبوعون من قبل واد أو سند جبل، وفي الصحاح : "المباءة" هي منزل القوم في كل موضع ويقال كل موضع ينزله القوم ، وفي هذا المعنى قال طرفة ابن العبد⁽²⁾:

طيبو الباءة سهل ولهم * سبل إن شئت في وحش ووعر

وتبوا فلان منزلاً: اتخذه وبوأتة منزلاً وأبات القوم منزلاً.

وأبات الإبل : رددتها إلى المباءة، والمباءة بيتها في الجبل، وفي التهذيب هو المراح الذي تبتغيه أو تبيت فيه.

قال الراعي⁽³⁾ في صفة إبلٍ وهي تتاخ إلى معاطنها⁽⁴⁾:

لها أمرها حتى إذا ما تَبَوأتُ بأخفافها مأوى تَبَوأ مَضْجَعاً

والمباءة من الرحم، حيث تبوأ الولد، وباءت بيئة سوء : على مثال بيعة أي بحال سوء، وأنه لحسن البيئة، وعم بعضهم به جميع الحال.

ففي هذه الإشارة الثانية جاء معنى البيئة واشتقاقها هي منزل المبيت، أي ذلك المكان الذي يختاره القوم سكناً لهم، وذلك المكان الذي اعتادت عليه الإبل مرعىً ومرحاً لتستقر وتبيت فيه. كما جاءت البيئة واشتقاقها في هذا المعنى تشير إلى مفهوم الحالة أو الوضع العام الذي يكون عليه الإنسان.

وورد اشتقاق البيئة أيضاً في منجد الإعلام⁽⁵⁾ بألفاظ قريبة من المعاني السابقة، فقد جاءت بمفاهيم مكان الإقامة أو المنزل المحيط به أو الحالة العامة، فيقال بواه منزلاً أي

¹ - ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، 1431هـ/2010م، ص 30، 31.

² - هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (نحو 86- 60 ق هـ = نحو 538- 564م)، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمر بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله لأبيات شعر بلغ الملك ان طرفة هجاه فيها فقتله المكعبر وهو شابا في العشرين عاما وقيل ابن ست وعشرين، أشهر شعره معلقته ومطلعها: ((لخولة أطلال ببرقه تهمد)) انظر - الزركلي (خير الدين)، الأعلام، قاموس تراجم، الجزء الثالث، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ن ايار / مايو 2002، ص 225.

³ - الراعي هو عبيد بن معاوية بن جندل النميري، شاعر من فحول المحدثين، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وقيل كان راعي إبل من أهل بادية البصرة، عاصر جريراً والفرزدق، وهو من أصحاب الملحمت، وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية، وللمعاصر ناصر الجاني ((الراعي النميري: شعره وأخباره.ط)). انظر خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، الجزء الرابع، الطبعة الخامسة عشر، دار القلم للملايين،بيروت لبنان ، أيار - مايو 2002، ص 188

⁴ - سميح عاطف الزين، المرجع السابق، ص 154

⁵ - المنجد فيالأعلام دار المشرق بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، لبنان 1984، ص 52.

هياً له وأنزله فيه، وبوأ المكان أي حلّ فيه، وتبوأ المكان وبه أي أقام به، واستبأ المنزل أي اتخذه مقاماً له، وأما البيئة بالكسر فتعني الحالة فيقال أنه حسن البيئة. كما أتت بألفاظ الباءة والبيئة والمبوأ والمبأة وتعني المنزل المحيط أو كل ما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيها (1).

ويفهم من خلال هذه الإشارة الثالثة أن معنى البيئة واشتقاقها هي النزول بمكان واختياره محلاً للإقامة بعد تهيئته وجعله صالحاً لذلك، حيث تخصص بعدئذ بيوتاً للسكن والاحتماء في هذا المحيط المختار للاجتماع الإنساني.

وهذه إشارة هامة تدل على البدء في العمران في المواطن والأماكن المختارة من اجل الاستقرار والاجتماع بغرض الكن و الاحتماء من العوارض المفاجئة في المحيط المعمور وكل ما له صلة بالاجتماع من حيث هو طرفاً وعاملاً مؤثراً في الوسط البيئي.

ومنه نفهم من المعاني الواردة في معاجم ومناجد اللغة أن البيئة يمكن أن نحددها في ثلاثة ملامح نلخصها فيما يلي:

- المعنى الأول: وهو يدل على المأوى أو المنزل الذي يكن إليه الإنسان أو ينزله ويتخذة سكناً له وما ملكته يمينه، وهذا المأوى غالباً ما يكون موقع اختياره على سفح جبل أو بجانب نهر، مراعيًا في ذلك الدواعي والعوامل البيئية مثل الرياح والأمطار وتأمين حاجته من الماء للشرب والسقاية والعمران.

- المعنى الثاني: وهويدل على الحالة الخاصة للإنسان وصفتها تكون إما مذمومة أو ممدوحة، وهي ترتبط بالسلوك والأخلاق والمعيشة والصحة وغيرها من الأعراض البشرية وطبيعتها هي : كيف هي حالة الإنسان وما حركته التفاعلية مع الوضع لتغيير الصفة والحال والتأقلم مع الزمان والمكان.

- المعنى الثالث: وهو يدل على الوضع العام للإنسان وتتعلق بتفاعل الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه من حيث هو مؤثر ومتأثر به.

¹ - (السعود). راتب سلامة ، الإنسان والبيئة الكارثة والأمل ، مكتبة مؤتة، عمان الاردن ، 2000 ، ص14

ويبدو لي أن هذه المعاني الثلاثة هي مفهوماً مرادفاً للفظ "بيئة" كمفهوم أو كمعنى يدل بصفة عامة على مجموعة العوامل الطبيعية والبشرية التي تتقاسم تشكيل بيئة في زمن ومكان معينين، فهي بذلك تعبر عن الإنسان وما يحيط به إلى جانب التفاعلات المترتبة عن ذلك، أي أنه يشمل كل العوامل البيئية والتي تتلخص في العوامل التي هي من صنع الله، والعوامل التي هي من صنع الإنسان.

1.2. مفاهيم البيئة من خلال مصادر التشريع (القرآن والسنة)

جاءت لفظة البيئة واشتقاقها في عدة معاني ومرادفات في آي القرآن الكريم ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة، فوردت بلفظ تبوء، نُبِئُوا وَيَتَّبِعُوا وبأولاً.. وغيرها من الألفاظ المشتقة، التي تعطي معنىً يدلّ على الحكم أو الحالة التي جاءت فيها هذه اللفظة.

فوردت بلفظة تبوءوا ومبواً بمعنى السكن والاستقرار في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾⁽¹⁾. أيالذين اتخذوا دار الهجرة سكناً، فابتنوها منازل من قَبْلِ المهاجرين⁽²⁾.

فهنا إشارة إلى الكن والاستقرار والعمران ، حيث كان اختيار المدينة موطناً جديداً للأمن والاستقرار والاجتماع من جديد، فكان من ثمرة ذلك العمران في أوجهه المختلفة والجديدة والمتجددة في ما بعد.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهَآ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽³⁾، وفسرت تبوءاً لقومكما بمصر بيوتاً بمعنى أن يتخذوا لقومكما بمصر بيوتاً⁽⁴⁾، وهي بغرض السكن والاستقرار والعبادة لما

¹ - سورة الحشر، الآية 9.

² - ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل) ، تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثامنة طبعة جديدة ومنقحة، المجلد الرابع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1424 هـ/2003 م، ص 430.

- وانظر أيضاً: الطبراني (الإمام أبي جعفر محمد بن جرير)، مختصر تفسير الطبراني، المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا، المجلد 02، مكتبة رحاب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1991 م، ص 440.

³ - سورة يونس ، الآية 87.

⁴ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 559

- وانظر أيضاً: الطبراني، مصدر سابق، مج 01، ص 363.

يوفر هذا الموطن الجديد للناس من أمن وأمان يستطيعون في حدوده وبين أحضانه أن يسيروا ويجمعوا وينشأون العمران في هذه الأرض.

وفي نفسالسورة وردت البيئة بلفظ بوأنا ومبواً وهي تدل أيضاً على حكم اختيار مكان للاستقرار في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَيْبَ قِضَىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾⁽¹⁾، فقيل مبواً صدق هي بلاد مصر والشام، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى اختار لبني إسرائيل لما أهلك فرعون وجنوده هذه البلاد وأنزلهم أرضها لتستقر دولة سيدنا موسى عليه السلام على بلاد مصر بكما لها⁽²⁾.

وهذه اشارة بالغة الصورة تعبر عن اهمية اختيار المكان وذلك من اجل الاستقرار والاجتماع واقامة العمران.

وفي هذا المعنى وردت أيضاً بلفظة وبوأكم وذلك في قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتتحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾⁽³⁾. وجاء تفسيرها بمعنى وجعلكم خلفاء عاد من بعد هلاكهم وأسكنكم أرضهم تبنون في سهولها القصور⁽⁴⁾.

وهنا إشارة جديدة إلى أهمية الاستخلاف في المكان من اجل الإصلاح والاجتماع والاعمار بصورة توحى على الصلاح والفلاح وجلب المنافع ودفع المضار.

كما وردت هذه اللفظة في اشتقاق باعوا بمعنى الانصراف والرجوع في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ مَنْ لِّلَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽⁵⁾. قيل تعني استحقوا الغضب من الله لأنهم كفروا بآياته استكباراً وجحوداً وقتلوا الأنبياء بطرق

¹ - سورة يونس ، الآية 93.

² - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 562 و563.
- وانظر أيضاً: الطبراني، مصدر سابق، مج 01، ص 364.

³ - سورة الأعراف، الآية 74.

⁴ - الطبراني، المصدر السابق، مج 01، ص 271.

⁵ - سورة البقرة، الآية 61.

شنيعة، واعتدوا عدوانا مطلقا و قيل استوجبوا سخطا و قيل تعني انصرفوا ورجعوا، وتفسير ذلك إذا رجعوا وانصرفوا متحملين غضب الله وسخطه⁽¹⁾.

فهنا إشارة جازمة إلى الخروج والانصراف من موطن الاجتماع البشري المقترن بالعمران الذي هو من سنة الله في خلقه والتي تكون بسبب الظلم والفساد والطغيان، وتكون أيضا في صلب مخالفة الأمر الإلهي في الاجتماع الإنساني الذي يعني الإصلاح في الأرض .

وجاء اشتقاق البيئة أيضا في لفظة تبوء بنفس المعنى السابق أي الانصراف والرجوع في قوله تعالى: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾⁽²⁾، أي إني أريد أن تتصرف أو ترجع بخطيئتي فتتحمل وزرها وإثمك في قتلك إياي⁽³⁾، ويعني ذلك بأن تتصرف متحمل الخطيئة وترجع بها مع الإثم لأنه قد صار عليك وحدك دوني.

ووردت بلفظة يتبوء بمعنى الإنزال والإسكان والتصرف في قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء﴾⁽⁴⁾. وجاء تفسيرها بمعنى يتصرف فيها حيث يشاء وقيل يتخذ منها منزلاً حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار⁽⁵⁾.

فهنا أيضا إشارة واضحة إلى أن التمكين في الأرض من أجل الاجتماع والاعمار حسب ما ورد في هذا المعنى يقترن هو الآخر بأهل العدل والصلاح والفلاح.

وجاءت بلفظة تبوء بمعنى الإنزال والتمكين في المكان في قوله تعالى: ﴿وإذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآباً للقتال والله سميع عليم﴾⁽⁶⁾ أي تنزل المؤمنين منازل

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ص 138.

- وانظر أيضا: الطبراني، المصدر السابق، مج 01، ص 26.

² - سورة المائدة، الآية رقم: 29.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 63.

- وانظر أيضا: الطبراني، مصدر سابق، مج 01، ص 196.

⁴ - سورة يوسف، الآية رقم: 56.

⁵ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 627.

- وانظر أيضا: الطبراني، مصدر سابق، مج 01، ص 402.

⁶ - سورة آل عمران، الآية رقم: 121

القتال فتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم، وقيل تعني بأن تتخذ للمومنين معسكرا وموضعا لقتال عدوهم⁽¹⁾.وهنا المعنى جاء يشير إلى التمكين في اختيار الموضع المناسب من اجل الفلاح في الأعمال.

وورد لفظها نتبوا بمعنى الإحلال والإنزال والإسكان وذلك في قوله تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾⁽²⁾، أي نتخذ من الجنة بيتا وسكنا منها حيث نشاء ونشتهي⁽³⁾. وهذه إشارة أخرى إلى أهمية اختيار المكان المناسب للسكينة والاطمئنان

وقد وردت أيضا في نفس هذا المعنى السابق أي الإسكان بلفظ لنبتوئهم وذلك في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبتوئهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار﴾⁽⁴⁾، أي لنسكنهم منازل عالية في الجنة⁽⁵⁾.

وفي نفس الحكم أو المعنى قد ورد لفظها في الحديث الشريف بلفظة يتبوا ففي ما روي عن الرسول عليه الصلاة والسلام: انه قال⁽⁶⁾: ((من كذب عليّ فليتبوا مقعده من النار) ، وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من تعمد عليّ كذبا فليتبوا مقعده من النار)). وروي عنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال: ((تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل في

صورتني، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوا مقعده من النار)). قال العلماء : معناه فلينزل : وقيل فليتخذ منزله من النار ، وقال الخطابي : أصله من مباءة الإبل وهي أعطانها

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الأول، ص520،

- وانظر أيضا: الطبراني، مصدر سابق، مج 01، ص 121.

² - سورة الزمر، الآية رقم 74.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص76.

- وانظر أيضا: الطبراني، مصدر سابق، مج 02، ص 276.

⁴ - سورة العنكبوت، الآية رقم: 58.

⁵ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص 552.

- وانظر أيضا: الطبراني، مصدر سابق، مج 02، ص 174.

⁶ - البخاري(الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، تحقيق د. محمد محمد تامر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة 2004، ص 40.

ثم قيل : إنه دعاء بلفظ الأمر أي بواه الله ذلك، وكذا فليلج النار، وقيل : هو خبر بلفظ الأمر أي معناه : فقد استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه، وتدل عليه الرواية الأخرى (يلج النار) وجاء في رواية (بني له بيت في النار).في هذا المعنى إشارة إلى الدخول والإسكان في موضع معين الذي قصد به في نص الحديث النبوي الشريف بـ " النار"

وعليم فإننا نستنتج من خلال ما عرضناه من مفاهيم البيئة من النص القرآني والحديث النبوي الشريف بأن إشاراتها تهدف إلى مقاصد هامة يمكننا تلخيصها في ما يلي:

- المقصد 01: مقصد يدل على السكن والأمن لما له من أثر بالغ الأهمية في نزوح البشر من منطقة إلى أخرى واستقرارهم واجتماعهم ومباشرتهم العمارة والعمران.
- المقصد 02: مقصد يدل على أهمية اختيار المكان المناسب وهي إشارة إلى البيئة الطبيعية للاجتماع الإنساني وعمارة الأرض.
- المقصد 03: مقصد يدل على السكن والاعمار ومدى تأثير العنصر البشري في الإصلاح والتغيير في الوسط البيئي المحلي.
- المقصد 04: مقصد يدل على أن الإنسان هو العامل المحوري والجوهري من بين العوامل البيئية في المحيط ذلك أنه يتفاعل معها ويسخرها لمبتغاه كيف ما يشاء في صلب الصلاح والفلاح.
- المقصد 05: مقصد يفيد أن البيئة قد تكون صالحة أو فاسدة وميزان ذلك هو الإنسان من خلال فكره وسلوكه وعمله.

1.3. تعريف البيئة الاصطلاحي:

أعطى الباحثون والدارسون الغربيون والمسلمون للبيئة عدة تعريفات اصطلاحية في مجالات متباينة، ورغم ذلك فكان تصب هذه التعريفات بشكل أو بآخر نحو مفهوم واحد، في أنها ذلك الوسط الذي يعيش فيه الإنسان بمفهومه الشامل.

ونحاول لإيضاح ذلك عرض هذه الأوجه المتباينة من زاوية الطرح حسب ما اعتمده الباحثين والدارسين في مجال تخصصهم لمعالجة هذا الموضوع. فالبيئة لفظة شائعة الاستخدام يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة الصحية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية، والسياسية.... ويعنى ذلك علاقة النشاطات البشرية المتعلقة بهذه المجالات... ويفسر ذلكبتلك العلاقة المترابطة والمتداخلة في مابين العوامل البيئية المختلفة ومستخدمها الإنسان، سواء كانت في إطار تشكيلها للثنائية من العوامل البيئية المتداخلة والإنسان، أوكانت في إطار تشكيلها الجامع لمختلف العوامل البيئية والإنسان.

وعرفت البيئة في الاصطلاح ب الوسط الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من مظاهر طبيعية خلقها الله تعالى، يتأثر بها ويؤثر فيها،فهي مجموعة النظمالطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى والتي يستمدون منها زادهمويؤدون فيها نشاطهم (1).وقد أوجز مؤتمر البيئة البشرية في استكهولم سنة 1972م مفهوم البيئة بأنها كل شيء يحيط بالإنسانويؤثر فيه ويتأثر به(2).

وعرفها قانون البيئة المصري لسنة 1994 بالمحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحويهم من مواد وما يحيط بها منهواء وماء وتربة وما يقيمه الإنسان منمنشآت(3). وعرفها بعض الباحثون البيئة بأنها تتمثل في ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسانويحصل منه على مقوماتحياته ويمارس فيه علاقته مع بني البشر(4).

كما عرفت البيئة بأنها الإطار الذي يعيش في الإنسان ويؤثر فيه ويتأثر به، وتتمثل فيما يحيط بالإنسان من هواء وماء وتربة وضوء الشمس والمعادن في باطن الأرض

¹ - الحلو (ماجد راغب)، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، الطبعة 01، الإسكندرية، 1995م، ص 31.

² - المومني،(طلال محمد)، حماية البيئة من منظور إسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، 1427هـ/ 2006م، ص 189.

³ - ماجد راغب الحلو، المرجع السابق، ص 31.

⁴ - الإنسان والبيئة د. راتب السعود المرجع السابق ص 15.

والنبات والحيوان على سطحها وفي برها ومحيطاتها وأنها⁽¹⁾، و هذا المعنى يظهر لنا، أن البيئة تعني كل الموارد الطبيعية والكائنات التي تشترك مع الإنسان الأماكن التي يستوطنها.

وقد حذا المهندس حسن فتحي نفس التحديد للبيئة حينما قال: بأنها تلك الظروف المحيطة التي تؤثر في النمو والحياة⁽²⁾.

وحددت البيئة كمفهوم عام لدى الدارسين للبيئة والعمران الإسلامي بأنها ذلك الإطار أو الظروف المحيطة بالكائنات الحية وتؤثر في حياتها وعلى نموها وتحصل منها على المقومات الأساسية لحياتها وفي مقدمة هذه الكائنات الإنسان كعامل مؤثر ومتأثر في الوسط البيئي⁽³⁾.

ويقول الأستاذ محمد رفعت رمضان : والمقصود بالبيئة هو كل ما يحيط بالكائن الحي من ظروف وعوامل تؤثر فيه، فالكائن الحي لا يستطيع أن يعيش إلا إذا حصل على مقومات حياته من البيئة، فما يحصل عليه الكائن الحي من غذاء وهواء ومسكن إلى غير ذلك فإنما هو جانب من البيئة يستخدمه بما عنده من صفات الحياة وخصائصها، لكي يجعل هذه الحياة ممكنة لنفسه ولنوعه وكلما كانت البيئة غنية بما فيها من هذه المقومات، كلما امن لهذا الكائن أن يستفيد مما يتاح له من الفرص كي يحيى حياة تتناسب مع هذا الغنى في البيئة⁽⁴⁾.

ولذلك فإن البيئة حسب رأي الاستاذ عبد اللطيف السرطاوي⁽⁵⁾، ليست مجرد مقومات وظروف تنهياً للإنسان دون أن يكون له دخل في توافرها أو عدم ذلك، بل هي أيضا دراسة للعلاقة التي تربط بين الإنسان والبيئة ومحاولة التعرف على أفضل المقومات والمعايير التي تحقق للإنسان سعادته مع هذه البيئة التي جعل بها الإنسان خليفة

¹ - محمد (صابر سليم وآخرون)، علوم البيئة، الجزء الأول، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 1983-1984، ص 03.

² - حسن (فتحي)، العمارة والبيئة، سلسلة كتابك عدد 68، دار المعارف، القاهرة (د-ت) ص 09.

³ - وزير (يحيى)، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة كتب مجلة عالم المعرفة عدد 304، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2004 ص 07.

⁴ - محمد رفعت رمضان، أصول التربية وعلم النفس دار الفكر العربي، الطبعة 05، 1964م، ص 108.

⁵ - فؤاد عبد اللطيف السرطاوي، البيئة والبعد الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان (الأردن)، 1420هـ/1999م، ص 26، 27.

وسيداً، وسخر كل ما فيها من اجل أنيستغله على الوجه المعقول الذي لا يضرّ بنفسه ولا بغيره ولا بأي جزئية مما يتوقف عليه سعادته أو شقاءه، وهذا يجعلنا نؤكد أن البيئة لا تختلف من حيث المعنى عن الثقافة والحضارة بمعناهما الشامل، وأنها تتأثر سلبياً أو إيجاباً بفكر الإنسان وقيمه ومقومات حياته وأطر اجتماعه وذلك بالقدر الذي يكون فيه التناسب والتناسق هو الغالب بين الإنسان والمؤثرات المحيطة.

02- أقسام البيئة:

وإذا كان موضوعنا يتحدث في أصله عن العوامل البيئية وأثرها على العمارة والعمران، فإنه لا بد من سرد مضامين هذه العوامل والتعريف بها في مجموعة من النقاط نظراً لأهميتها مفردة وللمسة التي تضيفها على المشهد العام للبيئة المحلية مجتمعة. ومن ثمة ذلك فإن قراءتنا للوسط البيئي المحلي لمنطقة تيدكلت الشرقية يمكننا من أن نلاحظ أن هناك مجموعة من العوامل البيئية التي ساهمت بشكل أو بآخر في إعطاء المشهد البيئي العام الذي انعكس على العمارة والعمران بصيغة محلية خاصة، رغم أن هذه العوامل قد تظهر في أمصار ومدن أخرى وفي أمكنة وأزمنة شتى لكنها تتفرد بميزات خاصة، وذلك بأثر التجاذب الحضاري أو التفاعلات والعلاقات الإنسانية، ليختصر ذلك ويعطينا مفهوم البيئة المحلية.

وعليه فيمكننا أن نعرف بالعوامل البيئية المؤثرة انطلاقاً من رأى بعض الباحثين في مجال البيئة والعمران على أساس أن مفهوم العوامل البيئية يتفرع إلى محورين هاميين وكل محور يشمل مجموعة من العوامل الهامة التي يكون لها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على حال وطبيعة العمران البشري.

ويتمثل المحوران اللذان يحددان معالم العوامل البيئية وما ينطوي تحتها في ما يلي:

02-1 - البيئة الطبيعية: فكما سلفت الإشارة إليه أنها تعني لنا تلك المظاهر التي هي من صنع الله جلّت قدرته وعلت إرادتهولاً دخل للإنسان في وجودها بقدر ما هي مسخرة له للانتفاع منها في هذه الحياة الدنيا ومن مظاهرها: فضاء الصحراء، ومروج

البحار، وتباين المناخ، واختلاف التضاريس، ومصادر المياه، وفصائل النبات والحيوان.

وانطلاقاً من هذه المظاهر المختلفة فإن البيئة الطبيعية وبلا شك يكون لها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر في حياة المجموعات الحية من النباتات أو الحيوانات أو الإنسان وهي ممثلة في مايلي:

02-1-1 العامل الجغرافي: ويتمثل في الخصائص المتباينة التي منحها الطبيعة لبعض المواقع دون الأخرى، فنجد أن البعض منها يحظى بمكان يقع على سواحل المسطحات المائية، ومنها ما يكون على قمم الجبال أو على سفوحها، ومنها التي تأخذ موقعها في المنخفضات وعلى السهول والبعض الآخر منها نجده في البوادي وفي الصحاري....

02-1-2 العامل الجيولوجي: ويتمثل في التكوين الجيولوجي لتربة البيئة حيث أن كل مصر من الأمصار يزخر بتربة مميزة بخصائصها التكوينية من حيث الوفرة أو القلة فينعكس ذلك على العمارة والعمران.

02-1-3 العامل المناخي: ويقصد بذلك ظروف الطقس وخصائصه المميزة للمنطقة الواحدة دون غيرها، وهي التي يتأثر بها الإنسان وباقي الكائنات الحية الأخرى التي تشارك الإنسان هذه الحياة على كوكب الأرض⁽¹⁾. ويسهم المناخ بدور كبير في قدرة الإنسان على العمل والحركة كما يؤثر على تصميم المباني التي يسكنها⁽²⁾.

فالعناصر المناخية من إشعاع شمس ودرجة حرارة ورطوبة وهواء ورياح وأمطار هي التي تكون البيئة المناخية التي تؤثر تأثيراً مباشراً في الإنسان وفي مختلف أنشطته، وهي التي تحدد الحياة النباتية والحيوانية وتؤثر على مختلف الأنشطة البشرية⁽³⁾.

¹ - الفقي (محمد عبد القادر)، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (سلسلة مكتبة الأسرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999، ص 14.

² - يحيى وزيري، المرجع السابق، ص 08.

³ - صفر محمود عزو، البيئة المناخية، (سلسلة قضايا بيئية)، جمعية حماية البيئة الكويتية، الكويت 1980، ص 09.

02-2- البيئية الحضارية:

وتعني كل ما أضافه الإنسان في الوجود من عناصر مستحدثة ومبتكرة أو أية معطيات بيئية هامة تمثل لنا نتاج تفاعلاته واستغلاله لعناصر البيئة الطبيعية من جهة، ومع بني جنسه من جهة ثانية، حيث تلخص هذه المعطيات البيئية المضافة مجملة في الاجتماع الإنساني الذي يعني لنا العمارة والعمران البشري حسب رأي ابن خلدون⁽¹⁾، حيث بين طبيعة هذا العمران من خلال أحوال الناس مثل التوحش والأنس والعصبيات وأصناف التغلب في ما بين البشر الذي ينجر عنه إقامة الملك والدول ومراتبها وما ينجر أيضا عن أنشطة الناس من العمل والسعي في كسب المعاش والعلم ومختلف الصنائع والحرف التي تكون نتيجتها نشأة هذا العمران، والذي من أمثلته إرساء النظم وعمارة المباني واتخاذ المعتقد وإنشاء الطرق وفلاحة الأرض وازدهار الحرف وصناعة الفنون وغيرها من اجتهاد الإنسان في الإضافة للبيئة.

وتترجم عن هذه المعطيات البيئية الجديدة مجموعة من العوامل التي عن طريقها تحدث تفاعلات التأثير بشكل مباشر وغير مباشر على الإنسان ومحيطه وما يصدر عنه من سلوك أو نشاط، وتتمثل هذه العوامل مفردة في العامل الديني والعامل الاجتماعي والعامل الثقافي والعامل السياسي والاقتصادي التجاري.

02-2-1- العامل الديني:

ويتلخص تأثيره في ترجمته لتطلعات النصوص والتوجيهات الدينية في الواقع الحياتي للمجتمع ويتجلى لنا ذلك أكثر من خلال تعاليم الدين الإسلامي التي ترشد الناس لعبادة ربّ العالمين، فنجد الإنسان في هذا المسعى يتخذ الطرق والمذاهب المختلفة من اجل التقرب وإرضاء خالقه، وينعكس ذلك في جميع مجالات حياته، في المعاملات وفي العبادات وفي سائر النشاطات الفكرية والتجارية والمعمارية ذات الهدف والبعد في الحياتين الدنيا والآخرة.

¹ - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1984 ص 46.

ذلك أن هذا العامل الديني يؤثر تأثيرا واضحا على الحياة الاجتماعية والفردية والثقافية والفكرية من خلال ما يطلع عليه الإنسان وما يكتسبه من معارف وخبرات وجدها وتعايش معها في محيطه بصفة رئيسية وما وصل إليه بفعل فاعل بصفة ثانوية.

02-2-2-العامل الاجتماعي:

وإذا أردنا الإشارة إلى العامل الاجتماعي فإننا نشير بذلك حتما إلى البيئة الاجتماعية التي تحكم العادات والسلوك والقيم⁽¹⁾، فهي ترتبط بسلوك الإنسان وعلاقته مع غيره حيث أن فن العمارة حينها يكون ذو صلة وثيقة بالمجتمع فيتأثر به ويؤثر فيه، حتى أنه إذا أردنا دراسة الطابع المعماري لمجتمع ما فإنه يجب أن يتمثل أمامنا جيدا وبدقة الحالة العقلية العامة والوجدانية⁽²⁾.

لذلك فإننا نجد العادات والتقاليد التي تسود مجتمع معين، تساهم إلى حد كبير في إفراز وظهور طابع أو طراز معماري معين يتميز به هذا المجتمع دون سواه.

وفي هذا «الموضع» نستحضر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحذرنا ويرشدنا إلى التبصر في الوسط الاجتماعي الذي نختار منه مُنشأة الأجيال حينما قال: ((إياكم وخضراء الدمن أي المرأة الحسنة في المنبت السوء))، ويقصد بالمنبت هنا، البيئة الاجتماعية بكل عواملها المختلفة التي ولدت ونشأت وترعرعت فيها المرأة.

ويعتبر هذا الحديث النبوي الشريف بالنسبة لنا دلالة هامة في الدور الذي يلعبه الإنسان - المرأة - في التأثير على البيئات التي يعيش فيها.

ولذلك فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننشئ المجتمع الإسلامي الذي نريده وهو سليل من المنبت والقويم في السلوك والشريف بالأخلاق دون مراعاة ما جاء في هذا الحديث السالف الذكر، ويعني لنا هذا من نظرة أخرى بأن قيمة وجود الإنسان في البيئة مهمة وضرورية نظراً للتأثير الفعال الذي يحدثه الإنسان بالسلب أو الإيجاب في تلك الأوساط البيئية التي يعيش فيها.

¹ - رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، سلسلة كتب عالم المعرفة عدد 22، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1979، ص 22.

² - وزير يحيى، مرجع سابق، ص 09.

02-2-3- العامل الثقافي (التخمينات الفكرية):

ونعني بذلك الثقافة المكتسبة بالنسبة للإنسان من حيث هو عضو في المجتمع، وهي تشمل المعرفة والعقائد والفن والقانون والأخلاق والأعراف وكل العادات المكتسبة في المجتمعات⁽¹⁾.

وان كان البعض يعرف الثقافة على أنها حصيلة تفاعل نكاه الإنسان مع البيئة الطبيعية التي يعيش فيها خلال عمليات استيفاء حاجاته الروحية والمادية⁽²⁾، فان هذا التعريف ينطبق بصدق على الفنون التشكيلية بصفة عامة وفن العمارة بصفة خاصة. ويبرز لنا دور هذا العامل جلياً من خلال تأثر الإنسان بباقي عوامل البيئة المحيطة، فينعكس ذلك في واقع حياته الذي يتسم بها فكره وسلوكه وصناعة عمرانه. ويفسر لنا هذا التعريف بان الإنسان متأثر بالثقافة المحيطة، فأى كانت الأثر الثقافية قوية التأثير على الإنسان، كان هذا الأخير مرآة لها، يعكس كوامنها ويسير في توجهاتها ويحقق غاياتها، فهو ابن بيئته وعنصرها محورياً وفاعلاً فيها، كما أن الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران حسبما جاء على لسانابن خلدون⁽³⁾، فهو يعيش داخله ومتأثر بثقافته وبأطره، وفي هذا العمران تكون لمسة الإنسان من مجموع ما اكتسبه من المعارف والثقافة المحيطة.

ولذلك ليس من الغريب أن يكون تفكير أهل بيئة البوادي مختلفاً عن تفكير أهل بيئة الحواضر، بالرغم من أنها النواة التي نشأت منها هذه الحواضر وأخذت أنماطها وأشكالها منه، بل وبدت متفردة بخصائصها في الشكل التي ظهرت به مثلما أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون قائلاً: (فَالْبَدُوُّ أَصْلٌ لِلْمُدُنِ وَالْحَضَرِ)⁽⁴⁾.

و نجد ذات التباين حاضراً في الفكر والاعتقاد والعوائد بين بيئات المجتمعات التي تدين بالإسلام وبين غيرها من بيئات المجتمعات الأخرى.

¹ - رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، مرجع سابق، ص 22.

² - فتحي حسن، مرجع سابق، ص 11.

³ - ابن خلدون، المقدمة، ج 01، ص 54.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، ج 01، ص 152.

وهنا نشير إلى أن هذه التباينات التي خصصت لنا مجتمع عن غيره من المجتمعات وحددته، هي في الأصل نتيجة حتمية لاختلاف البيئات الثقافية كعامل ذو تأثير فعال على الإنسان والمجتمع.

وعلى اثر ذلك فان تاريخ الإنسانية مليء بالأمثلة والشهادات التي تبدي لنا صورة واضحة عن مدى تأثير العامل الثقافي على الأفراد في أوساط بيئاتهم.

ونذكر من أمثلة ذلك حال أهل ديار يثرب قبل وصول الدعوة الإسلامية، وكيف أصبح حال أهاليها تحت راية رسالة الإسلام...

ومن جانب تأثير البيئة الثقافية على تفكير الناس نذكر قصة الشاعر على بن الجهم مع الرشيد، وهي من الأمثلة الواضحة في هذا المجال⁽¹⁾، فعندما دخل هذا الشاعر على الرشيد امتدحه قائلاً:

أنت كالكلب في حفاظك للود

وكالتيس في قراع الخطوب

وهذا تعبير يعكس لنا بذلك تأثير ثقافة بيئات البوادي على ساكنيها، ونرى نفس الشاعر يتغير تعبيره ووصفه للأشياء حينما يغير موضع إقامته من البادية إلى الحضر، فعندما دعي الشاعر للسكن في المدينة لوحظ تغير في ثقافته وهو يعبر عما حوله حيث قال:

عيون المها بين الرصانة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

فهذا التعبير الثاني الذي صدر عن نفس الشاعر يعطينا صورة واضحة المعالم والغايات عن البيئة الثقافية وأثرها على توجيه الفرد والمجتمع.

02-2-4-العامل السياسي:

ويتمثل في طبيعة الحكم السائد التي يسير بمقتضاها مجتمع معين في بيئة معينة وما ينجر عنها من مسؤولية الحكم والعلاقات العامة سواء كانت سياسية داخلية أو خارجية⁽²⁾.

¹ - رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، المرجع السابق، ص 23.

² - حمودة الفت يحيى، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1987، ص 56.

فالداخلية تتأثر بمودة الحكم، فحينما تتوفر الديمقراطية والعزيمة فإن ذلك ينعكس على النشاط الفكري وحرية الإبداع وبالتالي على الفنون والعمارة، وان كان على أساس القهر والاستبداد فإن ذلك أيضا ينعكس على الفكر وغيره من المتأثرات، والنتيجة هي التدهور في جميع مناحي حياة وأنشطة المجتمع.

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية بين الدول فان كانت ودية على أساس المصالح والأفكار والثقافات ونقل الأشكال المعمارية فان، ذلك يساهم في التجديد والإبداع والإضافة، وان كانت العلاقة علاقة استغلال واستعمار فان ذلك ينعكس أيضا على الفنون وال عمران.

كما يتأثر أيضا الطابع المعماري بالتمويل المادي لعمليات البناء والتشييد والأساليب المقدمة والمتاحة ونوع الخامات المستعملة والأجور المقدمة لليد العاملة⁽¹⁾.

02-2-5- العامل الاقتصادي: لاشك أن للاقتصاد دورا هاما في العمران البشري ذلك أن ديننا الحنيف نبهنا من خلال نص آيات القرآن الكريم في هذا الشأن من اجل قيام امتنا وازدهار حضارتنا واستمرار نشر دعوة نبينا.

فحثنا القرآن الكريم على الثروات الطبيعية المتاحة أمامنا واستغلالها لما لها من أهمية ودور كبيرين في رفع وامتانة اقتصاد البلاد، فهو بذلك يلفت أنظارنا إلى هذه الثروات المحيطة بنا، أي الموجودة في بيئتنا واستغلالها أيما استغلال وهي متعددة ومتنوعة من حيث هي ثروات حيوانية ونباتية وبحرية وطبيعية تحت الارض وفوقها فجميعها مسخرة للإنسان، للانتفاع بها ومن اجل عمارة الأرض.

ونشير في هذا الشأن، أن من بين آيات الذكر الحكيم المعبرة عن مضامينه والدالة على ذلك هو ما ورد في النصوص التالية:

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ

¹ - حمودة الفت يحيى، المرجع السابق ، ص 93.

الأنهار⁽¹⁾، وهنا حث واضح على استغلال الثروات الطبيعية في البيئة المحلية.

- وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾⁽³⁾ ، ونستلهم من خلال هذه الآيات إشارة واضحة إلى الاستغلال الأنسب للثروات الحيوانية من الوبر والأصواف والشعر والألبان واللحوم والشحوم والجلود وغير ذلك من المنتجات والمشتقات التي هي في بيئتنا وصديقة لها.

- وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾ ، وهنا دعوة صريحة وبليلة أيضا للنظر بعين الاعتبار إلى هذه النعم المتاحة لنا وذلك بعين العقل وجودة التفكير لاستغلالها والانتفاع بها والمحافظة عليها من الإهمال والتبذير حتى لا تزول لأنها قوام معاشنا وثروة اقتصادنا وقوة امتنا.

- وقال جلت حكمته في قرآنه الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁵⁾ ، وفي هذه الآية إشارة إلى ما تجود به المسطحات المائية وخاصة الموجودة من حولنا في البيئة التي نسكنها، وذلك من ثروات لمعاشنا ولزِينتنا ولكسب الرزق والريح في تجارتنا.

- وقال الله جلّ وعلى في ثروة المعادن: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾⁽⁶⁾ وكذلك قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

¹ - سورة ابراهيم الآية رقم: 32.

² - سورة النحل، الآية رقم: 05.

³ - سورة النحل الآية رقم 80

⁴ - سورة النحل الآية رقم 10، 11.

⁵ - سورة النحل الآية رقم 14.

⁶ - سورة الحديد الآية رقم 25.

الصَّدَقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١﴾ ،
فتشير الآيتان إلى أهمية المعادن في حياتنا العامة، لقوامها وتحقيق أغراض
تنفعنا، فهي توجد لنا مختلف الصنائع، وتقوي لنا شتى منشآت العمران المدنية
منها والدفاعية ، وتجعل للدولة هيبة أمام الأمم، كما أن كسبها غنيمة وتجارها
رابحة. ولا شك أن الدولة التي تزخر ببيئتها بذلك تكون منيعة حصينة وأما التي
تفتقر إلى هذا المكسب فهي ضعيفة في نظر غيرها ومعرضة للغلبة من كيد
أعداءها.

ونرى من خلال ذلك أن الاستفادة من هذه الثروات المختلفة هي متاحة لنا نحن البشر
و تتطلب منا الوقوف على هذه الخيرات حتى يمكننا استغلالها بحكمة من أجل المنفعة
في الحياة الدنيا.

وبالتالي فإن البيئات التي تزخر بهذه المقومات من الثروات المختلفة تحظى بنهضة
وشموخ في اقتصادها الذي يسهم في إرساء الحكم والنظام في الدولة ومن شأنه أن
يحقق أيضا الأمن الغذائي والأمن الدفاعي والاجتماع الإنساني الذي يؤسس بدوره إلى
إنشاء العمران وازدهاره وما يترتب عن ذلك من نشر العلوم والمعارف والصنائع
والآداب والفنون وحياة الترف والرخاء الاقتصادي في البلد الواحد بين أبناء المجتمع
الواحد، وكل ذلك جاء بقوة اقتصاد الدولة المتين والمنيع بفضل ما تزخر به من ثروات
هائلة قد حسن استغلالها، وللسيولة الناتجة عن ذلك.

وهكذا يتضح لنا جلياً اثر العامل الاقتصادي في نشأة العمران وذلك من خلال أثره
على جوانب الحياة في البيئة المحلية.

فيكون ازدهاره منعكس بالإيجاب، حيث يظهر في جودة العمارة والعمران وعلى شتى
الفنون والآداب وسائر الأحوال في البلاد، وبصير العكس في حالة انعدام هذا الشرط
على المستوى المحلي وغيره.

¹ - سورة الكهف الاية رقم 96.

02-3- البيئة غير الحضرية : ارتبط هذا المفهوم منذ القدم في أغلب مناطق العالم الإسلامي بالبداوة أو الزراعة، وتعتبر صفة الإغراق في المحلية كما حددها يحيى وزير⁽¹⁾ هي الصفة الأساسية للبيئات غير الحضرية ، في البوادي وفي الصحاري.

وقد انعكس هذا على أنماط العمارة في هذه المنطقة الصحراوية حيث ثبات عوامل البيئة الطبيعية وتكرار متطلبات الإنسان بالصورة نفسها تقريبا على الأقل في الماضي، فقديمًا ارتبط حياة المقيمين بها إما بالبداوة أو الزراعة ، فاختارت بعض القبائل نمط حياة البداوة الذي يقوم على الارتحال الدائم بين مناطق الانتجاع ولا تزال بعض هذه القبائل تعيش على هذا النمط في زمننا الحالي ، وفي المقابل اختارت القبائل الأخرى نمط حياة الزراعة المعاشية الذي يخضع إلى الظروف المناخية والموارد المائية حيث ينعكس ذلك على استقرار الإنسان وعمرانه .

وبلا شك أن واقع البيئة غير الحضرية قد أدى إلى وجود أنماط من المباني التقليدية تفي بالاحتياجات الوظيفية للإنسان من خلال معطيات البيئة المحلية والخبرات المتوارثة عبر الأجيال⁽²⁾.

¹- وزير يحيى ،مرجع سابق، ص ص 10 ، 11.
²- يحيى وزير، نفسه،

03- اثر البيئة على العمارة وال عمران البشري

03-1- البيئة والإنسان

ولاشك إنّ الدارس لتاريخ الإنسانية سيدرك أن هناك علاقة متلازمة بين الإنسان وبيئته باعتبار أنه أجدر الكائنات الحية وأكثرها تفاعلاً مع المحيط البيئي مؤثراً فيه ومتأثراً به.

فمنذ أن ظهر الإنسان على هذه الأرض وجد نفسه إلى جانب الكائنات الحية في وسط محيطٍ يسير وفق نظام تتحكم فيه مجموعة من العوامل المؤثرة التي لا يمكن أن يزيغ عنها زائع، فكان حتماً على الإنسان حينذاك من أجل البقاء في هذا الوجود ولا استمرار نسله أيضاً أن يتفاعل مع البيئة المحيطة حسب ما تقتضيه حاجاته وتتطلبه الظروف مجتمعة ، فبدأ مجتهداً في محاولاته المتكررة من أجل التحكم شيئاً فشيئاً فيسير هذا الكون وتسخير له حاجاته، وكلما توالى الأعوام ازداد تحكماً وسلطاناً في البيئة بإحداث التغيير فيها وفقاً لازدياد حاجته إلى الغذاء والكساء والكن والأنس والتآلف وغير ذلك.

وقد تميز الإنسان على غرار باقي عوامل البيئة بدوره الفعال والهام في التغيير والتجاوب معها باستمرار، حيث يعتبر الإنسان جزء من الكائنات الحية فهو يتفاعل باستمرار مع بيئته فيغيرها وتغيره⁽¹⁾.

ونلخص دور الإنسان في البيئة الكونية في ثلاثة مهام اساسية تعتبر بمثابة الأهداف الكبرى للحياة الإنسانية⁽²⁾ التي بينها الله جلّت وعلت حكمته في قرآنه الكريم ليقندي بها الناس في حياتهم الدنيا ويثابون عليها في الدار الآخرة ،وتتمثل هذه المهام الاساسية في المقاصد التالية:

¹ - حسن (فتحي)، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، ترجمة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت 1988، ص 34.
² - القرضاوي(يوسف)، رعاية البيئة في الإسلام، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة 1421هـ / 2001م ، ص 23.

- المقصد الأول هو عبادة الله الواحد الأحد التي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والتي تستوجب كل مجالات الحياة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبُدون ﴾ (1) .

- المقصد الثاني وهو خلافة الله في الأرض التي خلق الإنسان من أجلها لإقامة الحق والعدل ونشر الخير والصلاح مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (2)، وقوله جلت حكمته: ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (3) .

- المقصد الثالث وهو عمارة الأرض التي خلق الإنسان منها ومن أجل عمارتها التي تتم بالغرس والزرع والبناء والإصلاح والإحياء والبعد عن كل فساد أو إخلال ما من شأنه أن يفسد رمق وزينة الحياة الدنيا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (4) .

ويتجلى من خلال هذه المقاصد الكبرى، أن الإنسان كان المحور الأساسي من بين مكونات البيئة، فهو العنصر الذي يؤثر في كينونة الحياة بتفاعله مع سائر المخلوقات الطبيعية أو الحيوانية.

وأما الأمر المهم والضروري في البيئة هو أن تظل عناصرها ومكوناتها الأساسية والكبرى متكاملة متعاونة فيما بينها بحيث يؤدي كل منها دوره المنوط به والذي خلقه الله له، دون أن يجور على غيره، ولا يجور عليه غيره، ويعطي غيره كما يأخذ منه، وبهذا يأخذ حقه ويؤدي واجبه (5) .

وباعتبارنا مركزين على دراسة منطقة تقع في إقليم الصحاري، فإن البيئة المؤثرة هي بيئة الأقاليم الصحراوية القاسية، التي من سماتها الرئيسية عوامل الحرارة والرياح والأمطار (6) .

¹ - سورة الذاريات، الآية رقم: 56.

² - سورة البقرة ، الآية رقم: 30.

³ - سورة ص، الآية رقم: 26.

⁴ - سورة هود الآية رقم: 61.

⁵ - القرضاوي(يوسف)، مرجع سابق، ص 17.

⁶ - لإطلاع على عوامل البيئات الصحراوية انظر : رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، المرجع السابق، ص 67-72.

ف نجد في المناطق الصحراوية أن درجة الحرارة ترتفع فيها إلى مستويات لا تطاق إذ تتعدى إلى 46 درجة مئوية في الظل وذلك في اغلب الأوقات من أشهر فصل الصيف.

كما أن هبوب الرياح الموسمية التي غالبا ما تكون في أشهر فصل الشتاء تأتي بشكل مميز عن المناطق غير الصحراوية وذلك بفعل الزوابع الرملية ومظاهرها الغربية من حركة الرمال وتحولها من منطقة إلى أخرى وما تحدثه أيضا من آثار مادية ومعنوية على الإنسان والحيوان والنبات والجماد مثل تقليل الرؤية وإعاقة الحركة وجلب الأمراض وطمس بعض العماثر وإظهار أخرى، فهي على العموم تجعل حال البيئة - حيثما هبت الرياح - بمشهد مغاير عن سابقه أو لاحقه.

ومن جانب تساقط الأمطار فهي مقتضبة إلى منعدمة في اغلب أشهر السنة إذا ما استثنينا أشهر فصل الشتاء التي نادرا ما تبشر بهطولها الفجائي وتسجل أثرها على المشهد البيئي، فهي بذلك تتطلب منا حلولاً تحسباً وتجنباً للأثر البيئي المعلوم من جهة، فهذه العوامل وغيرها لاشك أنها تترك أثرها الواضع على المظاهر البيئية الأخرى وهي ذات التأثيرات الواضحة التي نجدها في شكلها البارز على المحيط المحلي بإقليم تيدكلت الشرقية.

وبلا شك فإن هذه العوامل البيئية لها أثرها الكبير في تحديد وتنظيم حياة الكائنات الحية ويتجلى ذلك في الاستجابة إلى متطلبات عوامل البيئة الصحراوية القاسية، حيث يظهر انعكاس دورها على تفكير الإنسان وذلك بابتكاره هندسة وتخطيطا لعمارة تتوافق مع مثل هذه الأقاليم الصحراوية فتتضح في شكلها الملائم حينما تنفذ بنمط خاص يميزها عن عمائر البيئات الأخرى.

وعلى العموم فإن تنفيذ العماثر يختلف في الزمن والمكان وذلك تبعا لواقع المرحلة بمعية الظروف الاجتماعية وهي التي تظهر في النهاية اختلافا وتباينا في أوساط البيئات حيث نجد ما يعرف بالبيئة التقليدية والبيئة الحديثة.

ونشير في هذا الجانب إلى أن البيئة الصحراوية يغلب عليها طابع البيئة التقليدية، وهذا النوع من البيئات عرف في أغلب عمائر المسلمين، وقد اهتم بدراستها بعض الباحثين

وأعطوا تحديداً شاملاً لها حيث عرفوها بأنها مجموعة من المباني والأماكن بينها، التي شيدها المسلمون بإتباع مبادئ الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية واستخدام مواد البناء المتوفرة في تلك الفترة دون تدخل السلطة إلا في حالات الخلاف بين الملاك⁽¹⁾. وما دام الأمر كذلك فلا شك أن هناك تأثيرات أخرى تتدرج ضمن تحديد مكونات البيئة المحلية والتي تعطيها مقياساً وطابعاً خاصاً بها، كما تجعلها أكثر شمولاً وعمقاً بحيث أنها تكون جامعة للجوانب البيئية بكل أنواعها سواء كانت من الجانب الديني أو الاجتماعي أو الثقافي أو المناخي وهي التي تكون في نهاية الأمر مجسدة في تصاميم عمرانية وفنية ترقى إلى المستوى المطلوب وهي متأثرة بالعوامل السالفة الذكر. ومن هنا يتضح لنا بأن التأثيرات البيئية على العمارة والتعمير مرهونة بمجموعة من العوامل التي يتفاعل معها الإنسان مؤثراً ومتأثراً وذلك بهدف ابتكار أو إيجاد سبلاً تمكنه من العيش في مكان إقامته.

ويمكننا ملاحظة هذه التأثيرات البيئية واضحة من خلال الإشارة إلى الجانب التاريخي للمنطقة لاحقاً، والوقوف على العوامل الطبيعية المؤثرة إلى جانب الظروف التي ساهمت في الاستقرار والاجتماع البشري، والوقوف كذلك على أهم النماذج العمرانية التي تبين لنا تأثيرات البيئة في توجيه العمارة والعمران المحلي بحسب الغرض الذي يمتاشى والظروف الداعية إلى ذلك.

03-2- البيئة والعمران البشري:

قبل الحديث عن علاقة البيئة بالعمران البشري لابد من الإشارة إلى أصل مصطلح عمارة وعمران، فمن الضروري إزنتحديدها وضبط اشتقاقها لأن ذلك يسهل علينا استخدامهما في مواطن استعمالها في سرد هذا البحث.

¹- أكبر (جميل عبد القادر) ، عمارة الأرض، في الإسلام، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992م، ص 12.

03-2-1- معنى مصطلح عمارة

يعود أصل لفظة عمارة إلى الجذر (ع م ر) والى الفعل الماضي عمّر، حيث وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في دائرة معارف القرن العشرين⁽¹⁾ بمعاني الإعمار بالبنيان والسكن فيه. فيقال: عمّر المنزل أي جعله أهلاً، وعمّر يعمّر عمراً المنزل بأهله أي كان مأهولاً بهم فهو عامر، ومثله يقال: عمّر يعمّر عمارة أي صار عامراً، واستعمره في المكان أي جعله يعمره، والعمارة هي ما يعمر به المكان.

ووردت في المعجم الوسيط⁽²⁾ هي من الفعل "عمّر" عمارة واستعمر ف عمران، فجاءت تدلّ على معنى واحد وهو البنيان حيث وردت في المعاني التالية:

- "عمّر" في معنى بنى وسكن، فيقال عمّر فلان الدار: بناها فهي معمورة، وعمّر القوم المكان: سكنوه فهو معمور، وعمّر الله بك منزلك والأرض: بنى عليها وأهلها.
- "العمارة" تطلق على بناء الدار وهو نقيض الخراب والبنيان، وما يحفظ به المكان وشعبه من القبيلة، وتعني مبنى كبير فيه جملة مساكن في طوابق متعددة.
ومنها يطلق على "فن العمارة" ب فن تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة.

- "استعمر" وهي في معنى البناء والسكن فيقال استعمره في المكان: جعله يعمره قال تعالى في تنزيله العزيز: ﴿ هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾⁽³⁾، أي ابتداء خلقكم منها، فمنها خلق أباكم آدم عليه السلام، ثم جعلكم عمارةً تعمرونها وتستغلونها⁽⁴⁾.

- "عمران" وهو البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بالفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الأعمال والتمدن.

¹ - وجدي (محمد فريد) ، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس، دار الفكر ، بيروت (ب ت) ، ص 685.

² - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة 1425هـ/2004م، ص من 628 إلى 628.

³ - سورة هود الآية رقم: 61.

⁴ - ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص 587

أما الأساس اللاتيني لكلمة عمارة هو **architecture** أي فن العمارة فهي مركبة من **arch/tect/tonic** وتعني تنظيم معماري (لحيز ما)⁽¹⁾.

وقد أطلق عليها العلامة ابن خلدون "صناعة البناء حينما قال: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري و أقدمها و هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت و المنازل للكنّ و المأوى للأبدانفي المدن. و ذلك أنالإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله، لابدأن يفكر (فيموانع إذاية الحرّ والبرد عنه باتخاذ البيوت والحيطان والسقفّ الحائلة دون ذلك من جهاته.)"⁽²⁾.

فالعمارةتشمل كل ما هو حولنا من مباني و منشآت و مساكن سواء تم بنائها عن طريق المختصين أو غيرهم، ذلك أنها تعكس لنا كل ما تمر به المجتمعات من ظروف وإمكانات.

وان هذه المنشآت في البيئة لم تتم عبثاً وإنما تمت ونفذت لهدف أراداه الإنسان أن يكون ليحقق له غايات يريجوها، ولذلك فإن نشوء العمارة أينما كانت في الزمان والمكان - حسب المختصين - فقد أوجدها الإنسان ومن اجل الإنسان⁽³⁾.

03-2-2- علاقة البيئة بالعمارة والعمران البشري

ولاشك إنّ الدارس لتاريخ الإنسانية سيدرك أن هناك علاقة متلازمة بين الإنسان وبيئته باعتباره أنه أجدر الكائنات الحية وأكثرها تفاعلاً مع المحيط البيئي مؤثراً فيه ومتأثراً به.

فمنذ أن ظهر الإنسان على هذه الأرض وجد نفسه إلى جانب الكائنات الحية في وسط يسير وفق نظام تتحكم فيه مجموعة من العوامل المؤثرة التي لا يمكن أن يزيغ عنها زائع، فكان حتماً على الإنسان حينذاك من أجل البقاء في هذا الوجود ولاستمرار نسله

¹ - سهيل (إدريس)، المنهل قاموس فرنسي عربي، الطبعة السادسة عشرة، دار الآداب بيروت، لبنان 1995، ص 90.

² - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الصدر السابق، ص 489.

³ - حسن فتحي، المرجع السابق، ص 33.

أيضا أن يتفاعل مع البيئة المحيطة حسب ما تقتضيه حاجاته وتتطلبه الظروف
مجتمعة ، فكان إلى جانبه في هذه الحياة الدنيا بقية المخلوقات من الكائنات الحية
والجمادات التي تشاركه في حله وترحاله المكان والزمان، وهي التي أوجدها الله جلّ
وعلت قدرته لتكون مسخرة بين يدي الإنسان قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ
لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿1﴾ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿2﴾ .

ولما كانت سائر المخلوقات في هذه الدنيا من فضل من الله بأن جعلها مسخرة
للإنسان، فما كان عليه إلا استغلالها أحسن استغلال، فالله قد أكرم هذا الإنسان بالعقل
والعلم التي امتاز بهما عن سائر مخلوقاته، وإن إكرامه من خالقه بات يتطلب منه أن
يحسن تدبير شؤون الحياة وتسييره وإصلاح ما في الأرض ومن عليها.

ولما كان التسخير الإلهي لمظاهر الكون للإنسان نعمة، فتعتبر إذا حق من الحقوق
التي منحه خالقه إياها، واحد الواجبات التي ينبغي عليه القيام بها والوقوف عليها كما
تعتبر أحد المسؤوليات التي تتطلب منه حسن رعايتها، فيستطيع من خلال ذلك

¹ - سورة النحل الآية رقم: 10 - 14.

² - سورة الحج الآية رقم: 65.

الانتفاع بكل ما فيها لصالح بناء نفسه وبني جنسه وكلّ من حوله، ويعمر من خلالها المحيط الذي يعيش فيه، كما يفيد سائر المخلوقات التي تعيش معه في هذا الوجود. وبهذا التكريم والتفضيل كان الإنسان خلال تاريخه السحيق يسيّر الموجودات بعقله وذلك بتفاعل مع الظروف البيئية المحيطة من مناخ وتربة وكائنات حية التي كان لها تأثير كبير على طباعه وعلى كسب مهاراته وإبداع حضارته وعلى إشباع غرائزه ومتطلباته خلال سنين من الدهر.

ونلمس هذه التأثيرات المتبادلة بصورة أوضح وذلك بالعودة إلى مهد الحياة البشرية على الأرض وإلى جذور العمارة البيئية وبالخصوص إلى المراحل التي تعود إلى حقبة ما قبل التاريخ.

وظهرت العمارة البيئية قديما في الحضارات البدائية في صورة محاولة الإنسان لتأقلموا والتعايش في بيئته، وتباينت صور هذا التأقلم من استخدام المواد المتاحة في البيئة المحلية في العمران مرورا بطرق استخدامها وتقنيات الابداع وانتهاء بالأساليب التي تتبعها للتعامل مع عناصر البيئة الفاعلة ومحدداتها من الأمطار والرياح والحرارة وضوء الشمس وغيره من العوامي الأخرى التي تكون فاعلة بشكل من الأشكال التي تظهر واضحة على المنشآت العمرانية في البيئة المحلية.

فلقد حددت العوامل الطبيعية لفترة ما قبل التاريخ علاقة هذا الإنسان بالبيئة المحيطة، فكانت هذه العلاقة بسيطة لا تخرج عن نطاق الصناعة الحجرية وتقنياتها، وحرقة الصيد وسبل الحصول على الفريسة وقطف والتقاط الطعام ووسائل جمعه وطهيه ، ولكن في سكن الكهوف والمغارات أو في العراء وما خلفه من ابداعات فنونه، إضافة إلى سكناه في البيت البدائي وطرق بناءه.

فكانت دواعي البيئة المحلية حينذاك وما توفره من مواد خام من الحجارة مكنته من صناعة أدواته وابتكار تقنيات لذلك وتطوير فعاليتها وتنوع أشكالها لتحقيق له غرض حاجته. كما كان للمناخ أثره البالغ على الإنسان حسب المناطق الشمالية من نصف

الكرة الأرضية المتميزة بكسائها بالجلديات ، أو النصف الجنوبي المتميز بالاعتدال وهطول الأمطار، فكان حينها الإنسان يتصارع مع هذه الظروف المناخية من اجل البقاء والاستمرار، فظل في عالمه البدائي مستشرفا بالبحث عن المأوى وعن الغذاء وقنص الحيوانات ليستفيد من ألبانها ولحومها وجلودها ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثنائاً ولباساً ومتاعاً إلى حين، أو من مجابهة الحيوانات المفترسة منها، ومن شدة برودة الطقس حيث لا ملجأ إلا إلى داخل المغارات والكهوف.

وكان الإنسان يعتمد في صناعة أدواته على المواد المتاحة في البيئة من حجارة وعظام وتراب وجلود وغيرها مما وفرتهم البيئة المحلية التي أقام فيها ولو بصفة مؤقتة. وحينما نشير إلى نوع المادة التي انتج منها الإنسان أدواته الحجرية في حضارات ما قبل التاريخ، فإننا نقف على المواد الطبيعية الخام ولا سيما الحجارة من الكوارتز والصوان اللذان كان مصدرا مفضلاً لإنتاج الأدوات والآلات الحجرية بأحجام وأشكال مختلفة، وباستعمال تقنيات متتالية حسب البيئة التي وجدت فيها.

فنجد الأدوات المصنوعة من الكوارتز منتشرة بنسبة كبيرة خلال المراحل الأولى من العصور الحجرية في فترة الباليوليتيك ، كما نجدها منحصرة في مناطق محددة. فلقد فضل الإنسان البدائي استخدام حجر الظران أو الصوان (Flint) في إنتاج أدواته، وذلك لوفرته في المحيط البيئي ، ونظرا إلى تركيبة هذه المادة الخام التي تكون أسهل في التشقق إلى شظايا أثناء عملية التهيئة والتعديل، وهذا إذا ما قورنت بأنواع الصخور غير وحيدة التركيب.

ويأتي من ضمن المواد الطبيعية من الحجارة المستغلة في المحيط البيئي الصخور الكوارتزية والبازلتية كالديوريت(Diorete) والكالسيدوني (Chalcedony) والجاديت (Jadete) والجرانيت (Granites) وذلك في البيئات التي يتعذر فيها الحصول على مادة الصوان.

ونظراً لتغير عوامل البيئة من منطقة إلى أخرى فإننا نجد أن استعمال مواد صخرية أخرى في صناعة الأدوات والآلات ذلك أن المادة الخام تتحكم فيها التكوينات الجيولوجية للأرض.

ويتضح لنا من خلال ذلك بان الإنسان لم يعتمد على الصوان رغم انتشاره بشكل واسع في بقاع الأرض كمادة وحيدة فقط لإنتاج المصنوعات، وإنما لجأ إلى مواد صخرية أخرى بديلة عنه تتوفر في المحيط البيئي بشكل لاف و متاح.

ومن ضمن المواد الطبيعية التي استخدمها الإنسان في صناعة أدواته وآلاته الحجرية، حجر الأوبسيديان (Obsidian) وهو صخر بلوري أسود لامع وحيد التركيب كالصوان ينتج عن النشاط البركاني، الذي عثر على نماذج مصنوعة من المادة في بعض بيئات شرق إفريقيا بكينيا، والبحر الإيحي بجيزة ميلوس، وفي وسط أوروبا.

وظهرت العمارة البيئية في الحضارات القديمة في صورة جديدة تدل على تطور الإنسان وعلى التأقلم والتعايش في بيئته الجديدة وتباينت صور ذلك في نماذج العمارة والتعمير من الآثار الباقية.

فنلاحظ أن إنسان الحضارات المصرية القديمة استخدم المواد المحلية وهي الطوب اللبن والبردى والأخشاب في منظوماتهم المعمارية الخاصة مثل مساكن العمال في حين استخدموا الأحجار الطبيعية ونحتوا في الجبال منظوماتهما المعمارية المقدسة مثل المعابد.

03-3- البيئة في سجل التاريخ الإسلامي:

وبالعودة إلى العمارة الإسلامية منذ مهدها المبكر نلاحظ أن هناك تناغماً وتناسقا في البيئة والعمران، ويظهر ذلك جلياً في المنشآت المعمارية والظروف البيئية المحيطة وكذلك القصد من البناء والتشييد.

ويمكن تفسير ذلك في تشييد العمائر وفقاً للحاجة التي تتلخص في تحقيق المأوى للأمن والسلامة والاستقرار بمراعاة تأثيرات العوامل المناخية، ومراعاة التقاليد

الإسلامية وتأثيرات الدين والمجتمع الإسلامي التي تعد أحد الشروط الخاصة بالعمارة الإسلامية.

ولاشك أن هذه الشروط قد اهتدى إليها المعماري المسلم من مصادر التشريع الاسلامي والتمثلة في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن القياس والاجتهاد.

فمن ذلك السيرة الفعلية للنبي المصطفى عليه أفضل الصلوات والتسليم، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما باشر تأسيس العمران الاسلامي في المدينة المنورة ، على المادة المحلية المتاحة من طين ولبن وخشب وغيرها، ولم يكن جلب المواد الإنشائية أو غيرها من غير موضع المدينة.

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية⁽¹⁾ ان مسجد النبي كانت سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل ، وأعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم انها نخرت في خلافة ابي بكر فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم انها نخرت في خلافة عثمان فبناها بالأجر.

وذكر أيضا بأن عمارة المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا كان مبنياً باللبن، وسقفه من الجريد، وأعمدته من خشب النخل ، فلم يزد فيه ابو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر، وبناه على بناءه في عهد النبي باللبن والجريد ، وأعاد أعمدته من الخشب ، وغيره عثمان رضي الله عنه⁽²⁾.

ومما ذكر ابن كثير في بناء مساكن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام⁽³⁾، أنها بنيت حول مسجده حجر لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكنَ قصيرة البناء، قريبة الفناء ، يستطيع الواقف بيده أن ينال سقف أطول حجر النبي. وجاء بناء المساكن حسبما نقله عن السيهيلى في الرُّوضِ، أنها كانت مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة فوق بعضها بعض ، وسقفها كلها من جريد. كما نقل عن البصري أيضا بانها كانت حُجْرُه من شعر مربوطة بخشب من عرعر، وفي تاريخ

¹ - ابن كثير(عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن عمر)، البداية والنهاية، تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء الرابع ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الاولى، مصر 1417هـ /1997م، ص 533

² - ابن كثير، نفسه.

³ - ابن كثير ، ص 545.

البخاري أن بابه عليه الصلاة والسلام كان يقرع بالأظافر ولم يكن لأبوابه حلق ، وقد اضيفت الحُجر كلها بعد وفاة ازواجه الى المسجد ومما نستلهمه من السيرة النبوية الاسلوب الذي اتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام عند تجهيز الأرضية وإعداد المواد التي سوف تستخدم في بناء المسجد⁽¹⁾، فقد أمر الرسول بالنخيل ان تقطع وبالقبور أن تتبش وتنتقل الى مكان آخر، وفي ذلك يحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول : كان في المرصد نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بالنخل فقطع وبقور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت ، وفي الوقت الذي كان يتم فيه اعداد الارض وتسويتها كانت عناصر ومواد البناء تجهز، حيث أمر البنائين بأن يضربوا اللبن وهو الطوب الذي تم استخدامه في بناء جدران المسجد.

وبعد الانتهاء من بناء المسجد اقطع الرسول عليه الصلاة والسلام الاراضي الفضاء المحيطة به للمهاجرين، كما اعطى الانصار بقية الاراضي الفضاء للرسول والذي بدوره وزعها أيضا على المهاجرين لبناء مساكنهم، وبذلك بدأت منازل القبائل تتوسع وتلتصق بعضها ببعض مكونة كتلة عمرانية حول المسجد، وبدا التكوين العمراني الاسلامي ياخذ شكل مدينة في المفهوم المتعارف عليه⁽²⁾.

ويظهر لنا من خلال هذه السيرة الفعلية للرسول في تنفيذ العمران، كان يتم من المواد المتوفرة في البيئة المحلية وبالتعاون والتلاحم بين ابناء المجتمع الواحد، كما يفيدنا بأن الاعتماد على المواد المحلية المتاحة في البيئة المحيطة له بعداً بالغ الأهمية وذلك من خلال ما ينبثق عنها من علاقة توافقية بين المواد الإنشائية المستخدمة وبين العوامل البيئية المؤثرة .

فالمواد الإنشائية المتوفرة في البيئنة تكون صديقة للمحيط البيئي حيثما استغليناها في صناعة العمران. وهذا ما يفسر لنا أن النباتات التي تتميز بهم منطقة وتختلف بهم عن المناطق الأخرى ، تعتبر كنتيجة للتأقلم بين النباتات والعوامل البيئية المختلفة التي

¹- وزير ي يحيى ،المرجع السابق، ص 42

²- وزير ي يحيى ،مرجع سابق، ص 34-44

لازمت نشأتها ونموها في زمان ومكان معينين، وهذه عبارة عن إشارة تدلنا على تأقلم النباتات مع الوسط البيئي الذي وجدت وترعرعت فيه ، وأصبحت احد العوامل المهمة في التأثير على صناعة العمران المحلي.

كما تعتبر خصائص التربة ببنية تكوينها وتنوعها من منطقة الى أخرى هي نتيجة إلى التكوينات المترتبة عن الترسبات والتوضعات التي تمت خلال حقبة ومراحل الأزمنة الجيولوجية في عصور ما قبل التاريخ وما حدث بعد ذلك من تأثيرات جيومورفولوجية على سطح الأرض خلال المرحلة الحديثة والمتأخرة.

ولذلك تكون هذه التربة في عملية صناعة العمران مهمة لكونها عنصرا متعايش ومتوافق مع البيئة والعوامل الخارجية المؤثرة فيها.

ونرى من خلال هذا العرض بأن الشروط التي يجب توفرها في العمران الإسلامي، هي البساطة، التلقائية، الخصوصية، والتوافق مع البيئة.

ويبدو أن هذا التوجيه والتدبير النبوي لشؤون المسلمين في العمران والاجتماع كان نابع ومتوافق مع حالة الناس وبيئتهم حينذاك.

ومن جهة أخرى فإن مضامين هذا الإرشاد جاءت محددة لأهم الشروط التي يجب توفرها في العمارة الإسلامية مثل البساطة والخصوصية والتوافق مع البيئة.

وقد سجل التاريخ على مرّ الزمان واختلاف المكان بأن هذه السمة والخصوصية أصبحت تقليداً معروفاً لدى المهندس والمعماري المسلم في تنفيذ وصناعة العمران، كما أن الحكام وأئمة المسلمين هم أيضا لم يبخلوا جهدا في السهر على المحافظة على هذا التوجيه النبوي، ونلمس هذه العناية بصورة جلية من خلال التوجيهات والخطابات التي صدرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الخلفاء الراشدين ومن سار على دربهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لقادتهم الفاتحين للأمصار الجديدة وذلك أثناء تنقلهم بالجند أو إقامتهم واختطاطهم لمدن مستحدثة.

فقد سار الصحابة والمسلمون الاوائل على نهج النبي نفسه في عمارة الارض والبيئة واستلهموا من اقواله وأفعاله المبادئ العامة في هذا المجال ، فلقد وضع عمر ابن

الخطاب دستورا لإنشاء المدن أذاعه على فاتحي الأمصار ومنشئها في صدر الإسلام فجعل المسجد محور المدينة بحيث تتفرع الشوارع الرئيسية منه⁽¹⁾.

وفي عهد عد عثمان بن عفان اقر امكان مشاركة الدولة في بناء المساكن الخاصة للفئات التي لا تستطيع ذلك حيث قام بدعم هذه الفئات بالأرض والمال اللازم لذلك⁽²⁾.

فكان لهذه العوامل أثر بالغ الأهمية في إيجاد نمط وطابع جديد للعمارة الإسلامية خلال هذه المرحلة الهامة، حيث برزت بملامح تشير إلى خصوصية تطبع كافة المنشآت المعمارية وتوحي إلى تفردا عن ما سبقها من تقاليد إنشائية بابتكاراتها المستحدثة بفعل تأثيرات البيئة المحيطة، وهي الدواعي والعوامل التي ساهمت مجتمعة في إيجاد هذا التميز والابتكار في العمارة الإسلامية.

ومما نلاحظه من اثر البيئة والعمران فيالعمارة الإسلامية هو اتجاه المعماري المسلم إلى العديد من المعالجات البيئية مثل استخدامالملاقف والقباب والأقبية والفراغات الداخلية وكذلك الأخشاب في المشربيات وغيرها.. وكل ذلك كان في إطار تأقلم الإنسان مع بيئته .

وهكذا إن كانالتأقلم بين الانسان والبيئة سائدا على مر السنين، فلم يتجه الإنسان إلى تجاهليئته مطلقا، وإنما حاول بشتى الطرق التأقلم مع عناصرها المختلفة وذلك بالتفاعل معها وإيجاد الحلول بعد ادراك الاسباب.

¹- وزير ي يحيى، المرجع السابق، ص 46.

²- وزير ي يحيى، نفسه، ص 47.

الفصل الثاني

الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم تيديكلت الشرقية

1. الإطار الجغرافي

2. الإطار التاريخي

3. أصل كلمة تيديكلت ومعناها

الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم تيديكلت الشرقية

1. الإطار الجغرافي

1.01. التعريف بالإقليم :

أطلق لفظ تيديكلت في أول الأمر على القسم الثالث من أقاليم توات الكبرى⁽¹⁾ وعاصمتها عين صالح⁽²⁾، حيث اعتبرها الباحثين والكتاب الذين أشاروا إليها في كتاباتهم إقليمًا ثالثًا قائمًا بذاته بتركيبته الجيولوجية ووحدته الجغرافية ورابطته الاجتماعية والثقافية.

ويأخذ إقليم تيديكلت مكانه من الجهة الشرقية الجنوبية من أقاليم توات ممثلة في قصور اقبلي وتيط واينغر وعين صالح وفقارة الزوي وفقارة العرب والساهلة⁽³⁾. فقد حددت تيديكلت من قصور رقان غربا إلى قصور فقارة الزوي شرقا، أي انه اشتمل على مقاطعات اولف واقبلي وتيط وجزء من رقان من ولاية ادرار، ومقاطعات اينغر وعين صالح وفقارة الزوي من ولاية تمنراست.

وانطلاقا من هذا التحديد الإداري جعلنا نقسم تيديكلت إلى قسمين رئيسيين وذلك حسب موقعه وحدوده الجغرافية، فيصير لدينا بذلك قسم في الجهة الغربية وقسم في الجهة الشرقية، ونحدهما اصطلاحاً بقسم تيديكلت الغربية تابع إداريا إلى ولاية ادرار، وقسم

¹ - سميت توات بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة أي انها تليق بها لان كل من قدم اليها من الاولياء المنقطعين تواتيه للعبادة ، فبذلك سكنها كثيرا من اولياء الله الكمل العارفين، وقيل من الأتوات أي المغارم والمكوس او الفواكه. انظر: - مولاي احمد الطاهري الادريسي الحسني، نسيم النفحات من اخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعبيق مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر 2010، ص 57-58.

² - تقسم توات إلى ثلاثة أقاليم حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر ولاية أدرار وشمال ولاية تمنراست وحدوده من قصور فقارة الزوي بعين صالح شرقا حتى قصور رقان غربا، أما إقليم قورارة فيقع في الشمال من اقاليم توات، وحدوده من قصر تيلكوزة شمالاً إلى قصر تساييت جنوباً، وأما اقليم توات فهو يقع في وسط اقاليم توات الكبرى. انظر:

- تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى ، كناش ملكي، المطبعة الملكية الرباط، 1381 هـ ، 1962م، ص02.

- الحاج التومي (سعيدان)، سكان تدكيت القدماء والاتكال على النفس ، دار هومة الجزائر، 2005، ص18 وما بعدها .

- ومحاضرة الشيخ باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار (د،ت).

⁽³⁾ - مولاي احمد الطاهري الادريسي الحسني، المرجع السابق، ص 61.

تيدكلت الشرقية الذي يتبع بدوره إداريا إلى ولاية تمنراست وهذا الأخير هو موضوع دراستنا.

وأردت من هذا التقسيم الجديد أن يكون متوافقاً مع التقسيم الإداري الذي رسمته الدولة الجزائرية المستقلة سنة 1962

وبهذا الشكل يتضح الآن لدى العامة والخاصة من الناس بأن لفظة تيديكلت الشرقية تعني ذلك التحديد الجغرافي الذي يحوي في حدوده مجموعة القصور والواحات والسباخ والعروق فضلا عن المرتفعات كالهضاب والسهول والوديان وغيرها من المظاهر والمناظر الطبيعية والمنشآت العمرانية التي تقع على سهل تيديكلت في جهته الشرقية، في حدود بلديات انغر في الغرب وعين صالح في الوسط و بلدية فقارة الزوى في الشرق، ومن منحدر عين الحجاج في جهة الشمال وسهل تيديكلت الشرقي في الوسط إلى منخفضات السباخ ومصبات الأودية في الجنوب والجنوب الغربي.

ويتضمن قسم تيديكلت الشرقية في الوقت الحالي بدءا من جهة الغرب إلى جهة الشرق مجموعة من القصور والواحات وهي موزعة ومدرجة في حدود البلديات الثلاث للإقليم السالف ذكرها ومنضوية أيضا في ثلاث مجوعات كبرى نذكرها في ما يلي:

1- المجموعة الغربية وتضم قصور وواحات انغر وهي على مرحلة من الجهة الغربية من عين صالح، وتعتبر ثاني اكبر التجمعات العمرانية بالإقليم وهي تضم الكتل المعمارية التالية:

أ- مليانة

ب- الشويطر

ت- السبخة

2- المجموعة الوسطى وتضم قصور وواحات عين صالح وهي اكبر التجمعات العمرانية بالإقليم وتضم عين صالح الكبيرة وضواحيها منها البركة وساهل المعروفة بسيدي محمد عبد الوهاب بن العالم وزاوية سيد الحاج بلقاسم والدغامشة وهنو...وبها من المزارات الشهيرة مقبرة الشهداء بالدغامشة ومقبرة كبيرة تدعى مقبرة سبعين صالح⁽¹⁾. وتتفرع هذه المجموعة إلى التجمعات المعمارية التالية:

(1)- مولاي احمد الطاهري الادريسي ، المرجع السابق، ص 67.

أ- الدغامشة وتعتبر ثاني الكتل المعمارية من حيث النشأة، وبه مباني بالية أقيمت على أنقاضها بنايات أخرى، وبها من العمائر أول مسجد بني بالمجموعة الوسطى وثاني مسجد تقام فيه صلاة الجمعة بالمنطقة بعد مسجد اقطن العتيق بالمجموعة الشرقية.

ب- قصر المرابطين وهو ثاني اكبر الكتل المعمارية حجماً بالمجموعة الوسطى وبه من العمائر الشاهدة والمميزة له عن غيره حفرت ركب الحجيج الشهيرة، وقصبة أولاد بلقاسم وقصبة أولاد الحاج ، والمساجد والمدارس القرآنية والمقابر والأضرحة والواحات والفقاقير التابعة لهذه الكتلة المعمارية.

ت- قصر العرب ويعتبر اكبر الكتل المعمارية بالمجموعة الوسطى وإقليم تيديكلت الشرقية عامة، وبه من آثار العمائر القصبة النواة للكتلة المعمارية لقصور وواحات المجموعة الوسطى، والقصبة المحصنة بالأبراج والأسوار، والسوق التجاري العتيق الذي بلغت شهرته إلى خارج حدود الإقليم والصحراء وحدود بلاد المغرب الإسلامي قاطبة، بالإضافة إلى المباني المدنية والمساجد والمدارس القرآنية والزوايا والمصليات والمقابر والأضرحة والفقاقير والواحات.

ث- البركة وهي قصر يقع غرب عين صالح وواحاتها ما زال بها بعض الفقارات حيه.

ج- الزاوية وتتميز بمخططها المعماري المتضام انطلاقاً من نواة مسجدها وساحتها العامة إلى البيوت التي تتجمع حوله، ويتجه إلى هذه البيوت عبر ممرات نافذة وأخرى غير نافذة، وتنتفتح على العالم الخارجي عبر شارعين رئيسيين احدها يوصل إلى واحاتها والآخر إلى الكتل المعمارية المجاورة، ومن المعالم الموجودة بها أيضا المدرسة القرآنية والمقبرة التي تتوسط الكتلة المعمارية بجوار المسجد.

3- المجموعة الشرقية وتضم قصور وواحات الساهلة واقطن والفقارة

أ- قصور الساهلة : وهي اول الكتل المعمارية التي تقابلك بعد صحراء المنيعه جنوبا اتجاه عين صالح (قرية الساهلة) وتنقسم إلى ساهلة غربية وساهلة

شرقية وسكانها كلهم اسخياء كرماء متعاونون على الخير والصلاح. (1) وتشمل هذه القصور مايلي:

أ- أ- مليانة كتلة معمارية فنية عمارتها ما عدا فقارة ربيها وجزء من واحاتها المتجددة. ما زالت حية.

أ- ب- المطارفة كتلة معمارية فنية عمارة مبانيها ما عدا مقبرتها المحفوظة حاليا بسياج، وواحاتها المتجددة.

أ- ت- هـو كتلة معمارية متجددة في مبانيها وواحاتها و فقارتها.

أ- ث- الساهلة التحتانية كتلة معمارية كانت بها قسبة معمارية أنت عليها عاديات الزمن ولم يبقى شاهد على ذلك سوى أساسات بناءها وفي احد أركانها ضريح الولي الصالح الشيخ الطالب محمد باسة، وقد توسعت المباني القديمة من حولها كما تجدد البعض منها، أما واحاتها فهي في تجدد متواصل، بينما فقاقيرها عرفت الإهمال واللامبالاة.

أ- ج- اجواليل (الجديدة) كانت بها قصور قد اندثرت وظلت واحاتها تجدد وفقاقيرها أهملت.

ب - اقسطن: وتقع هذه الكتلة المعمارية إلى شرق قصور الساهلة وبها قصر ايقسطن العتيق واهله طيبون كرماء متكافلون. (2) ومن نذر من تفرعاتها:

ب-أ- حاسي لحجار كتلة معمارية صغيرة اقيم على اثارها مباني حديثة

ب-ب- أغرم (تاغرمت) وهي النواة الأولى للعمارة والعمران بمنطقة تيديكلت الشرقية

ب-ت- آسول (3) وهي احد القصور القديمة التي سكنها البربر في ناحية اقسطن

(1)- مولاي احمد الطاهري الادريسي ، المرجع السابق، ص 66.

(2)- نفسه.

(3)- أسول جمعه ايسؤال. لفظ امازيغي بمعنى الصخر. وردت الكلمة في اسماء الاماكن والقصور ببلاد المغرب

انظر: معلمة المغرب (قاموس)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط 1989/1410

ص 455.

ونجد هذا المصطلح كثير الاستعمال ايضا وقد ورد في اسماء القصور ببلاد توات وتيديكلت..

ب- ث- عون الله

ب- ج- لفقييرة

ب- الفقارة : ويوجد إلى شرق اقسطن واحات وقصور فقارة العرب وفقارة الزوى
ومن سكانه اولاد سيدي محمد كفين الساهلة الشرقية من ذرية الشيخ سيدي
عبد القادر بن محمد الشهير دفين الابيض⁽¹⁾ ومن اهم الكتل المعمارية بها:

ت-أ-فقارة العرب

ت-ب- سلافن

ت-ت- حينون

ت-ث- الفقارة الكبيرة.

وفي الجدول الموالي نبين: نماذج من هذه القصور حسب حالتها في ماقبللفترة
الاستعمارية وما بعدها.

(1)- مولاي احمد الطاهري الادريسي ، المرجع السابق، ص 66.

الفصل الثاني: الإطار التاريخي و الجغرافي لإقليم تيديكلت الشرقية

الرقم	القصر . الواحة	المسافة عن عين صالح	الملاحظة
01	البركة	05 كلم غرباً	مباني مندثرة، فقارات حية، واحات متجددة
02	الدغامشة	03 كلم جنوباً	مباني مندثرة و متجددة، فقارات ميتة، واحات متجددة
03	قصر المرابطين	يشكل الجهة الجنوبية للتجمع العمراني بعين صالح	بقايا قصبات، فقارات ميتة، واحات متجددة
04	قصر العرب	يشكل الجهة الشمالية من عاصمة الإقليم	وبه قسبة القصر الكبير محصنة بالجدران الخلفية للبيوت وبدون أبراج ومعظم جدرانها زالت
05	الزاوية	03 كلم شمالاً	لا زالت تحافظ على تخطيط عمرانها القديم
06	هنو	12 كلم شمالاً	واحات ومباني متجددة بتجدد العمران
07	الساهلة الغربية	10 كلم شمالاً	اندثرت قصورها ظهور أطلال بعض القصور العتيقة وواحات متجددة
08	المطارفة	12 كلم شمالاً	قصور مندثرة ومهجورة، فقارة ميتة، واحات حية
09	مليانة	20 كلم شمالاً	اندثرت وفنت مبانيها ولم يبق من عمرانها حالياً سوى بعض الواحات وفقارة جارية ترويبها
10	اجواليل	08 كلم شمال شرق	اندثرت قصورها العتيقة وواحات متجددة
11	الساهلة الشرقية	10 كلم شمال شرق	لم يبق من قصباتها سوى أطلالاً من الجدران المحصنة والأبراج وواحات متجددة
12	حاسي لحجار	15 كلم شمال شرق	اندثرت قصورها العتيقة وواحات متجددة
13	اقسطن	20 كلم شرقاً	وبه أول قسبة بالإقليم المعروفة حالياً بحي تاغرم وبعض الأطلال تظهر من حين إلى آخر
14	لفقيقرة	25 كلم شرقاً	اطلال عمران الفقارة
15	فقارة العرب	40 كلم شرقاً	عمران الفقارة وبقايا مباني
16	فقارة الزوى	45 كلم شمال شرق	أطلال من القصابات المحصنة وعمران الفقارة
17	حينون	بلدية فقارة الزوى	بقايا عمران الفقارة
18	سلافن	بلدية فقارة الزوى	بقايا عمران الفقارة
19	انغر	58 كلم غرباً	لم يبق من قصباتها العتيقة سوى أطلالاً من الجدران المحصنة والأبراج وعمران الفقارة بعضها حيا يستغل في الري
20	مليانة (انغر)	بلدية انغر	عمران الفقارة وآثار المباني وواحات متجددة

ونشير في هذا الاطار إلى أن امازيغ التوارق المقيمين منهم والرحل كذلك - في حدود الإقليم الجنوبية والجنوبية الشرقية والشرقىة، في أراضي إقامة توارق الاهقار وارضى إقامة توارق ازجريطلقونعلى اقاليم توات لفظة " توات" وهم يعنون بذلك المقاطعات الثلاثة مجتمعة التي عرفت بأقاليم توات الكبرى وهي تضم القورارة والتوات والتيديكلت. وقد ورد هذا اللفظ عند الرحالة الذين زاروا الإقليم الذين كتبوا وأرخوا عن المكان من أمثال:

ابن بطوطة (ت. 779هـ) حينما ذكرها وهو في طريقه إليها من تكدا قائلاً: ((وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة، إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات... ووصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات... ودخلنا بودة وهي من اكبر قصور توات وأرضها رمال وسبخة وثمرها كثير...))⁽¹⁾.

وابن خلدون (ت. 808هـ) الذي ردد ذكرها كثيرا في تاريخه فمن بين ذلك وصفه لها بمعية القصور الصحراوية و ما كانت تجود به من خيرات فلاحية بلغ فضله بلاد السودان في قوله: ((وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرانين ووركلان))⁽²⁾.

وليون الافريقي (ت بعد عام 950 هـ/1550م) وذلك لما أشار إلى التقسيمات الخمس لصحراء صنهاجة واعتبرها الموطن الذي يسكنه شعب بربر التوارق في قوله: ((تبتديء الصحراء الثالثة عند تخوم الآير غرباً وتمتد إلى قفر إيغيدي شرقاً، وتتاخم شمالاً مغازات توات وتيكورارين ومزاب))⁽³⁾.

ومؤرخ بلاد السودان عبد الرحمان السعدي وذلك في ذكره لسلطان مالي العادل ككنن موسى أثناء خروجه لضم مملكة سنغاي، فكان وصفه مهم يندرج ضمن أصول تسمية الإقليم لما قال: ((ومشى بطرق ولّات في العوالي وعلى موضع توات فتخلف هنالك كثير

(1)- ابن بطوطة (الإمام ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، القاهرة مصر، 1322هـ ، ص 251 و 252.

(2)- ابن خلدون (732- 808هـ ، 1332- 1407م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء 01 المقدمة، ضبط /خليل شحادة ومراجعة / سهيل زكي، طبعة مستكملة ومقارنة بعدة نسخ، دار الفكر، بيروت لبنان 1421هـ 2001م، ص 70.

(3)- بن محمد (الحسن الوزان الفاسي)، المعروف بليون الافريقي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1983م، ص 151.

من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضوع باسم تلك العلة..⁽¹⁾.

وجاء ذكره لتوات أيضا عند ذكره لنشأة بلاد تنبكت حينما قال: ((.. وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووحيل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالت وفاس وسوس وتيط الى غير ذلك..))⁽²⁾.

وأبوسالم العياشي (ت.ق.11هـ) حيث قال ((ودخلنا أول عمالة توات ، وهي قرى تسسابيت وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الرأس))⁽³⁾.

ويذكر فرج محمود بأن الرحالة الأجانب ذكروا بلاد توات في معظم كتاباتهم بعد مرورهم واكتشافاتهم لهذه المنطقة ومن أشهرهم الرحالة الألماني جير هارد رولف⁽⁴⁾

والمؤكد في كل هذا أن منطقة توات ضاربة في أعماق التاريخ ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير فيغضون القرن الرابع الهجري⁽⁵⁾. و أدل شيء على ذلك هو كثرة الحديث عنها فيكتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم بالإضافة إلى المستكشفين الغربيين.

أما من علماء المنطقة ورجالها المعروفين، فقد كتب عنها كثير من العلماء والمشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

(1)- السعدي (الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر المعروف بالسعدي) ، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية والشرقية، باريس 1981، ص07

(2)- السعدي، المصدر السابق ، ص 21.

(3)- العياشي (أبو سالم)، الرحلة العياشية المعروفة بماء الموائد، الجزء الأول . تحقيق محمد حاجي ، ط2 ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر ، المغرب 1397هـ/1977م ، ص 20 .

(4)- زار الرحالة الألماني جير هارد رولف الإقليم سنة 1864 م وتحدث عنها في كتاباته..

انظر فرج (محمود فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 79 .

(5)- هو واد كبير ابتداءه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يمينا في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة .

انظر الرحلة العياشية ، المصدر السابق، ص18 .

الشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي حين وصفها قائلاً: ((توات هي صحراء في وسط المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون...))⁽¹⁾.

والشيخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري فقال: ((توات ارض ذات سباح كثيرة الرمال والرياح لا يحيط بها جبال ولا أشجار...))⁽²⁾.

بالإضافة إلى مشايخ آخرين ذكروها في كتاباتهم من أمثال الشيخ سيدي عبدالقادر بن عمر⁽³⁾ (ت.1121هـ) بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التتاني⁽⁴⁾ (ت.1189 هـ) .

01-2- تحديد إقليم تيديكلت الشرقية:

تعني تيديكلت الشرقية هي كافة العمائر التي تقع داخل حدود كل من بلدية انغر وبلدية عين صالح وبلدية فقارة الزوى وهي المراكز الرئيسية للتجمعات السكنية بالإقليم، وتتبع إداريا إلى ولاية تمنراست التي تقع إلى جنوبها.

وتعتبر تيديكلت الشرقية من المناطق الفلاحية ذات الطابع المعيشي وشبه تجاري منذ القدم. حيث تزخر بتربة خصبة وتتمركز في موقع استراتيجي يربط أهم الطرق التجارية القديمة بوسط الصحراء الوسطى، حيث يجاور الإقليم من جهاته الأربعة أسواق المدن التجارية الكبرى وهي أسواق باقي مدن أقاليم بلاد توات من الغرب، وأسواق مدن بلاد

¹ - البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، درة الاقلام في اخبار المغرب بعد الاسلام، مخطوط بخزانة ابناء عبد الكريم، المطارفة ولاية أدرار، ص 01

² - مولاي أحمد الإدريسي الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، مخطوط خزانة الشاري الطيب، ص03 ..

³ - تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار .

⁴ - تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمان بن باعومر ، ص01 وما بعدها . المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار .

ميزاب من الشمال، وأسواق مدن بلاد الهقار من الجنوب، وأسواق مدن بلاد أزجر من الشرق.

كما تزخر بموروث ثقافي وطبيعي عريق⁽¹⁾ ساهمت في بناءه وتشكيله مجموعة من العوامل البيئية المختلفة وأظهرته على الشكل الذي نراه به على الطبيعة، وقد كان تأثير هذه العوامل البيئية واضحاً، حيث برز ذلك في التنوع والثراء التراثي بشقيه الطبيعي والثقافي الذي أهلها بدوره لتكون من ضمن المناطق المصنفة والمحمية ضمن ديوان الحظيرة الثقافية للاهقار⁽²⁾ (O.P.C.A) بمرسوم رئاسي تحت رقم 231/87 المؤرخ بتاريخ 1987/11/03⁽³⁾. (انظر الخريطة رقم 01).

3.01. موقع تيديكلت الشرقية:

تقع تيديكلت الشرقية في وسط الصحراء الكبرى على بعد 1300 كلم تقريبا عن العاصمة الجزائرية وعن ولاية تمنراست بمسافة تقدر ب 650 كلم.

تتحصر المنطقة في حدود خط طول 0°، 6° وخط عرض 24° و 30°. وجغرافيا تحدد بين خطي طول 2° و 4.10° ، وخطي عرض 16°، 25° و 25°، 28°⁽⁴⁾ (الجدول رقم 03 /أ).
يحد المنطقة إداريا من جهة الشمال بلدية المنيعه ومن الشرق بلدية ادلس بولاية تمنراست وبرج عمر إدريس بولاية ايليزي، ومن الجنوب بلدية عين أمقل بولاية تمنراست ومن الغرب بلدية تيط بولاية ادرار (انظر الخريطة رقم 02).

وطبيعياً يحد إقليم منطقة تيديكلت من الشمال هضبة تدمایت Tadmit ومن الشرق يستمر امتدادها في منبسط سهلي إلى تمليت Tamelt في أزجر Ajjer ومن جهة

¹ - من المعالم التراثية و الحضارية لمنطقة تيديكلت الشرقية: القصور القديمة، المباني الدينية والغابات المتحجرة، النقوش الكتابية، معالم الوسط الحيواني والمادي والطبيعي

* - أنظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية- المرسوم رقم: 231.87 المؤرخ في

03-11-1987م

² - وهذا اسمها الجديد ابتداء من 16 فبراير 2011م ، انظر المرسوم رقم 87/11 مؤرخ في 18 ربيع الأول عام 1432هـ الموافق 21 فبراير سنة 2011م، ص21.

كانت تسمى بديوان الحظيرة الوطنية للاهقار (O.P.N.A)

³ - الجريدة الرسمية، المصدر نفسه

⁴ - انظر في: أرشيف بلدية عين صالح، مخطط التهيئة العمرانية لدائرة عين صالح.

الجنوب جبال اميدير Imidir التي تقع بين منطقتي تيديكلت والهقار ومن جهة الغرب والجنوب الغربي تحدها السباخ وهي المحل الذي تترسب فيه المياه التي تأتي إليها عبر الأنهار والأودية الباطنية من مختلف الجهات.

وتبلغ مساحة تيديكلت الشرقية مجملة حوالي 218, 134 كلم²، منها بلدية عين صالح بمساحة تقدر ب: 43.937.50 كلم²، و بلدية أنعر ب 28.968.75 كلم²، وبلدية الفقارة ب: 61.312.50 كلم²(1).

4.01. التكوين الجيولوجي والمورفولوجي للإقليم:

يُعد هذا العامل ذا أهمية كبيرة في العمران التقليدي بإقليم تيديكلت ، حيث ارتبط العمران منذ القدم ببعض المواقع التي لها ميزات خاصة في التكوين الجيولوجي للمنطقة، فقد اتسمت طبقاتها بالميل والانحدار من مستوى أعلى إلى مستوى أدنى(2)، ولذلك كان اختيار المواقع العمرانية مرتبط بتراكيب جيولوجية معينة تساعد على تفجير الينابيع الطبيعية وحفر الآبار وكقاعدة لتأسيس العمائر عليها، وهذا ما سهل بشق وتفجير "الفقارة"(3)، على وجه الأرض التي لا يمكن أن تفجر إلا حيث يمكن إنشاء نفق يمتد أفقياً في الطبقات الصخرية الحاملة للماء الباطني ، و تنفيذه يستدعي وجود الطبقات التي لها نفس الميزات والخصوصيات.

¹ - انظر في: أرشيف مديرية الإحصاء لولاية تمنراست، ملخص إحصائيات ولاية تمنراست لسنة 1996.

² - Capitaine LO, Les foggaras des Tidikelt, Travaux de L.I.R.S, année 1953, TOME 10, p 163.

³ - والفقارة هي من العمائر الرئيسية التي قامت عليها الحياة في هذا الجزء من الصحراء الكبرى كما تعد من بين الأسس القديمة في الزراعة التقليدية حسب ما ترويه الذاكرة الشعبية وما أشارت إليه بعض الدراسات المتأخرة ، وتواجدت الفقارة على مستوى كافة قصور أقاليم توات منذ القرن الرابع والخامس هجري، للإطلاع على الفقارة وتاريخها انظر :

-Capitaine LO, op.- cit., p142

وقد ارتبطت واحات هذا الإقليم، بحكم كونها منخفضات، بالتركيب الجيولوجي الذي يسمح بالحصول على الماء الجوفي بسهولة وعلى أعماق قريبة نسبياً من المناطق المحيطة بها ، كما هو الحال في واحات اقسطن أولى الواحات المنشأة بالإقليم ومليانة والساهلة وغيرهم.

ومن هذا المنطلق يكون العمران التقليدي بالإقليم قد ارتبط منذ البداية بمثل هذه المناطق الجيولوجية الملائمة وهي مناطق السهول والمنخفضات التي تتوفر على الماء وسهولة استخراجها حسب الميل المنتهج في تقنية صناعة الفخارة ليخرج على سطح الأرض دون استعمال وسائل الجلب أو الخطف ليستفيد منه الإنسان والحيوان والنبات.

ومن هنا نشير إلى أن تراجع منسوب مياه الفخارة أو غمره يؤدي بهجر الناس من هذا المكان الذي صعبت الحياة فيه وأرغمتهم إلى التنقل نحو مواضع جديدة تكون بمنأى عن الغمر وأكثر ملائمة لهم للعيش فيه.

وتشير لنا الشواهد المادية والتاريخية والمخلفات الأثرية على تسجيل أحداث عديدة من التنقل والهجر للأفراد والجماعات بسبب غمر المياه أو افتقاره وجفافه بالمكان المأهول أو الذي فضل ليكون كذلك، فهناك العديد من المواضع البدائية للاستقرار العمراني والبشري قد اختفت وأصبحت مفقودة بالنسبة لنا، حيث تشير لنا تلك الدلائل الأثرية إلى هجران السكان من بعض المواضع العامرة حينما انخفض منسوب الماء الجوفي من أراضيها ومنابعها، ومثالنا على ذلك ما تدله أطلال واحة مليانة الواقعة إلى الشمال من واحة السهلة الغربية، وكذلك القصر العتيق ب اقسطن، حيث أفادتنا الذاكرة الشعبية بان السكان القدامى عرفوا حركة نقل من مواطن استقرارهم الأولى إلى مواضع جديدة أوفر ماء، وكانت هذه المواضع الجديدة ممثلة في عين صالح عاصمة الإقليم.

ويعتبر الإقليم من المناطق المستقرة جيولوجيا حيث لم تسجل في تاريخه أية هزة أرضية خطيرة وقعت به، ولعل ذلك يعود إلى تكوين تربة الإقليم التي تتميز بتربتها الرملية والطينية، إضافة إلى التربة الجيرية والحجارة. فقد ساعد هذا التنوع والثراء بالمواد المتاحة

من مكونات التربة في التعمير والعمارة دون تكلفة، نظرا إلى البنية التركيبية للتربة من جهة وإلى توفر وسهولة التشكيل من جهة ثانية، فكل ذلك يوجد ضمن هذا الوسط البيئي المحلي دون عناء لجلبه من المواطن المجاورة.

كما تتميز هذه التربة أيضا بوفرة مياهها السطحية التي تتراوح معدلات العثور عليها في أغلب الأحيان بين 01م و20م عن سطح الأرض، وهذا ما شجع الأهالي على الإقدام إلى حفر آبار الفقارة منذ أمد قديم وبأبعاد ومستويات مختلفة وبمنظور تقنية فريدة ودقيقة لاستخراج المياه الجارية على سطح الأرض دون الحاجة إلى استعمال الدلو أو الخطّاف لجلبها من الآبار، أو النواعير كما هو الشأن في بلاد الشام. ولعل بنية تركيبية هذه التربة من النوع الهش هو ما ساعد الأهالي في استخراج المياه بسهولة ويسر، بل أكثر من ذلك كلما دعت الحاجة إليه، وهو ما كان له الأثر في انتشار ظاهرة تقنية الفقارة مثلما أشرنا سابقا، فأصبحت لكل واحة أو قبيلة أو جماعة مصدرا للماء خاص بها وهو الفقارة أو البئر في بعض الأحيان.

وقد أشار ابن خلدون إلى هذا المصدر المائي وطريقة استخراجها الغربية في مثل هذا البيئة الصحراوية في تاريخه قائلًا: (...وفي هذه البلاد الصحراوية إلى ما وراء العرق غربية في استنباط المياه الجارية... لا توجد في ثلول المغرب وذلك أن البئر تحفر بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا، وهذه الغربية موجودة في قصور توات...)⁽¹⁾.

5.01. تضاريس الإقليم:

تتميز جغرافية المنطقة بوجود سلسلة من المرتفعات تحيط بها من الشمال والشمال الشرقي والغربي، وذلك على شكل قوس كبير يتجه من الشمال الشرقي نحو الشمال الغربي.

¹ - عبد الرحمان (ابن خلدون)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959، ص 118.

وتخلل هذه السلسلة من المرتفعات عدة أودية وتقطع السهل الفسيح، منها الأودية الباطنية ومنها الأودية السطحية الجافة التي لا تتعم بالحياة إلا نادرا. فمن الأودية السطحية نذكر وادي عين الحجاج ووادي الكرعين ويقعان إلى الشمال من عين صالح، وأما الأودية الباطنية فنذكر منها وادي مليانة ووادي تغبارة⁽¹⁾ وهي تقع على السهل الفسيح.

ويتميز السهل بسطح غير منتظم وذلك بسبب تعاقب منخفضات وديانه ومرتفعات جباله الحجرية وكثبان الرملية بالإضافة إلى الهضاب التي أنشئت عليها العماير ، وتتمثل في الآبار المفجرة والواحات المثمرة والمباني المشيدة.

وتظهر لنا أراضي الواحات بارزة على طول مسار الوادي القديم لتيديكلت الشرقية من غربه نحو شرقه، بداية من واحات قصور انغر غربا إلى حدود واحات قصور فقارة الزوي شرقا.

6.01. المناخ

يتضح لنا من خلال الرسم البياني الجداول التوضيحية أن المنطقة تمتاز بمناخ صحراوي جاف يتميز بالحرارة الشديدة خلال فصل الصيف حيث تبدأ بالارتفاع مع بداية شهر مايو لتصل وتتعدى في شهر يوليو وأغسطس 50 درجة مئوية، ثم تبدأ بالانخفاض إلى جو معتدل ثم بارد بداية من شهر ديسمبر لتصل أدناه في شهر فبراير ومارس إلى 30 درجة مئوية (الجدول 03/ب).

¹ - تغبارت مؤنث اغبار مصطلح في لسان بربر صنهاجة للدلالة على منبع مائي او العين الضفوف الكثيرة الماء وهي محورة من كلمة اغبال بدل لام الكلمة را على عادة الصنهاجيين في ذلك .

انظر: حسن رامو، المصطلحات الجغرافية الامازيغية، الجزء الثالث، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 27، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2011...ص 44-45.

- وتغبارة هو اسم واد على منبسط سهل تيديكلت على بعد 35 كلم غرب عين صالح

وتهب الريح في هذه الديار بشكل موسمي، رياح شتوية شرقية خلال شهر فبراير ومارس وتسبب في تشكيل الكثبان الرملية وتلقيح النخيل. وريح صيفية غربية تقلل من شدة درجة الحرارة وتسبب في رشم بلح النخيل.

أما تساقط الأمطار فهي نادرة إلى منعدمة خلال السنة، حيث لا تتعدى نسبة سقوطها 01 مم أثناء التساقط في فصل الشتاء بداية من شهر جانفي إلى ابريل وذلك في شكل وابل أو عوارض من المطر لفترات زمنية محددة. (الجدول 03/ت)

ونظرا لتمييز الإقليم بمناخ صحراوي قاس بارتفاع درجة الحرارة وشدة البرودة وشدة هبوب الريح وقلة التساقط لكونها عوامل بيئية ذات تأثيرات خاصة، فان ذلك سينعكس تأثيره على الحياة العامة حيث يضطر السكان إلى البحث والتفكير لإيجاد حلول مناسبة بغرض التأقلم والعيش الآمن في وسط بيئي يدعو إلى ذلك.

وبلا شك أن تأثيرات هذه العوامل التي تتدرج ضمن مقومات بيئة الأقاليم الصحراوية نجدها في النماذج العمرانية المشيدة حيث يكون ابتكار وتكرار عناصر هي بمثابة حلول تستجيب إلى الضرورة البيئية الملحة وتبرز مفصلة في الوحدات الفردية أو الوحدات المتكثلة، حيث يبدو فيها عنصر السطح والفناء مثلا لتقليل غيظ الحرارة ولتلطيف الجو، كما يمثل كتل المباني وضيق شوارعها وتعرجاتها أحد الحلول للتقليل من قوة الريح وكسرها، وهناك أيضا عنصر الميازيب لتصريف المياه من سطح المباني تحسبا لهطول الأمطار الفجائية.

2. الإطار التاريخي

على الرغم من أن الأبحاث الخاصة بالتاريخ القديم لإقليم تيديكلت محدودة عموماً ، إلا أن النتائج الأثرية الخاصة بالعمران القديم محدودة للغاية ، ومع ذلك فهي تشجعنا مع مواصلة البحث إلى التأكيد بأن المنطقة عرفت الاستقرار والحضارة منذ زمن موغل في القدم ويدل على ذلك العديد من آثار القطع الفخارية التي نصادفها من حين إلى آخر في الخراب البالية أو كالتى نعثر عليها في أطراف الأودية الجافة ، وعلى الرغم من فناء هذه الأودية التي أخفت معها كثير من الآثار الدالة على ذلك إلا أن الصدفة تبشرنا أحيانا بموجودات تتكشف حينما تهب الرياح فتظهر خرائب بالية أو تخطيطا عمرانيا أو آثارا لصنائع فخارية أو لأدوات حجرية.

1.02. مرحلة ما قبل التاريخ:

ولا يزال الناس إلى الآن يعثرون من حين إلى آخر على آثار هامة تدل على العصور القديمة بمتخالف مراحلها ما قبل التاريخية والتاريخية التي مرّ بها الإقليم ، وادل بعض اللقى المكتشفة على ان هذه البيئة شهدت سنوات تميزت بمناخ رطب منذ آلاف السنين دلّ على ذلك مخلفات الأصداف الحلزونية و متحجرات للأسماك والقناذ البحرية، هذا فضلا عن الأشجار المتحجرة للصنوبريات والطحالب وغيرها من النباتات التي عاشت في بيئة رطبة ولم تستطيع المقاومة والاستمرارية في البيئة الجافة التي حولتها بفعل عاديات الزمن إلى انطباعات متحجرة في الشكل التي وجدت ونراه عليه الآن. وتوجد هذه النماذج في أحراش منطقة فقارة الزاوية إلى الشرق من الإقليم ، وفي أحراش منطقة انغر ومنطقة كويمبي إلى الغرب من الإقليم، كما صادفنا من خلال تنقلاتنا على أصداف وحيوانات بحرية متحجرة بمنطقة مليانة إلى الشمال من الإقليم.

ولقد تم التعرف على عدد مهم من المواقع الأثرية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ على طول وادي تيديكلت القديم وعلى مختلف المواقع التي أقام بها الإنسان ولو حين من الدهر خلال العهود القديمة، وذلك عن طريق الدراسات وأعمال التنقيب التي

أجريت بهذه المنطقة من طرف المنقبين عن الآثار في هذه الجهة من صحراء الجزائر، أو عن طريق العثور عليها من قبل أعوان حماية التراث العاملين ضمن ديوان الحظيرة الثقافية للاهقار، هذا فضلا عن جامعها من طرف هواة جمع التراث الذين لا يستهان بما جمعه من لقي وأدوات أثرية هامة.

وتحتوي هذه المواقع الأثرية على كميات مهمة من الأدوات الحجرية التي صنعها إنسان ما قبل التاريخ. وقد استخدمت لأغراض مختلفة مرتبطة بأحجامها وأشكالها المتنوعة، وهي شبيهة بالأدوات الحجرية الأخرى الموجودة في مواقع ما قبل التاريخ بشمال المغرب الإسلامي.

وهذه الأدوات عبارة عن أحجار مصقولة استعملت للقطع ولتصليح جلود الحيوانات و للحفر وللنقش على الحجارة مثل النصال والشفرات أو للصيد كرؤوس الرماح والسهام والفؤوس اليدوية، أو للاستعمال اليومي كالفخاريات وقد عثرنا على مجموعة من هذه الأدوات في شرق الإقليم بواد اللعافية إلى الشرق من بلدية الفقارة على مسافة 150 كلم تقريبا إلى جانب الأدوات التي عثر عليها في موقع عين الحجاج على مسافة 90 كلم شمال مقر الإقليم⁽¹⁾.

ونصنف هذه الأدوات المكتشفة مبدئياً من خلال ملاحظتنا الأولية ضمن حضارات العصر الحجري القديم التي قد يصل تاريخها إلى أكثر من مليون سنة قبل الميلاد، وحضارة العصر الحجري الحديث التي يعود تاريخها في الصحراء إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، بالإضافة إلى المعالم الجنائزية المكتشفة بضواحي بلدية انغر والتي تمثل نسبة معتبرة منها في الجنوب الغربي من الإقليم.

وتدل لنا هذه الشواهد الأثرية التي ذكرناها على شيء مهم يتمثل في تواجد الإنسان بالإقليم منذ الفترات الأولى من عصور حضارة الحجارة، كما يشير لنا هذا بدوره على

¹ - ك إبراهيم، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير سنيتي و رشيد بورويبة، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، لجزائر 1982م ، ص07.

توفر ظروف عيش، كانت جدّ ملائمة بالمنطقة آنذاك، فسمحت للإنسان بالحصول على حاجياته الكافية من الماء والغذاء في بيئة مطيرة ومعشوشبة.

ونزيد تأكيداً لهذا الطرح من خلال ما عثر عليه من الرسوم والكتابات المنقوشة التي خلفها إنسان ما قبل التاريخ في مختلف ربوع الإقليم، وكان ذلك على البلاطات الصخرية والتي بلا شك أنه أقام بجوارها ولو لفترة مؤقتة، وعبر عن الوسط البيئي الذي شاهده حينذاك، وأخصها في الجدول التالي:

الموقع	المسافة عن عين صالح بالتقدير
تغتمين Teghta mine	تبعد ب 200 كلم شرق الطريق الوطني رقم 01
افغلل Afeghlel	تبعد 15 كلم عن تغتمين.
تيزنفرول Tezenfrouel	غرب افغلل 40 كلم وعلى عين صالح 180 كلم تقريبا
ابدغا Abedegha	تبعد ب 200 كلم عن عين صالح اتجاه محور فقارة الزوى
القطارة Elgettara	تبعد ب 110 كلم عن فقارة الزوى
قارة الرجم Garret Rejem	تبعد ب 115 كلم غرب عين صالح (الجنوب الغربي)
قارة الذهب Garret Dahab	تبعد ب 125 كلم غرب عين صالح
القارة الزرقاء Garret zarga	تبعد ب 03 كلم جنوب أنغر

ويعد هذا الفن الصخري من التراث الثقافي المهم الذي يزخر به الإقليم، وهو يكتسي أهميته الخاصة لكونه يمثل لنا تأريخ رسم الحروف والنصوص القديمة للكتابة الليبية للأمازيغ والمعروفة باسم تافيناغ.

ومن ثمة يكون الإنسان في ظلّ هذه السنين قد ابتكر طريقة جديدة للتعبير والتواصل مع أبناء جنسه ، وهو ما يمكن اعتباره حدثاً تاريخياً هاماً في المسيرة الإنسانية عامة وفي هذا

الإقليم خصوصاً، ومنها يكون إنسان هذه الفترة قد خرج وبصورة واضحة وشاهدة على ذلك من عالم عصور ما قبل التاريخ إلى عالم الفترة التاريخية.

2.02. الفترة الإسلامية:

وتشير الفترة الإسلامية بالإقليم إلى أهم ملامح ومظاهر العمران الذي على إثره بدأت الحركة العمرانية في الظهور والنمو، وساعد على ذلك ظاهرة النزوح الكبير الذي شهده الإقليم من قبل الوافدين إليه عبر المسالك والطرق القديمة التي كانت تربط الإقليم بمختلف حواضر بلاد العالم الإسلامي وجنوب الصحراء، وتعزز ذلك باستقرار الوفود من القبائل والفرق في مختلف أنحاء الإقليم مشكلة تجمعات وكتل عمرانية حسب الانتماء ووفرة الكلاً والماء والعيش في أمان من الجوع والخوف.

وقد ساعد أكثر على استيفاء العمران بركائزه الأساسية من خلال الصلة التي تكونت بين مختلف الأعراق والأجناس من الذين هم قارين بهذا الموطن من الصحراء الخالية مع الذين لحقوا بهم وحطوا رحالهم إلى جانبهم واختلطوا معهم، وأيضاً مع أولئك الذين يترددون على الإقليم في أوقاتهم المعلومة من التجار وعابري السبيل، فقد كان لكل هؤلاء إسهاماً في رسم تخطيط معالم الإقليم السياسية والدينية واللغوية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت تجمعهم رابطة الأخوة والدعوة والتعاون والتكامل بين كافة الناس.

وكان بفضل هذه السمات المحمودّة التي طبعت وسادت على حياة الناس بالإقليم ، أن بدأت تظهر علامات العمارة والعمران ونموه وتوسعه في مختلف جهات وأحاء هذا الإقليم.

2-3-1- نشأة تيديكلت (عواملها وأهميتها وخصائصها)

حل بمنطقة الصحراء الوسطى في فترة من العصور الوسطى الإسلامية القريبة جذب الكلاً في مراعيها بأوديتها وسهولها التي باتت جافة وظل الرعاة يتنقلون من منطقة إلى أخرى بحثاً عن المرعى الذي يوفر الكلاً.

فكانت من بين هذه المناطق منطقة تيديكلتفي قسمها الشرقي الذي شد انظار العابرين لهذه الجهة من قوافل التجار وقوافل الرعاة الرحل الذين توغلوا في الصحراء منذ امد بعيد وظلوا يجوبونها طولا وعرضا.

وكانت هذه الخصوصية تتردد على السنة الجماعات من الذين يقيمون في المواطن القريبة منها وفي الحواضر التي ترتبط معها عبر المسالك التجارية.

فكان من الذين شدت انظاره إلى هذه الجهة أحد الرعاة يكنى باسم صالح الذي توجه إلى هذه الجهة بعدما اعلم من قبل الذين مروا عليها بأنها ذات عشب وماء وفيرين تمكن السائمة من الكلاً في مراعيها والارتواء من مياهها.

وخلال هذه الفترة ايضا من العصور الاسلامية الوسطى كانت هناك بعض القلاقل والفوضى في شمال المغرب الاسلامي بسبب الصراع السياسي والفكري والظلم الاجتماعي، وخاصة بعد رحيل الفاطميين عنه⁽¹⁾، فقامت جماعة من الذين ضاقوا ذرعا من هذه الاوضاع باللجوء إلى مواطن أخرى بعيدة عن ذلك حقناً لأرواحهم وحفاظا على مذهب دينهم وضمانا لأمنهم من الجوع والخوف.

فقد كانت تيديكلت على غرار غيرها من مواطن اقاليم توات الكبرى احد هذه المواطن التي قصدها الجماعات اللاجئة فراراً من وجه اعداءهم، او مهربا لعدم رضاهم عن بطش السلطان وسياسة الحكم عندهم، فضلوا سكنى قفار الصحراء على الخضوع لحكامهم، فعند منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وبعد قيام دولة الموحدين وما نتج عن ذلك من تعقبهم للفرع الزناتي من القبائل البربرية وغيرهم من القبائل، قد دفع بأعداد كبيرة من قبيلتي مغراوة وبنو يفرن بعد قتل اميرهم مسعود بن وانة المغراوي إلى النزول بواحات الصحراء باقاليم توات⁽²⁾ .

فكان اول من نزل بها وبنى بها القصر الأول هم اللمتون اولاد الملك يوسف ابن تاشفين حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس على يد العبيديين، فجاؤوا هاربين وفارين إلى أن

¹ - فرج (محمود فرج)، المرجع السابق، ص15.

² - فرج محمود فرج، نفسه.

بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجذب فعرفوا انها أرض أمان لأن الجند لا يطيق المقام بها ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء وحفروا الماء واستوطنوا بها⁽¹⁾.

ومن القبائل النازحة ايضا قبيلة اولاد محمد وقبائل اولاد نسلام بكل تفرعاتها الذين انتشروا في مختلف نواحي الاقليم والحواضر التي تجاوره كالذين حلوا بتقوت والذين استوطنوا في تيديكلت بعد خروجهم على يد الشيخ عمر بن محمد بأمر السلطان اسماعيل بن الشريف سلطان المغرب 1727/1642 من سلالة العلويين الفلانيين الحسينيين الثانية⁽²⁾.

ومن القبائل التي نزلت وعمرت بالإقليم التواتي اولاد يحيى، وكذلك المرابطون الذين نزحوا من فزان قد شيّدوا القصور والديار والأضرحة والمقابر وكذلك المساجد المحترمة⁽³⁾ واستخرجوا المياه، وتحتها عمروا الجنان فشكّلوا بذلك الواحات.

حيث كانت هذه الظروف مجتمعة احد العوامل التي ساهمت في نشأة تيديكلت عامة وتيديكلت الشرقية تحديدا.

ففي ذلك الوقت كانت الصحراء الوسطى جنوب المغرب الاسلامي آمنة ومستقرة وتزدهر بها تجارة القوافل المتجهة نحو جنوب الصحراء او شرقها نحو بلاد المشرق الاسلامي حيث كانت حينذاك محل استقطاب للذين يرتزقون من حرفة التجارة مثلما كانت أيضاً وطنا بديلا وأمانا من الجوع والخوف للجماعات التي غلبت على امرها بفقد هيبته وسلطانها في الحكم او الضغط عليها في ممارسة العبادات او تضيق حرياتهما في المعاملات.

ومن ثمة كانت قد حطت رحالها بهذا الوطن البديل بجانب الجماعات الأسبق من البدو الرحل من الأمازيغ، ثم بدأت تتم روابط التعارف والتعايش والتجانس بين الجماعات المختلفة في العرق وفي اللغة وفي العرف.

ولقد ساعد استقرار الاوضاع بالتيديكلت على اجتماع الناس وعلى تأسيس القصور والواحات والمرافق ومظاهر التحضر والعمران.

¹ - للاطلاع اكثر انظر: فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 187.

² - نقسة، ص 187-192.

³ - نفسه، ص 189-192.

ان انتعاش التجارة خلال هذه العصر بالاقليم، كان وراء حركة العمارة والعمران التي انتشرت بشكل واسع وبهيج على طول وعرض حدوده.

فقد كان لعوائد التجارة اثره الكبير في تشييد بعض الاعمال المعمارية والتعبيرية الباقية مثل الفقرات وبعض القصبات المحصنة التي ظلت تشهد على ذلك إلى اليوم بانغر وبعين صالح وبمليانة.

ولاشك ان هذا الثراء الذي عرفه الاقليم ظلّ في ازدهار حتى زمن الحكم العثماني ومن بعده الفترة الاستعمارية وذلك في ما يوصف من نسبة الخراج من غلة الزروع وعوائد التجارة وغيرها من الأوجه التي يتحصل منها الاموال.

فتشير لنا الذاكرة الشعبية إلى ان الخراج كان يجمع في القصبية وسط عاصمة الإقليم يورد اليها من مختلف قصور وواحات تيديكلت الشرقية إلى أن يأتي موفد العرش المغربي لينقل ما جمع من غلة وخراج إلى المخزن بالمغرب الاقصى.

وتركز النشاط التجاري بأسواق تيديكلت في مقاطعة عين صالح، فسوقها الرئيسي الواقع باكبر قصورها وهو " قصر العرب الكبير" كان يعد نقطة هامة لالتقاء القوافل التجارية لعبارة للصحراء في كافة الاتجاهات، وقد كانت هذه القوافل تضع حمولتها بسوق القصر الكبير اما لبيعها او لاستئناف السير⁽¹⁾.

وكان لأثر هذا النشاط التجاري الكبير استقطاب الشكات التجارية الكبرى واقامة غرف ثابتة داخل هذا السوق الذي تميز بوفرة السلع وتنوعها ورخص ثمنها حيث شاهد ذلك الرحالة الالمانى جيرهالد رولف عندما توجه إلى منطقة تيديكلت وزار سوقها الكبير ووصف السلع ومدى النشاط التجاري الذي يحتله هذا السوق بالنسبة لتجارة الصحراء⁽²⁾

ويبدو من خلال العوامل المتنوعة التي شهدتها هذه البيئة بالاقليم الصحراوي، انها كانت عاملا مشجعا على الاستقرار والاجتماع والتحضر، فوفا على المعطيات والشواهد التاريخية والاثرية يمكننا أن نقف على مجموعة من ملامح الاستقرار والعمران في الإقليم حسب ما يلي:

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 80.

² - Malte Brun, Résumé Historique et géographique de L exploration de Gerhard Rolfs à Touate et in salah, paris, 1866, p99

1- أن اول مكان قصدته الجماعات الوافدة للاستقرار به كوطن بديل كان بمحلة اقسطن⁽¹⁾ .

2- ان اول مسجد لأداء شعائر الاسلام كان بهذه المحلة مؤرخ حسب اللوحة المنقوشة التي وجدت بمحرابه قد تم بناءه عام 651 هجرية بحوالي 674هـ (اللوحة رقم 01).

3- ان اول صلاة جمعة اسست للصلاة الجامعة كانت في هذا المسجد السالف الذكر وقد اقيمت في شهر رمضان المعظم عام 674 هجرية على ايدي 14 فقيها (اللوحة رقم 01).... ومن بعده بـ عشرون صلاة جمعة اسست ثاني صلاة جمعة بالإقليم في مسجد الدغامشة بجنوب عين صالح... ثم اسست أيضاً بعد عشرون صلاة جمعة بهذا الجامع صلاة الجمعة بمسجد اولاد بلقاسم في قصر المرابطين.

ويشهد التاريخ أن هذا الإقليم كان مقدر له بأن يجمع شتات الجماعات اللاجئة من بلاد المغرب الاسلامي من تلاله وسهوله بين احضان مجتمع قائماً على التكامل والوحدة والمحافظة على الوجود وذلك على أسس مبدأ الدين واللغة والتربة، وبرز ذلك واضحاً في العمارة والعمران المحلي في هذه البيئة الجديدة الجامعة لهذه الاعراق والأفخاذ المختلفة. وكان من الناس من برز واختص في صناعة البناء وإتقانه ومنهم في فلاح الارض وغرسها وإحياء الموات منها ومنهم من برز في استخراج الماء وتقسيمه بالقسط بين المساهمين ومنهم من تفرس في الخراسة وآخرون في الحدادة مثلما نشير إلى من اختص في الرعيوتربية الانعام ونسج بيوت الشعر والوبر وغيرها مما يشتق منجلودها وأشعارها واولبارها.

¹ - اقسطن من القسط...وان تقسطوا بالعدل. وهي لفظة ممزوجة بين اللهجة الامازيغية والعربية. وجاء اسمها من القسمة بالعدل حين تستخرج أول فقارة يجري ماءها على سطح الأرض.
- مقابلة مع الحاج امبارك بلحاج سنة 1995م من اعيان المنطقة المهتمين بتاريخ القديم للمنطقة الاعواويين: جماعة امازيغية سكنت المنطقة وتصاهرت مع جماعة العرب الوافدين إلى المنطقة من الغرب الجزائري.

ونجد من اهل الاقليم ايضا من كرس حياته للعلم معلماً للكبار والصغار في الجامع أو المدرسة أو الزاوية فضلاً عن نفحاته للاستزادة في العلم باعتبار نفسه يظل متعلماً من مشايخ العلوم من مختلف الامصار والأقطار، ولا يقل شأن اولئك الذين عملوا الحسنى في ابلاغ الناس، فلقد كان يكنى الواحد منهم بـ " البراح" وذلك في المناسبات والمواسم والطوارئ مما يدخل في شأن وأحوال الجماعة بالإقليم، وكما نلاحظ أيضاً من الناس من تخصص في حرفة البيع والشراء في التجارة المحلية والخارجية .

وعموماً كان الناس يدّ واحدة يسهم الفرد منها حسب قدرته وجهده وتخصصه وإتقانه بمساهمة تظهر في مظاهر الحركة العمرانية والتعميرية المحلية بهذا الاقليم.

وهكذا بدت تيديكلت موحدة بجماعاتها وأسرها المختلفة وهي تتشارك جميعاً في ميزة جوهرية تتجلى في الحرص على المحافظة على كيان وجودها في حضان الكيان الاسلامي العربي مرتبطة بذلك بثقافة وفكر بلاد المغرب الاسلامي.

ونلمح ذلك من خلال المآثر والشواهد المادية التي تؤرخ لهم ولالإقليم ويترجمها ذلك التنوع العمراني المختلف من فقارات كان اقدمها فقارة الاعاوات⁽¹⁾ وجوامع كان العتيق منها جامع اقسطن وجامع الدغامشة وجامع اولاد بلقاسم، وقصبات بنسيجها العتيق في قسبة اقسطن المعروفة بـ " تاغرمت" وقسبة القصر الكبير المعروفة بـ " القسبة " بـ "القاف المعجمة" وقسبة اينغر المعروفة بـ " الشويطر" ، كما نلمح بقايا من الأسوار الدفاعية ومن القصبات المحصنة ومنها قسبة وسط البلاد المعروفة بـ " قسبة باجودة " (اللوحة 02/أ).

ونشير كأمثلة عن المآثر المادية التي تشهد عن العمران في الاقليم هي تلك المخططات والأبنية القديمة ومنها صورة جوية لأقدم مخطط بمنطقة اقسطن (اللوحة رقم 03) والمخطط

¹ - الاعاويين: اسم كان يطلق على قبيلة من الامازيغ سكنت المنطقة وتساھرت مع جماعة العرب الوافدين إلى المنطقة من الغرب الجزائري.

- رواية من الذاكرة الشعبية بالمنطقة - أكد لنا صحتها الحاج أمبارك بلاح - (1906م - 2002م)، فيمقابلة سنة 1995م ، وهو من اعيان المنطقة ومرجعاً للروايات التاريخية بها.

النموذجي للبيت القديم بالإقليم الذي قمنا برفعه من خلال التحريات الميدانية منذ سنة 1995م (مخطط رقم 02) .

كما يأخذنا الفضول إلى الوقوف على طريقة وتقنية عمران الارض بالغرس والسقي وقوفا على الامكانيات المحدودة وتجاوبا مع الدواعي البيئية التي ابهرت المؤرخين والدارسين لاحقا " الشكل رقم " ، بالإضافة إلى نسيج الكتل العمرانية والتجمعات العرقية وما زاد من العرف في وضع اسس البناء وفي القسمة والبيع والشراء .

و تعتبر تيديكلت من أقدم هذه المحطات وأكثرها شهرة فقد كانت نقطة التقاء قوافل جنوب الصحراء القادمة من السودان الغربي بالقوافل القادمة من الشمال عبر مسالك الصحراء وهي بذلك نقطة استراتيجية في مسالك عبور القوافل التجارية.

ولقد شكلت مسالك القوافل عبر الصحراء جسور تلاحح حضاري عميق الأثر بين الشعوب الأفريقية شمال الصحراء وجنوبها، ونسجت بين هذين الجزأين عرى اقتصادية واجتماعية وثقافية وثيقة على مرّ الزمن. ورسخت تلك الجسور الضاربة الجذور في القدم بفضل المشاركة الفعلية لسكان الصحراء الغربية في التجارة عبر الصحراء منذ الألف الأولى قبل الميلاد وعرفت ابتداء من القرن السابع الميلادي نقلة نوعية بفضل دخول الإسلام إلى المنطقة وما أعطاه من دفع أيديولوجي واقتصادي لاختراق الصحراء وشق السبل عبرها⁽¹⁾.

ولقد كان لهذا النشاط التجاري دوراً كبيراً عرفت من خلاله تيديكلت نشأة وازدهارا كبيرين برزت ملامحه على الثراء العمراني والتعمير الإسلاميين فبدت مدينة ليست بالكبيرة ولكنها متحضرة حيث تتشكل من مجموعة من القصور التي تلازمها واحات النخيل وتزينها في ما بينها زراعة الخضروات وقليل من اشجار الفواكه، وكانت روافد ريّ وسقي الواحات تتمثل في قنوات يجري ماءها من بطن الارض إلى سطحها لتسقي غرسها باعتماد تقنية ونظام عمران الفقارة، وازدهرت تيديكلت ايضا بعمران المساجد والمدارس القرآنية والفقهية التي لا يستغنى عنها قصر من القصور المتجاورة أو غيرها من التي تقع على الاطراف وغير ذلك مما يعطيها قيمة الازدهار الحضاري والعلمي.

¹ - ولد السعيد (محمد المختار)،(مسالك القوافل ودورها في التواصل الثقافي بين طرفي الصحراء خلال القرن 19)، طريق القوافل- مجلة يصدرها المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ- م.و.ب.م.إ.ت، مطابع قرفي، باتنة، الجزائر 2001،ص 99.

وتعتبر تجارة القوافل العابرة للصحراء عاملا بالغ الأهمية فلقد وفر لدول المغرب الاسلامي ومدنه كل أسباب النمو والتطور الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء ولقد تزامنت مظاهر هذه التجارة مع مظاهر تطور المجتمع المغربي حيث تكاملت في ما بينها وخدمت كل منها الأخرى وانعكس ذلك ايجابا على الحياة اليومية للمجتمع الاسلامي في بلاد المغرب.

ويلحظ من بين هذه المظاهر عمران الابار الموجودة على اطراف معظم المسالك التي أسهم في حفرها تجار القوافل والمشرفين عليها نظرا لحاجتهم اليها وذلك للترود بالمياه الصالحة للشرب التي يحتاجونها انطلاقا من مدن المغرب حتى سواحل افريقيا الغربية⁽¹⁾. ولقد اثرت عملية حفر الآبار هذه مع مرور الزمن على مظاهر عديدة منها استقرار بعض القبائل حولها، وادى الاستقرار فيما بعد إلى تكوين الواحات التي نجدها منتشرة في أغلب مسالك القوافل التجارية، حيث كان الفضل الكبير لتجارها في رعاية بعضهم للنخيل ولغيرها من الانشطة الزراعية. وكان لاحتياج تجار القوافل إلى اماكن للإقامة ومحطات للاستراحة بعد كل مرحلة من مراحل السفر اثره الكبير في النمو والازدهار ، فقد كان من الطبيعي أن تتوطد العلاقات الاجتماعية بين التجار وسكان تلك الواحات⁽²⁾ ، فقد تترجم ذلك في الحركة التجارية والعلاقات الاجتماعية وتلاحم الثقافات وتناغم الفنون وإقامة العمران وانتشاره.

وأصبح سكان الواحات الصحراوية من خلال علاقتهم التفاعلية مع التجار بمثابة الصورة العاكسة لمدى تأثيرات هذه العوامل وغيرها في المشهد العام ونظام الحياة في هذا الاقليم من اقاليم البيئة الصحراوية.

وكان أول ما باشر به الناس عمرانهم هو استخراج الماء من خلال عمارة الفقارة التي عرف العمار خلالها اجتهادات في عدة مناطق لاستخراج المياه من باطن الأرض

¹- بشار قويدر، (القوافل التجارية المغربية، طبيعة التجارة وأثارها)، طريق القوافل- مجلة يصدرها المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ- م.و.ب.م.إ.ت، مطابع قرفي، باتنة، الجزائر 2001، ص 17.

²- بشار قويدر، المرجع السابق، ص 17.

على سطحها ثم تفرس الناس باكتساب الخبرة من خلال تعاملهم وفهمهم لجيولوجية الأرض فتمكنوا من نشر وتوسيع عمارتها في كافة الواحات والكتل العمرانية.

ومن المظاهر العمرانية والتي على أثرها نمت الإقليم وتوسع أيضا، نشير إلى سوق كبير وشهير ويعرف بسوق " قصر العرب الكبير " وهو على درجة كبيرة من الأهمية، حيث عرف هذا السوق حركة نشطة من قبل التجار ذهابا وإيابا من مختلف الجهات، فأصبح بمثابة مركز استقطاب لهم ومنفذا جديدا لمرور تجارة القبائل العربية التي سكنت المناطق الداخلية و اتخذت الإقليم أحد عواصمها التجارية.

ومما نشير إليه خلال الفترة الإسلامية هو عمارة القصور والمساجد والأضرحة التي تعطي إشارة واضحة لواقع البيئة الإسلامية في هذا الإقليم، هذا فضلا عن التخطيط والمخططات المعمارية الشاملة والجزئية التي تتم بتوجيهات النصوص الشرعية والعوائد والعرف الإسلامي.

أما الشيء البارز والذال على تأثير جانب الدين الإسلامي في الإقليم باعتباره بيئة إسلامية مشجعة على ذلك هو انتشار المراكز الدينية بشكل كبير من المساجد والمدارس والزوايا التعليمية وعمارة الأضرحة، هذا فضلا عن العلماء الذين بلغ صيتهم إلى خارج حدود الإقليم.

02-3- معالم الحركة التجارية:

لقد كان للتجارة دور كبير على الاستقرار في الإقليم وفي تشييد العمارة والعمران به وذلك بفضل حركتها التجارية النشطة ، حيث تعد التجارة من العوامل التي استقطبت الوافدين إلى الإقليم جماعات وفرادى من كل الجهات والأجناس والاستقرار به وتشكيل مجتمع هجين يدين بالإسلام ويتواصل باللغة العربية.

فحسبما تشير الأبحاث إلى أن التجارة كانت طوال عدة قرون واحدا من المحاور الرئيسة للتجارة الصحراوية القديمة ، ومركزاً استراتيجياً هاماً، ومحطة للقوافل التجارية

التي تتعامل مع هذا الإقليم وتقصده من مختلف الاتجاهات عبر المسالك ومراكز وأسواق التجارة المجاورة، مع مراكز وأسواق الهقار والسودان الغربي من الجنوب، ومع أسواق ومراكز طوارق أزجر وباقي مراكز الاتجاه الشرقي من الشرق، ومع مراكز وأسواق ميزاب ووادي ريغ وغيرها من مراكز وأسواق الاتجاه الشمالي ومع باقي مراكز وأسواق اقاليم توات والتي تقع علي نفس المحور التجاري⁽¹⁾.

وقد كانت لهذه المحاور التجارية عامة والمرتبطة بمختلف المراكز الحضارية هو استقطاب الوافدين إلى الإقليم بثقافتهم وعوائدهم وحضارتهم التي برزت في الوسط المحلي للمجتمع ثم ظهرت ملامحها وتأثيراتها في تنفيذ المنشآت المعمارية.

02-4- مآثر العمران بالإقليم :

خلف الإنسان عددا من المآثر والمنشآت العمرانية بالإقليم التي تعد انعكاسا لمعطيات البيئة الطبيعية التي تتماشى مع ظروف البيئة، وهي تعبر عن ذوقه وعن مستوى تفكيره، ولعل أبرز هذه المنشآت تتمثل في عمران الماء والواحات والمباني ونذكرها بإيجاز كما يلي:

02-4-1-عمارة الماء: وهو من العوامل البيئية وأحد شروط الاستقرار في الوسط المحلي ويتم ذلك بحفر الآبار⁽²⁾، والفقارات⁽³⁾ لاستخراج الماء من اجل الإقامة في المكان.

¹ - VOINOT Louis, le Tidikelt : étude sur la géographie, l'histoire et Les mœurs du pays, bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran,T 29 , P 215 .

² - لقد كان في كل قسبة وفي التجمعات السكانية على مستوى كافة الواحات بالمنطقة، من أنغر غربا إلى فقارة الزوى شرقا بئرا على الأقل داخل السكنات أو بجانبها لسد حاجة الناس من المياه.

³ - كانت لكل قبيلة أو جماعة أو شخصا أحيانا فقارة توزع مياهها بالتساوي بين المشتركين، ومنها مثلا: فقارة بابكر- فقارة لعواوات- فقارة هنو .

وأول ما يلفت الانتباه بين هذه الديار هو الفقارة ونظامها المحكم التي تمتد منها الى هناك، فقد كان تشييدها والمحافظة عليها وطريقة توزيع مياهها ، يعد من الاعمال الهندسية البديعة نظرا للطريقة الفنية التي كان يتم فيها تنفيذ هذه الاسس الثلاث التي ظلت متوارثة مع الاجيال المتعاقبة ضمانا لاستمرار تدفق مياهها الى مزارعهم، كما انها كانت الوسيلة الوحيدة عندهم للحصول على المياه فيوسط صحراء جدباء⁽¹⁾.

وقد اشار ابن خلدون الى التقنية التي اهتمدى اليها الانسان في هذا الزمان والمكان لاستخراج الماء فيقول: ((وفي هذه البلاد الصحراوية الى ما وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية ، لا يوجد في تلول المغرب ، وذلك ان البئر تحفر عميقة المهوى وتطوى جوانبها الى ان يوصل بالحفر الى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس الى ان يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الارض واديا ويزعمون ان الماء اسرع من كل شيء، وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين وورقلة وريغ⁽²⁾)).

02-4-2- عمارة الواحات: وهي التي تنتج عن تداعيات ومتطلبات التأقلم في البيئة المحلية الداعية لذلك تلازمت قديما مع استقرار الإنسان في الموقع الذي يحط به وجاءت عمارة الواحات بغرض:
أ. تلبية الأمن الغذائي.
ب. تلبية حاجيات الحياة العامة للإنسان باستغلال بعض المنتجات في صناعة العمران.
ج. تلطيف الجو العام.

02-4-3- عمارة المباني: وجاءت عمارة المباني بغرض الاحتماء من العوامل الطبيعية والبشرية ونتخلص من بناء المساكن الفردية وبناء القصبات والتي هي موجودة على مستوى كل تجمع سكاني بمعدل قسبة أو اثنتين على الأقل. وكانت عمارة المباني نتيجة لتوفير الجو العام للتلاؤم مع البيئة المحلية استجابة بغرض، تلبية لدواعي العوامل الطبيعية بتوفير الوسائل الكفيلة للتأقلم مع ظروف الطقس والمناخ، أو لدواعي العوامل

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 50.

² - ابن خلدون، العبر، بيروت، 1967، ج 07، ص 117.

الاجتماعية بالاستجابة إلى التوجيهات الدينية والعرفية والتقاليد العامة، أو بغرض الأمن والدفاع للاحتماء من المؤثرات الطبيعية والبشرية، فينتج عن كل ذلك منشآت معمارية تتماشى مع ما تتطلبه دواعي البيئة.

وقد اعتمد الإنسان في تشييد هذه المباني على عناصر المادة المحلية المتوفرة في البيئة المحلية وتتمثل هذه العناصر في:

ا. الطين والرمل: تستعمل في صناعة القوالب ورفع البناء بعد مزجها.

ب. الجير الخام: (تيبشنت tubchint) باللسان المحلي يستعمل لتثبيت الأبواب والأقفال التقليدية وتبييض المباني.

ج. الحجارة: تستعمل في وضع أساس البناء وتمتين الجدران وتثبيت خشب التسقيف.

د. عناصر النخلة: تستعمل في تسقيف وصناعة الأبواب والأقفال.

ويعود تاريخ أولى العمائر بالمنطقة حسب الروايات الشعبية إلى ما قبل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي)⁽¹⁾.

وتعد واحة اقسطن الواقعة في شرق مدينة عين صالح، أول محطة استقرها الإنسان في السنين القديمة، ويعود لها فضل أول صلاة جمعة تقام في مسجدتها العتيق⁽²⁾.

وكانت ثاني محطة أقام بها الإنسان في السنين القديمة هي الدغامشة⁽³⁾ الواقعة إلى الجنوب من عين صالح.

وبعدما وفدت القبائل إلى المنطقة انتشرت في ربوعها وحطت كل جماعة رحالها في المكان الذي طاب لها المقام فيه، وهكذا تجمع الناس وتمازجوا وتصاهروا وتعاونوا وعاشوا إلى جنب بعضهم البعض⁽⁴⁾، مستهلين حياتهم بصناعة العمائر والحرف والمهن ملبيين بذلك متطلباتهم المعيشية في هذا الوسط البيئي.

¹ - رواية أخذتها عن محمد الزاوي- (1940م - ت 2008/07/05) وذلك في مقابلة سنة 1995م ، وهو من أعيان المنطقة، وشيخ زاوية سيد الشيخ عبد القادر بن محمد(مقر الزاوية ببلدية فقارة الزوي).

² - رواية من الذاكرة الشعبية بالمنطقة - أكد لنا صحتها الحاج أمبارك بلحاج ، المصدر السابق.

³ - الدغامشة: اسم لقبيلة بربرية سكنت منطقة تيديكلت وخلفت وراءها أملاك أرزاق تحمل اسمها منها- فقارة الدغامشة باولف الشرفة، ومنها واحات وفقارة الدغامشة وقرية الدغامشة بعين صالح. عن الحاج أمبارك بلحاج ، المصدر السابق.

⁴ - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 195.

وقد لعبت هذه العمائر عدة أدوار في تاريخ هذا الإقليم، ففي المجال العسكري كانت أسوارها وأبراجها بمثابة حصن ومركز مراقبة عسكري استراتيجي تحسبا من مباغته وغدر الخصم .

و كانت في المجال الاقتصادي بمثابة محطة للربط التجاري بين شمال إفريقيا وجنوب الصحراء، فشكلت بذلك محطة مهمة لعبور القوافل في محور طرق القوافل المتوجهة أو الآتية من مختلف الاتجاهات.

ففي المجال الثقافي والديني، وانطلاقا من هذا الوسط الجغرافي الاستراتيجي الذي يحتله إقليم تيديكلت الشرقية في وسط الصحراء الكبرى بين مختلف المراكز التجارية والحضارية التي ترتبط معه عن طريق المحاور التجارية الكبرى، فإن الإقليم باعتباره من البيئات الإسلامية قد سجل مساهمات حضارية هامة، تمثلت في بناء ونشر الثقافة والحضارة الإسلامية في الداخل والخارج بواسطة زواياه ومدارسه العتيقة المتعددة التي ازدهرت فيها الحركة العلمية بشكل بهيج.

ومن أشهر الزوايا التي عملت في هذا الحقل بالإقليم وبشكل ملفت للأنظار نذكر:

أ- الزاوية القادرية⁽¹⁾: انتشرت هذه الزاوية في العراق واليمن والصومال والهند وتركيا ومصر والمغرب وغرب إفريقيا ووسطها، ودخلت إفريقيا الغربية في القرن 15م على يد مهاجرين كانوا يتخذون من توات مركزا لهم، وقد انتشرت بشكل كبير في بلاد توات واتخذت مركزا لها به وكان لها من المريدين جماعات كبيرة حتى انهم بنوا قبة لمؤسسها عبد القادر الجيلالي موجود في اقليم تيديكلت الشرقية.

ب- الزاوية التجانية⁽²⁾، وقد كان لهذه الطريقة اتباع كثر ومساهمات كبيرة في نشر الاسلام بشمال افريقيا وفي الصحراء وجنوبها وفي آسياولها مراكز كبيرة في عين ماضي وفي تقرت.

¹ - القادرية: نسبة إلى عبد القادر الجيلالي المتوفى عام 561هـ.

انظر: محمد نسيب- زوايا العلم والقرآن بالجزائر - دار الفكر الجزائر، ص 209 وما يليها.

² - التجانية: نسبة إلى سيدي أبي العباس احمد بن محمد التجاني مؤسس الزاوية التجانية بعين ماضي ولاية الاغواط ، - انظر: محمد نسيب، المرجع السابق، ص 209 و226.

ت- الزاوية السنوسية⁽¹⁾، والتي بدورها عرفت انتشارا واسعا في مختلف مناطق العالم الاسلامي، حتى بلغ عدد فروعها سنة 1884م نحو 100 زاوية. وقدمت السنوسية خدمة جلية للإسلام في جميع إفريقيا الداخلية من سواحل الصومال شرقا إلى سواحل السنغال غربا، فانتشرت في تونس والجزائر وفاس وبرقة ومصر والحجاز واليمن والسودان وبنو وتوات ثم امتدت إلى الهند وتركيا.

ث- وكذلك الزاوية الشاذلية⁽²⁾، وهي من الطرق الأولى التي أدخلت التصوف إلى المغرب ومركزها مراكش، ومن أشياخها سيدي العربي الدرقاوي المتوفى سنة 1883م، والذي أوجد عند مريديه حماسة دينية امتدت إلى المغرب الاوسط، وكان لأتباعها دورا فعالا في مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة، ولا تزال هذه الزاوية تنشط في الاقليم.

ج- ومدرسة مولاي احمد الإدريسي⁽³⁾، وتعتبر من المدارس الرائدة في المنطقة، حيث كان لها فضل كبير في تصحيح العقيدة الإسلامية من الشوائب والدسائس اليهودية والاستعمارية المسيحية التي بليت بها. و تخرج من المدرسة تلامذة مؤهلون وهم يعملون اليوم في مساجد ومدارس ومؤسسات المنطقة بعد أن تلقوا تكوينا في المعاهد والمدارس الخاصة وتفرعت منها عدة مدارس، انتشرت في مختلف جهات المنطقة وقد بلغ بعضها درجة كبيرة من الشهرة وذبوع الصيت في الإقليم والوطن وخارج البلاد.

¹ - السنوسية: نسبة إلى محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي، ينحدر من أسرة عريقة فهو من سلالة ملوك الادارسة الذين أسسوا الادريسية، ولد قرب مستغانم سنة 1791م وقرأ القرآن في فاس وأسس الزاوية سنة 1837م بجبل أبي قبيس بمكة ثم انتقل إلى المغرب ثم عاد إلى برقة.

- انظر: محمد نسيب، مرجع سابق، ص 181 و 209.

² - الشاذلية: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي.

- انظر. محمد باي (بلعالم) الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1 دار هومة الجزائر 2005م ص 331.

³ - مدرسة مولاي أحمد الإدريسي بأقبور عين صالح، أسست سنة 1953م، وشيخها منذ أن تأسست هو الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن مالك. صاحب المدرسة الفقهية بعين صالح، وهو من تلامذة الشيخ مولاي احمد الادريسي الذي أشرف على فتح هذه المدرسة وبارك تلميذه بعد تنصيبه للتدريس بها.

- نقلا عن الشيخ أحمد بن مالك (1918م) في لقاء خاص سنة 1995م.

ولقد قدمت المؤسسات العلمية والدينية بالإقليم نخبة من رجالات وشخصيات العلوم الدينية المرموقة الذين برزوا بعلمهم وتقواهم وورعهم وأسهموا بتعليمهم وبتربيتهم لأبناء المسلمين في حدود الإقليم وخارجه، فنذكر من بين هؤلاء من أمثال⁽¹⁾ :

- الشيخ العالم محمد عبد الوهاب الذي وصلت إسهاماته الفكرية إلى منطقة قسنطينة ومراكش وغيرهما من بلاد الإسلام.

- الشيخ العالم سيد الحاج بلقاسم صاحب زاوية سيد الحاج بلقاسم الواقعة إلى شمال عين صالح (01 كلم) والذي وصل بفكره إلى منطقة الحجاز.

- الشيخ العالم محمد طالب عبد الله عالم في الفقه والعلوم الشرعية والذي يعتبر بإسهاماته في عالم الميراث وخاصة عند أهالي المنطقة (وكذلك حتى خارج تيديكلت بصفة عامة) مرجعا أساسيا يقتدي به الناس والعلماء على السواء عند الحاجة.

- الشيخ الطالب احمد لمغربي عالم وفقه وإمام مسجد زاوية السنوسي بعين صالح الذي كرس حياته في إرشاد وتعليم الناس أمور دينهم.

- الشيخ أحمد بن محمد المختار بن حمزة بن مالك صاحب المدرسة الفقهية والقرآنية بوسط ديار عين صالح التي فتحت أمام أهالي المنطقة لتعليم الصغار نهارا والكبار ليلا، هذا فضلا عن تنقلاته بين الأحياء والقرى لتعليم وتدريب الناس العلوم الشرعية والفقهية ومن أجل تصحيح مبادئ العقيدة الإسلامية من الدسائس ومن الشوائب والمكائد التي ارتبطت بها خاصة في ما قبل وزمن الفترة الاستعمارية

وهكذا يمكن القول بأن عراقة تاريخ الإقليم وأدواره الاقتصادية والعلمية، والدينية وتعدد المشارب العرقية والحضارية لسكانه، كلها عوامل مجتمعة بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، قد ساهمت في إعطاءه رصيذا تراثيا مهما ومتنوعا شاركت جميعا في نشأة وتنمية هذا الإقليم.

¹ - انظر مجلة ملتقى أعلام منطقة عين صالح، المنعقد بالمركز الثقافي الإسلامي فرع عين صالح، تنظيم المجلس العلمي الولائي، عدد خاص، في 20 و21 ربيع الأول 1417هـ الموافق ل 6 و5 أغسطس 1996م. أرشيف معتمديه الشؤون الدينية والأوقاف بعين صالح.

02-5- قصور ووحدات تيديكلت الشرقية :

لقد كانت للمعطيات البيئية الجغرافية والطبيعية أثر كبير في تشكيل وتوجيه القصور والوحدات بهذا الإقليم وذلك بتنفيذها في مواضع مختارة حسب طبيعة الأرض وبمراعاة العوامل المشجعة على الاستقرار وخصوصا الماء العنصر الأساسي في الحياة. ويظهر من خلال الملاحظات الأولى بأن عمائر الإقليم وزعت في شكل موحد ومنتظم فجاءت في شكل أرخبيل بحري يقع داخل بحر رملي يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي أثرت في تشكيله المعطيات البيئية للإقليم وقد ظهر هذا التأثير في النماذج المختلفة للمنشآت المعمارية.

وقد زار إقليم تيديكلت الرحالة الألماني جرهاد روهلفس (Gerhard Rolfs) خلال شهر سبتمبر سنة 1864 وتحدث عنها قائلا: تمتد واحات عين صالح على العموم من الشمال إلى الجنوب حيث بنيت على التخوم الشرقية لغابات النخيل بجانب الكثبان الرملية⁽¹⁾. وتشكل لنا القصور والقصبات في هذه الديار الصحراوية تراثا معماريا ذا حمولة ثقافية واجتماعية غنية بالرموز والدلالات.

فالقصر هو عبارة عن تجمع سكاني يشكل لنا ناحية أو بلدة تضم مجموعة من العمائر، تتمثل في المباني السكنية والوحدات والقصبات وموارد السقاية.

أما لفظ القصبية⁽²⁾ فتطلق على تلك المباني المحصنة ذات الأبراج العالية في كل زاوية قلمانجد هائثائية الأبراج وأدونها تأخذ عادة شكلا بنائيا فاعيا. وقد انتشر هذا الشكل من المباني على مستوى الشريط الغربي للصحراء الجزائرية

¹ - Malte brum, Résumé historique et géographique de L exploration de Gerhard Rolfs à Touat et Ain Salah, Paris, 1966, p 99.

² - القصبية هي جوفالقصر وقبيلالقصر، وقصبية البلاد مدينته، والقصبية جوفالقصر الحصين بنفيها وهو أوسطه، ، والقصبية: القرية، وقصبية القرية: وسطها. - انظر: - ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد)، لسان العرب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1388هـ/1968م، ص 676.

- وتعرف القصبية بالأمازيغية باسم "تغرمت" و"اغرم"، وفي سوس تعرف باسم "أكادير" و"تغرمت" وتعني "الدار الكبيرة" التليها أبراج في أركانها الأربعة مبنية على منيرت فعمشرف على حوض ماء أو علواديوملكها أصحاب المال والعائلات الكبيرة، وهي مبنية بأهم مميزات الزعامة بالقبيلة. انظر:

«-Rebert ;Montagne « les Berbères et le Makhzen dans le sud Marocain Paris», 1930,p.347, 349.

الذي يمتد من تبلكورة إلى عين صالح، وتركت بصماتها واضحة في مجال بناء القصبات التي لازالت شامخة الى اليوم. ونشير في هذا المقام بأن الكثير من أشكال هذه الأبنية عرفت من ذي قبل في العالم الإسلامي وعرفت باسم القصور ويعود ظهورها إلى العصر الأموي بمصر والشام⁽¹⁾.

و يطلق لفظ القصبية في هذا الإقليم على نموذجين من العمائر وهما:

1. نمودجا لتجمع سكاني داخل بناية موحدة محاطة بسور ضخم وعال، تتخلله أبراج مربعة الشكل وله مدخل رئيسي واحد، فضلا عن عدة أروقة مغطاة وتملكها أسرة أو قبيلة واحدة قائمة على نظام الأبوة (انظر اللوحة رقم: 02/أ و ب، والمخطط رقم 13).
2. ونمودجا لسكنات اجتماعية محصنة بالجدران الخلفية للبيوت، تسكنها مختلف القبائل والأعراش والأعراق (انظر المخطط رقم 12).

ويعتبر هذا النمط السكني من الهندسة المعمارية الترابية، الذي يقع على طول الأودية الباطنية بالإقليم وفي وسط الواحات و فوق المرتفعات، نمودجا يوري مدى تكيف الإنسان مع البيئة المحلية التي تؤثر فيه بفعل متطلبات الظروف الطبيعية من ندرة الموارد بها، أو بفعل الأحداث الاجتماعية من نشوب الخلافات والنزاعات بين المجموعات البشرية، حيث كان من نتيجة ذلك كله، إنشاء هذه الأنماط من المباني التي هي واحدة من العمائر الصحراوية التي تحكمت فيها نفس الأسباب والظروف الإنشائية.

وتتشكل قصور وواحات الإقليم في ثلاثة تجمعات رئيسية وهي: بلدية الفقارة و بلدية عين صالح وبلدية انغر، وتتفرع منها تجمعات ثانوية تتمثل في الأحياء والقرى، وتتبع إداريا لبلديات المنطقة.

وتوجد على مستوى كل حي أو قرية (قصر) قصبية أو قصبتين على الأقل إلى جانب الواحات التابعة لها ومختلف مصادر مياه الري والشرب وإقامة العمران، ونذكر من أهم القصبات القديمة التي لا زالت أطلالها شاهدة على ذلك في الجدول التالي⁽²⁾:

¹ - للاستزادة أنظر: كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.

² - التواريخ أخذتها من اللوحات التاريخية المعقدة أمام مدخل المبنى.

المعلم	تاريخ بناءه أو عمره	حالته
قصبه أولاد جلول انغر	1818 م	مندثرة دمرتها قوات الاستعمار أثناء التوسع نحو القصور الغربية)
قصبه أولاد حاد قي انغر	1870 م 1286 مـ	مندثرة دمرتها قوات الاستعمار أثناء التوسع نحو القصور الغربية)
قصبه قصر العرب عين صالح	خلال القرن 13 م	في تغيير سريع
قصبه باجودة عين صالح	أكثر من 05 قرون	في تغيير

جدول بين أهم قصور ووحدات تيديكلت الشرقية

وجاء بناء نماذج هذه القصبات في كافة الواحات والقصور المنتشرة في المنطقة، فكانت لا تخلو أية واحة أو قصر من قصبه أو اثنتين على الأقل، حيث أن القصبه تمثل حين ذاك للسكان من أبناء القبيلة الواحدة، اللحمة أو العصبة التي نفتخر بها، فهي بمثابة المسكن والحصن والمعلم الذي يحمل اسمها (انظر المخطط رقم 01).

وتجدر الإشارة الى أن القصبه المحصنة في هذه المنطقة الصحراوية تعتبر بمثابة الحصن الذي يتحصن فيه الناس حين حدوث غارات من طرف عدوهم، كما لا تحمل القصبه معنى القرية أو المدينة ذلك أنها تقتصر إلى عناصر هامة ورئيسة وهي المسجد والمدرسة القرآنية والسوق، على عكس ما عايناه في القسم الغربي من إقليم تيديكلت حيث القصبه به يمكن أن نطلق عليها لفظ القرية أو المدينة وذلك لتوفر العناصر السابقة الذكر.

3. أصل كلمة تيديكلت ومعناها (1):

تعتبر تيديكلت الشرقية إحدى أقاليم توات الكبرى التي تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية، وهي تضم إقليم القورارة وإقليم توات وإقليم تيديكلت. وتعني تيديكلت في اللغة البربرية كف اليد أو راحة اليد⁽²⁾

وتيديكلت في حد ذاتها، بكسر أوله، مشتق من تيدي ودوكلت. وهما كلمتان أعجميتان من لغة بربر التوارق. فكلمة تيدي تعني اليد ، ودوكلت تعني الشيء المنخفض أي راحة اليد، وفي القياس تعني المكان المنخفض أو الأرض المنخفضة.

فيظهر لنا أن اسمها حسب مفهوم بربر التوارق محرف من كلمة تيدي التي تعني اليد، ودوكلت التي تعني الأرض المنخفضة، وهو قياس ووصف يطابق المصطلح مع طبيعة المنطقة الجغرافية.

ومن ثمة يمكن القول أن التيديكلت هو مصطلح أعجمي يعني في كلام أمازيغ التوارق كف اليد. وأما سبب إطلاق هذا الاسم على المنطقة فهو مأخوذ من التشابه القائم بين التكوين الطبيعي للمنطقة وبين كف اليد، حيث أن الشكل الطبيعي يتمثل في منبسط سهلي، تحيط به مجموعة من المرتفعات وهي ممثلة في هضبة تدمايث التي تقع في شمال الإقليم وهضبة تيهرت التي تقع في شرقه، وجبال اميدير التي تقع في جنوب الإقليم.

وتتخلل في وسط هذا السهل والمرتفعات عدة أودية تنتهي مصباتها في السبخ الواقعة في الجنوب الغربي للمنطقة.

ويطابق هذا التشكيل الطبيعي للمنطقة، راحة اليد، وذلك بتشبيه المنبسط السهلي للمنطقة بواسطة راحة اليد وتشبيه المرتفعات من جبال وتلال بالحواف الجانبية لليد. بينما الوديان

¹- تسمية المنطقة مقتبس من الروايات الشفوية- وسجلت هذه سنة 1995م وذلك أثناء الشروع في بحث حول تاريخ منطقة تيديكلت الشرقية، وقابلت مجموعة من الأشخاص المهتمين بتاريخ المنطقة ، منهم الأحياء و منهم من قضاو نحبهم ، وهم: الحاج أمبارك بلحاج مصدر سابق، ، والشيخ محمد الزاوي، مصدر سابق، والشيخ عبد الرحمن الولفي(1945م،.شيخ الزاوية الاحمدية ومهتم بتاريخ المنطقة، والحاج التومي سعيدان من الباحثين في تراث وتاريخ المنطقة.

²- قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة اولف العريقة، دراسة تاريخية ثقافية واجتماعية، بدون تاريخ، ص 20.

وشعابها فتقابلها الشايات المتخللة في وسط وجوانب راحة اليد التي تتجه وتلتقي في نقطة واحدة تقريبا.

وهكذا أطلق البربر اسم تيديكلت علي المنطقة والتي تعني دائما عندهم كف اليد. فالتيديكلت إذن مصطلح امازيغي يطلق على المناطق الواقعة أسفل هضبة تدمايث من جهتها الجنوبية والجنوبية الغربية والشرقية أيضا، و تضم تيديكلت كافة الواحات والقصور التي تنتمي الى الإقليم الشرقي من أقاليم توات الكبرى، وتنتشر من حدود مقاطعة أولف غربا إلى حدود مقاطعة فقارة الزوى شرقا. (انظر الخريطة رقم 02)

وتنقسم تيديكلت حالياً الى قسمين إداريين، قسم غربي يجمع واحات وقصور دائرة أولف يتبع إلى ولاية ادرار، وقسم شرقي يجمع قصور وواحات دائرة ان غار(انغر) وعين صالح ويتبع إلى ولاية تمنراست(انظر الخريطة رقم 03).

وتشكل الواحات والقصور الواقعة في القسمين معاً ترابطاً وثيقاً في ما بينها تعكس الجوانب الطبيعية والبشرية والحضارية والتاريخية للمنطقة عبر مرّ السنين.

وأما عين صالح فهو مصطلح مركب من كلمتين:

كلمة عين وهي البئر أو الحاسي التي استقر بجوارها البدوي صالح واعتنى بها ورعاها بغرض الانتفاع.

وكلمة صالح فهو اسم الشخص البدوي الذي استقر بجوار العين الطبيعية.

أما تأسيسها فيعود، كما أشرنا، إلى شخص البدوي صالح الذي كان عابرا طريقه في هذه الجهة الصحراوية منتقلاً بين الأودية بحثاً عن الكلاً والمرعى الأنسب، وكانت جهة قدومه إلى المنطقة من المراعي الغربية لأقاليم توات، فلما واثاه المكان استقر بجوار عين طبيعية تتدفق مياهها على سطح الأرض وقد عهد نفسه رعايتها ما دام حيّاً ردا لفضلها ونفعها عليه، ومن ثمة مع مرور السنين والدهور اقترنت العين مع اسمه وأصبح يطلق على المكان "عين صالح".

04 ظروف وعوامل الاستقرار

04-1- الظروف المساعدة على الاستقرار:

تعتبر مشكلة التجمعات الحضرية الحديثة للمجتمع العربي الإسلامي ومنها تاريخ استقرار الإنسان بالصحراء الكبرى، من بين العوائق والمشاكل التي شغلت فكر المؤرخين والأثريين والمهتمين بدراسة الاستقرار والاستيطان بهذه الأقاليم ، حيث انه لا يزال غموض وتضارب بين المعطيات التي تمدنا بها الروايات الشفهية وبين المعطيات الأولية التي نجدها في البحوث التاريخية أو التي نستسيغها من الموجودات الأثرية. فتؤكد لنا ابرز الدراسات التاريخية على أن الصحراء قد دخلت التاريخ الحضري منذ العصر الحجري الحديث بحوالي 10 آلاف سنة، وذلك بعدما جال الإنسان هذه الصحراء طولا وعرضا ثم ركن إلى الاستقرار فأقام بها مدينة جديدة، كان من مظاهرها الزراعة والصناعة والاستقرار .

فمن بين هذه الدراسات المتعلقة بالاستقرار في مثل هذه المواطن الصحراوية، نذكر ما أفادتنا به نصوص إسماعيل العربي⁽¹⁾، التي تحدث فيها عن استمرار وبقاء آثار بصمات مدينة العصر الحجري الحديث في واقع حياة الناس وهي متمثلة في حرفة الزراعة والحرف المرتبطة بها.

وحيثما نفحص الواقع بهذه المواطن وندقق في الموروث الثقافي، فإننا نجد كثيرا من المواقع الأثرية والأماكن التاريخية بالإضافة إلى الأسماء والمصطلحات المحلية الباقية تؤرخ إلى شعوب أسبق عاشت بالإقليم، وتعود هذه الآثار إلى القبائل الأولى من الأمازيغ الذين نزحوا إلى هذه الأوطان الصحراوية منذ العصر القديم وتوغلوا فيها.

وتظهر هذه الآثار واضحة في اللغة الأمازيغية المنقوشة على الصخر بنسب كثيرة في جهات عديدة من الاقليم، ونجد منها ايضا بعض المصطلحات التي ظلت متداولة في الرصيد اللغوي الحالي ، وهي تمثل في لغة التجاوب الحالي بالإقليم شقين اثنين هما:
1- شق يعبر عن التراث الامازيغي وهو بلسان البربر الرحل(الجدول رقم 01).

¹ - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 195.

ب- شق يعبر عن التراث الأمازيغي وهو بلسان البربر المقيمين الذين يمتنون حرفه الزراعة والفلاحة (انظر الجدول رقم 02).

04-2- العوامل البيئية المساعدة على الاستقرار في الإقليم:

وأما العوامل البيئية التي ساعدت على الاستقرار في هذا الجزء من إقليم تيديكلت المترامي في وسط الصحراء الجزائرية، فهي عديدة منها ما هو طبيعي ومنها ما تسبب في وجوده الإنسان ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

04-02-1- الماء:

ويعتبر من أهم العناصر البيئية المساعدة على الاستقرار إلى جانب المرعى، حيث أن البئر إلى جانب كونها وسيلة للحياة فهي أيضا نقطة النقاء ومركزا اجتماعيا وثقافيا وتجاريا عظيم القيمة في الصحراء، فعند البئر يلتقي الناس ويتبادلون الأخبار العامة والخاصة، وقد يتبادلون البضائع والمنتجات أيضا ولكن البئر كثيرا ما تكون موضع نزاع، ولأهمية البئر الاجتماعية ولخطورة شأنها في الحياة العامة، فإن منطقة بأثرها قد تحمل اسم المكان أو الشخص الذي يستقر به⁽¹⁾. كما هو شأن هذه العين الطبيعية التي وجدت بالمنطقة وحملت اسم صالح لتصير في لسان العامة والخاصة من الناس عين صالح.

ولقد كانت هذه العين الطبيعية التي تتبع مياهها على وجه الأرض بالإقليم تستقطب المارين بالمكان للتزود بالماء ولسقي الماشية ولأخذ قسط من الراحة من شدة وعناء السفر في غياهب هذه الأجواء الصحراوية.

فكان من بين الذين شددت أنظارهم إلى هذه المنطقة التي تحتوي على ماء ومرعى وفيرين هو مؤسس المنطقة كما ذكرنا سابقا البدوي صالح، الشخص الذي واتاه المكان حينما حلّ به وطاب له المقام به، ومن بعده أيضا القوافل العابرة للصحراء، فكان ذلك سبباً للناس من العرب والعجم الوافدين إلى الإقليم من كل مكان، ليتخذونه من بعده وطنا جديدا كباقي الأمصار.

¹-اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 21

2-2-04- المرعى:

وهو عنصرا مهما كما اشرنا إليه سابقا إلى جانب الماء، حيث تردد الذاكرة الاجتماعية بإجماع إن من أسباب استقرار الناس بهذه الديار هو المرعى، فمؤسس المنطقة(صالح) وصل إليها منتقلا بماشيته من مواطن الرعي الغربية البالية، من اقاليم توات و اقليم قورارة إلى هذه المنطقة من الإقليم الوفيرة بالماء والعشب. وقد قصد (صالح) المنطقة بوجه خاص بعدما أخبرته القوافل الرحالة على جودة المكان وعلى أهميته، ذلك أنه يحتوي على ماء وعشب وفيرين يساعدان على تلبية الحاجة.

3-2-04- الموقع:

ويعتبر الموقع عاملا مهما أيضاً في عملية الاستقرار، حيث تقع المنطقة في قلب الصحراء الكبرى وهي بذلك تتوسط المدن التجارية الهامة كما تنفرع منها مختلف المسالك التجارية الكبرى نحو الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولقد ساعد هذا الموقع الوسط إلى حد كبير في عملية تنشيط الحركة التجارية بين التجار وذلك حينما يلتقون في سوقها الكبير والشهير والمعروف بينهم بسوق القصر الكبير، وكان ذلك بغرض: بيع السلع أو مقايضة السلع أو أخذ قسط من الراحة⁽¹⁾.

4-2-04- التجارة :

وهو عنصر غير بيئي بحث بقدر ما هو عنصراً حضارياً مهماً في تاريخ الجهات، غير أن الأثر الذي ساهم به في نشأة الإقليم من جهة وفي اعطاء نمط للعمران المحلي من جهة ثانية كان علينا لابد من الإشارة إليه والى الدور الكبير الذي لعبته التجارة في الصحراء الإفريقية الكبرى ولا تزال تلعبه إلى اليوم في تاريخ المنطقة. فتعتبر التجارة عنصرا مهما في تاريخ الصحراء الأفريقية الكبرى حيث لعبت دورا فعالا في تاريخ هذه الاقاليم ولا تزال تلعبه إلى اليوم.

وتجلى هذا الدور منذ اللحظة التي ظهر فيها الجمل لأول مرة بإفريقية وذلك في أواخر القرن الثاني للميلاد خلال حكم الإمبراطور الروماني سيبتيموس سافاروس

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 89 - 92.

Septime Sevères (193م - 211م)، وهو الإمبراطور الذي اعتنى كثيراً بتربية الجمل وانتشاره بإفريقية حتى يستعمل للتنقل إلى المناطق الأخرى الداخلية. وعندما انتشر الجمل بإفريقية ساعد ذلك كثيراً على اكتشاف فيا فيها وعلى الاستقرار والحركة فيها التي لا تحدها حدود، وعلى ازدهار اقتصادها ونمو وتطور عمرانها. فبدأ اقتصاد هذه المناطق يركز أساساً على قوافل الصحراء الجمالة التي أصبحت وسيلة للاتصال المستمر بغدامس وفزان والغرامانت والجهات الممتدة إلى وراء الصحراء⁽¹⁾. ويشير ستيفان كزيل إلى هذا الدور الكبير الذي انجزّ عن توغل البربر في مواطن هذه الصحراء الكبرى بعد اكتشافهم للجمل قائلًا: (إذا كان اكتشاف شمال إفريقيا يعود إلى الرومان فإن اكتشاف الصحراء وفيا فيها يعود فضلُهُ إلى البربر). وهي إشارة إلى توغل الأمازيغ بفضل الجمل الذي ساعدهم إلى اكتشاف المناطق الوعرة في الصحراء الكبرى جنوب إفريقيا والمغرب الأوسط⁽²⁾.

وحيثما نرجع إلى تلك الأساليب والسياسة التعسفية التي وضعها الرومان أمام حركة الأمازيغ الرحل من الصحراء نحو الشمال التي هي مواطن استقرار الرومان ونشاطهم الاقتصادي والعمراني، فإننا نلمس من بعدئذ أنها سياسة قد أتت بفلاحها على الصحراء المكتشفة من قبل البربر، ذلك أن هذه السياسة أرغمت البربر على الحركة والتنقل بين أرجاء الصحراء والانتجاع في ما بين أوديتها والاستقرار على سهولها وعلى سفوح وقمم مرتفعاتها.

ولاشك أن وسيلة النقل والتنقل الجديدة الممثلة في الجمل كانت بالغة الأهمية في تنشيط الحركة الاقتصادية وتنقل الأفراد والجماعات بين هذه المواطن وبين المواطن المجاورة ولاسيما بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم، حيث نجد ذلك جلياً من خلال حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء وما قد انجزّ عن ذلك من أثر وتأثيرات هامة تجلت ملامحها في مختلف المجالات.

¹ - احمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلامة تونس (بدون تاريخ) ص 388.

² - احمد صفر، نفسه

وخلال العصر الوسيط ازداد هذا الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها لتعبر من خلاله تأثيرات الحضارة الإسلامية مروراً بمواطن تواجد وإقامة معمرها من أهل الحضر وبواديها حتى إلى بلاد السودان الغربي⁽¹⁾.

وكانت الأسس الأولى لمباشرة هذا الاتصال هي التجارة المنقولة التي تتم بدورها عن طريق القوافل الجمالة وبنسب كبيرة، فيذكر ابن خلدون في تاريخه، أن القوافل التي كانت تمر على أيامه أواخر القرن الرابع عشر ميلادي بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثنا عشر جمل في أحيان كثيرة⁽²⁾.

و تعطيناهذه الإشارات تصوراً هاماً عن نشاط الحركة التجارية في هذه المواطن الصحراوية وما جاورها، وكذلك عن ازدهار الاقتصاد بفضل وتنقل الأفراد والجماعات بين هذه البلدان والأمصار.

كما يشير ابن بطوطة إلى أن الطرق التجارية التي كانت القوافل تعبرها عديدة ومتشعبة، وقد نشأت على طولها مدن كثيرة خدمت التجارة والتجار، ومن بين هذه المدن الناشئة سجماسة وورقلة وغدامس ومدن بتوات وتيديكلت والسودان الغربي⁽³⁾.

ونشير إلى أن هذه القوافل التجارية كانت تسلك عدة طرق وقد رسمت وعلى طولها عدة محطات أصبحت مع مرور السنين مدن تجارية تخدم التجار بأثر النشاط التجاري، ومن بين المدن الناشئة في هذه الصحاري سجماسة وورقلة وغدامس ومدن عديدة بأقاليم توات ضمن مقاطعاته الكبرى الثلاث قورارة وتمنيط وتيديكلت، بالإضافة إلى مدن زالة وتادمكة ووالتا وبورنو وتمبكتو وغاو وأغادس.

¹ - يشمل مصطلح السودان الغربي أو غرب إفريقيا المنطقة الفسيحة التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً حتى السودان، وادي النيل شرقاً، وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب، وهو نفس المفهوم الذي أطلقه الرحالة الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى باسم بلاد السودان.

للإستزادة أنظر: - د. حسين احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 820.

² - ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء 06، ص 406 .

³ - محمد بن عبد الله (ابن بطوطة)، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، 1387هـ، ص 43.

وقد اشار ابن بطوطة إلى أن الطرق التجارية التي كانت القوافل تعبرها حينذاك عديدة ومتشعبة، فقد نشأت على طولها مدن كثيرة خدمت التجارة والتجار، ومن بين هذه المدن الناشئة سجلماسة وورقلة وغدامس ومدن بتوات وتيديكلت والسودان الغربي⁽¹⁾.

وقد ازدانت هذه المدن الناشئة بالمرشدين للطرق التي تسلكها القوافل، ووكلاء للبضائع التي يجلبها التجار، وحظائر للجمال التي تتاخ فيها الابل، وهذا ما ساهم إلى حد كبير في نمو الحركة التجارية في كافة المناطق والبلدان بمشاركة الأهالي من سكان المدن والبوادي، فيذكر ابن خلدون بأن التجارة مع السودان كانت عامة في المغرب على أيامه، بحيث يشترك فيها سكان البوادي وسكان المدن على السواء.

وجاء تصنيف سير حركة هذا النشاط التجاريومسالكه الكبرى القديمة إلى ست طرق رئيسة تتمثل في ما يلي:

1. طريق ينطلق من سجلماسة إلى التاء، ومنها إلى تمبكتو وجني وغاو.
2. طريق ينطلق من تلمسان ويمر بغرداية وتوات وينتهي إلى تمبكتو.
3. طريق ينطلق من تقرت وورقلة وينتهي إلى تمبكتو، ويصل نحو مناطق الشمال ليربط مراكز الموانئ التجارية مثل ميناء جزائر بني مزغنة وميناء بجاية وميناء سكيكدة.
4. طريق ينطلق من واحة الجريد بتونس يمر بمدن غدامس وسوف وورقلة لتنتهي إلى بلاد السودان الغربي.
5. طريق ينطلق من غدامس الغرب بسواحل ليبيا ويمر بغدامس وفزان وينتهي إلى بورنو وغاو.
6. طريق ينطلق من مصر ويمر بواحة سيوة وبزاوية وتادمكة وينتهي إلى غاو وتمبكتو.

كما يبدو أن بعض المدن عرفت تطوراً مذهلاً وخاصة بعدما غيرت القوافل التجارية طرقها الرئيسية القديمة كالمدين الواقعة بتوات وتيديكلت، وجاء تطور هذه المدن نتيجة للأحداث السياسية التي مرت بها مناطق شمال الصحراء وجنوبه وما انجر عنها من

¹ - محمد بن عبد الله (ابن بطوطة)، نفسه.

تداعيات، وذلك اثر مع تطور الاضطرابات السياسية الناتجة عن قيام دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي، وأعقب ذلك سقوط إمبراطورية غانا⁽¹⁾، حيث تميزت هذه الفترة بفساد طرق التجارة الصحراوية المألوفة الذي كان له الأثر البالغ في تعطيل التجارة وانعدام الأمن الذي سبب في ظاهرة اللصوص وقطاع الطرق. وأصبحت من حينذاك المسالك الرئيسية التي تفضلها القوافل تلك التي تمر على بلاد أقاليم توات لأنها وهدوئها ولموقعها الاستراتيجي الذي يتوسط صحراء المغرب الإسلامي هو في نفس الوقت بعيداً عن القلاقل والأحداث التي تجري في شمال المغرب الإسلامي وفي بعض مدن السودان الغربي.

وبهذا للاتجاه الجديد للتجارة على مسالك محطات أقاليم توات، نشطت تجارة القوافل نحو جميع الاتجاهات ولا سيما نحو اتجاه بلدان السودان الغربي الذي يرتبط تجارياً مع الإقليم منذ زمن قديم، ولقد أشار إلى ذلك ابن خلدون حينما قال: (وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكورارين ووركلان)⁽²⁾

ويذكر العياشي⁽³⁾ في رحلته واصفاً هذه الأسواق وأهميتها وما تجود به من منتجات مختلفة تجلب إليها من كل الأمصار بواسطة التجار، حيث شاهد ذلك وهو يمر بهذه الديار فقال : بأن أسواقها تزداد أهمية ونشاطاً لما يقدم إليها التجار أو الركب من الحجيج ، حيث تعرض فيها سلع مختلفة مجلوبة من السودان الغربي ومن المناطق الحجازية إضافة إلى السلع المحلية.

ومن هذا النشاط التجاري الهام أصبحت أسواق توات محط أنظار التجار القادمين إليها من كافة الاتجاهات ولا سيما أسواقها الكبرى الثلاث بالإقليم⁽⁴⁾ وهي سوق تميمون بالقورارة وسوق تمنطيط بتوات وسوق قصر العرب الكبير بالتيديكلت الشرقية (عين صالح).

¹ - زبايدية (عبد القادر) ، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، الجزائر 1971، ص 152

² - ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء 06، ص 63،

³ - محمد أبو سالم (العياشي)، المصدر السابق، الجزء 01 ، ص 20.

⁴ - MALTHE V.A BRUM, le commerce et L Agriculture au touat, Oran 1905, P99.

وكان بفضل هذا الاختيار الجديد والحتمي في نفس الوقت للمسالك التي تمر بها القوافل على مقاطعات أقاليم توات أثره البالغ الأهمية، ذلك بأن جعل هذه المنطقة شهيرة وهامة ومرتبطة بالعالم الخارجي، وأصبحت للعامة والخاصة من الأجناس والشعوب مقصداً للوافدين إليها وملجأً للفارين نحوها ومسلكاً آمناً للعابرين أراضيها، كما جعل هذا الاختيار المنطقة هامة وذلك في التأثير الحضاري والتأثر به حيث انعكس ذلك على الجانب الاجتماعي والثقافي وعلى الجانب الحضاري والعمراني.

وكانت الطرق الجديدة التي تربط بلاد توات مع بلدان العالم الخارجي والتي ساهمت إلى حد كبير في عمران وعمارة المدن الناشئة بالأقاليم الثلاث في ما يلي:

1. توات مع أسواق السودان الغربي.
2. توات مع أسواق تافيلالت وسجلماسة ومراكش.
3. توات مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.
4. توات مع أسواق قبائل توارق.
5. توات مع أسواق شمال الصحراء.

وانطلاقاً من ذلك فأصبحت مقاطعات أقاليم توات الثلاث مراكزها الرئيسية لالتقاء القوافل وتجمعها، وكان أهم هذه المراكز وأنشطها، يتمثل في مركز عين صالح بإقليم تيديكلت، حيث كان سوقه يلعب دوراً حيويًا في الاتصال والتواصل بأعماق أفريقيا، كما يعد أكبر مركز تتجمع فيه القوافل العابرة لهذه الناحية من المقاطعة.

وأما الطرق والمسالك الفرعية التي تربط عين صالح مع مختلف المراكز والمدن هي:

1. طريق يخرج من عين صالح ويمر بأرض قبائل توارق المقيمة بأزجر وفي واي وينتهي إلى بلاد السودان الغربي.
2. طريق يربط عين صالح بغدامس ويمر على غات ثم أحير واغادس ويصل إلى كانو ومناطق الهاوسة.
3. طريق يربط عين صالح بالهقار ثم كانو ويصل إلى بلاد الهاوسة .
4. طريق يربط عين صالح بأقبلي ثم تمبكتو.

5. طريق يمر بعين صالح ويربط بين تمبكتو وارضى الحجاز مرورا بمحطات تمنطيط واقبلي وعين صالح واقسطن والمنيعه وورجلان ثم غدانس وغات ومرزق وفزان ومصر .

6. طريق يمر بعين صالح ويربط بين تمنطيط والسودان الغربي .

وبصفة عامة فإنه بفضل عامل التجارة ونشاطها تحولت معظم المراكز والمحطات إلى مدن التي نرى بعض مخلفاتها اليوم أو التي ظلت تذكر في الحديث المتواتر بين الأجيال .

وكان هذا التحول بداية من عمارة الأسواق لاستقبال التجار وأمن البضائع، والاهتمام باستخراج المياه وفتح الأراضي وذلك بحفر الآبار والفقارات وإنتاج الغلة والأعلاف، ثم كانت عمارة بيوت لإيواء للناس والحيوان، وكذلك عمارة المساجد لتعلم العلوم الدينية والذكر والعبادات .

وتشكلت من خلال هذا البناء العمراني مدنا قائمة بنواتها الرئيسية التي تتمثل في القصبات العتيقة، وإضافة إلى ذلك بنيت القلاع بغرض الأمن والاحتماء من غدر الخصوم وقطاع الطرق .

ومن الجانب الاجتماعي والفكري انجرّ عن هذا الازدهار التجاري وفود هجرات سكانية متعاقبة للجماعات وللأفراد نحو الأقاليم الثلاث مجتمعة وذلك بغرض العمل والاستقرار أو بغرض التجارة أو من أجل طلب العلم .

ويبدو من ذلك أن بداية الاستقرار بالإقليم كانت بتوفير عوامله الأساسية المشار إليها سابقا من توفير الماء وتوفير الأمن من الجوع وذلك بتوفير الكأ من فلاحه الأرض وإحياءها، وتوفير الأمن من الخوف وذلك بعمارة القلاع وتحصين بيوت ساكنيها، واختيار المكان الملائم والأمن بعيداً عن النزاعات والخلافات السياسية التي زامنتها حينذاك في حواضر بلاد المغرب الإسلامي .

04-3- السوق:

ويقع هذا السوق في وسط عاصمة الاقليم الى جانب مسجد وسط المدينة وقصبة باجودة ، ويعرف بسوق قصر العرب الكبير هو سوق كبير وشهير وهو على درجة كبيرة من الأهمية، حيث عرف هذا السوق حركة نشطة من قبل التجار ذهابا وإيابا من مختلف الجهات، فأصبح بمثابة مركز استقطاب لهم ومنفذا جديدا لمرور تجارة القبائل العربية التي سكنت المناطق الداخلية واتخذت الإقليم أحد عواصمها التجارية .

يعتبر سوق تيديكلت الشرقية المعروف بسوق القصر الكبير منذ القدم من أشهر الأسواق وأجودها ومن أذخرها وأنشطها، نظرا للحركة التجارية النشطة به وتنوع السلع المطلوبة إليه من مختلف الاتجاهات وذلك عبر القوافل التجارية، وكذلك السلع المعروضة بالسوق طيلة السنة في المحلات والوكالات التجارية سواء كانت للتجار القارين أو كانت لتجار القوافل.

ونظرا لأهمية هذا السوق جعل الرحالة والمستكشفين والدارسين يشيدون بذلك ويوصون بضرورة الاعتناء بهذا النشاط التجاري، ومن أبرزهم المستكشف الألماني (جيرهارد روهلفس) الذي حلّ بالإقليم وتجول في أسواقها ومنها سوق القصر الكبير و انبهر بما وجد، فقد أوصى السلطة الفرنسية بضرورة إبقاء السوق على حاله والاعتناء به أكثر بعد احتلالها لهذا الإقليم لأن ذلك سوف يعود بالنفع على الخزينة الفرنسية⁽¹⁾. وقد كان من مظاهر النشاط التجاري بهذا السوق ما يلي:

- انتعاش المبادلات التجارية بين القوافل من جهة وبين القوافل والأهالي القارين من جهة ثانية.
- فتح غرف تجارية للوكالات التجارية.
- استقرار ممثلين عن الوكالات التجارية.
- نمو التجارة وبعث الحركة العمرانية بالإقليم.
- نمو الاقليم اجتماعيا واقتصاديا وعمرانيا

¹- Déporter, la question du Touate Sahara Algérien ,Alger- 1891, p 37.

4-04- البعد عن مواطن الصراع والنزاع السياسي:

لقد كان لموقع المنطقة في قلب أكبر صحراء في العالم بعيداً عن الأجواء الساخنة، الملجأ المقصود للذين فقدوا الأمن والأمان في أوطانهم الأصلية، بسبب الحروب والصراعات السياسية والدينية والعرقية التي ابتليت بها المنطقة الساحلية من القارة الإفريقية وقتذاك، من القبائل والأنظمة المنهارة خوفاً من ملاحقات وضربات الخصم، فأصبح الإقليم بمثابة مكان الاحتماء والوطن البديل تحت راية الأمن من الخوف والجوع، فجاء في بعض تواريخ توات عن ابن بابا حيدة: "أول من نزل بها وبنى بها القصر الأول: يقال إنهم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفنت [يعرب: تاشفين] حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس ... فجاءوها هارين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجذب، فعرفوا أنها أرض أمان، لأن الجند لا يطيق المقام بها ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء وحفروا للماء واستوطنوا وكان أول قصر بنوه بها "تيلوت" قصر قديم.."(1).

¹ - نقلا عن: فرج محمود فرج: مرجع سابق ، ص 116.

الفصل الثالث

الدراسة الوصفية لنماذج من المنشآت المعمارية بالإقليم

1. المنشآت المعمارية المدنية
2. المنشآت المعمارية الدينية
3. المنشآت المعمارية الدفاعية
4. المنشآت المعمارية الاقتصادية
5. وصف العناصر المعمارية والبنائية

الوصف العام للمنشآت والعناصر المعمارية

تشتهر مباني تيديكلت بجماليات العمارة العربية الإسلامية خاصةً منها المغربية، ويبدو ذلك من طراز مواد البناء وأيضاً في أنواع الزخرفة مع ميل وتعهد إلى البساطة التي تشاهد في أغلب مدن الصحراء ويتجلى ذلك واضحاً وجلياً من خلال استخدام الخامات المحلية من طين وجصٍ وجير وحجارة وخشب ورماد وهي مواد تضمن قوة البناء وصلابته إلى حين من الدهر وانسجامه مع المشهد البيئي العام.

وقد استخدمت هذه المواد وتقنياتها منذ عهود خلت ببلاد المغرب الإسلامي في تلاله وأريافه، فقد عرف عن قبائل زناتة أنهم كانوا يبنون بيوتاً من طين الشطوط القريب من الماء. وقد اقتفى على آثارهم المتأخرون منهم، حتى أنهم بنوا قرى وحولها أسواراً لا تزال منها بعض الآثار شاهدة إلى الآن⁽¹⁾، وتعد قصور ووحدات أقاليم نوات الكبرى واحدة من تلك الشواهد المادية في مجال العمارة وال عمران البشري بتقنياتها وسبل استخدامها ومواد إنشائها بصحراء المغرب الإسلامي.

وقد كانت الطين المتوفرة في أغلب الأقاليم الصحراوية تعد من المواد الأساسية لبناء البيوت، وكان جريد النخيل المطلوب من شجر واحاتها مادة هامة لتسقيف هذه البيوت، وكانت الحجارة الصلبة التي تجلب من مطامرها مادة ضرورية تستخدم لتقوية جدران مبانيها، كما كان كل من الجبس والجير مادتان هامتان تستغلان في تلييس وتبييض المباني المنشأة بشتى أطرافها⁽²⁾.

ويظهر لنا من خلال المشاهدات الأولى للمباني المعمارية في إقليم تيديكلت الشرقية بأن استخدام المواد المحلية التقليدية التي تزخر بها البيئة المحلية كان مستغلاً بقوة وشمل ذلك مختلف المنشآت المعمارية بالإقليم، فقد مجلى ذلك واضحاً في مباني البيوت الخاص والعوام من الناس ، وشأن ذلك طبع مباني القصبات المشتركة والخاصة بالأسرة او القبيلة الواحدة ، ولم يستثنى هذا التقليد المعماري منشآت العمارة

¹ - العوامر (إبراهيم محمد الساسي)، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ثالة للنشر، الجزائر ، 2007 ، ص 98-103.

² - العوامر إبراهيم محمد الساسي ، نفسه.

الدينية في اتمام بناء المساجد والمدارس القرآنية والزوايا وحتى أضرحة الأولياء التي عرفت انتشاراً لافتاً للانتباه في اقاليم توات الثلاث ، وكان استعمال هذه المواد الإنشائية بنسبة كبيرة يعود الى محاولة الانسان وتفاعله للتأقلم مع الدواعي والظروف الطبيعية والمناخية المتحكمة في اختيارها.

وقد كان واضحاً أن تصميم المباني وتنفيذها قد خضع إلى الظروف المناخية بدرجة كبيرة من الاهتمام حتى جعلت فكر المعماري المحلي في اغلب الأحيان ينساق وفق تلك الدواعي توازياً مع أسباب اخرى موجهة في تشكيل العمران ومنها تعاليم حضارة الإسلام التي رسخت في فكر الخاصة والعامة من الناس.

فوجد من بين تأثيرات النصوص الشرعية من حضارة الدين الإسلامي في هذا الإقليم يتمثل في سمة التسامح والمودة والتراضي والتآلف بين الناس جميعاً من عامتهم وخاصتهم وذلك في شتى المجالات ومنها تأسيس المباني واستحكاماتها.

فنرى مما ألفت عليه جماعة الناس وأصبح من عوائدهم في عمران وعمارة هذه الديار مثل بناء وحدات المنازل والتسقيف هو الاشتراك في الجدران وذلك بغرز الجار خشبه في جدار جاره ولا يمنعه من ذلك، وهذا راجع اقتداء بالحديث الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ⁽¹⁾ لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبته في جداره ⁽¹⁾.

ومعلوم في تاريخ الدولة الإسلامية بأن تنفيذ العمران في بيئاتها المختلفة لم يتفرد في التخطيط لها كجانب التصميم والتخطيط على الجانب المادي البحت، وإنما تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فتفقدنا بعض الدراسات المتأخرة على أن البيئة الإسلامية وضعت أسساً شرعية هادفة⁽²⁾ تجعل من خلالها ذات المسلم تتعلق بذات أخيه المسلم، وتجلب هذه الأسس في منشآت المباني التي وضعت على قواعد متينة برزت ملامحها

¹ - البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة 2004، ص 551.

² - أكبر (عبد القادر)، عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1992م، ص 19.

في التجاور بين الافراد والتعاون بين الناس والاحتكام إلى العرف الاجتماعي السائد والاحترام المتبادل بين عامة الناس وخاصتهم.

وحرصا على ذلك فقد كان المعماري بتديكلت حينما يشرع في تنفيذ المخططات المعمارية يراعي تلك الأسس بحيث لا يتعدى الحدود والمقاييس المعلومة والمطلوبة، امتثالاً ووقوفاً في ذلك إلى ما تعارف عليه الناس في سير حياتهم⁽¹⁾، مثلما هي متجاوبة ايضا مع النص الشرعي الذي لا يختلف عن ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرفه وأعرض عن الجاهلين ﴾⁽²⁾.

ويفسر العلماء المسلمين العرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنين، ما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه، طالما لم يتعارض ذلك مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والعرف يحتل ثلاث معان بالنسبة للبيئة العمرانية تتمثل في:

- معنى عرفي يتمثل في عوائد أهالي بلدة ما.
- ومعنى ذو تأثير قوي لدى الناس وهو إقرار الشريعة لما هو متعارف عليه في العمران بين الناس عموما وبين الجيران خصوصا لتحديد الأملاك والحقوق.
- ومعنى آخر يتمثل في الأنماط البنائية التي شيدت به مختلف الكتل المعمارية. وتعتبر كل هذه المعاني الثلاثة ذات تأثيرا قويا في البيئة العمرانية وهي تتلخص مجتمعة في طريقة وضع البناء واستحكاماته العرفية والتقنية، فمن ذلك نلاحظ نشاط الناس وهم يتوجهون لإقامة مبانيهم انهم يتخذون أسلوبا موحدا أو طريقة متشابهة، وهو ما يدعنا أن نقول بأن هناك عرفا أو نمطا بنائيا يسير عليه الناس بتلقائية فكرية وثقافية على السواء.

وهنا نقف على تأثير الظروف المناخية والطقس على الانسان بحيث تجعله في أغلب الأحيان يتجه إلى البحث عن الحلول البديلة التي تتوافق مع البيئة المحيطة وإيجادها

¹ والعرف ضد النكر والمعروف كالعرف، والمعروف هو النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك كله. للإطلاع انظر: ابن منظور، مصدر سابق، المجلد 09، ص 239.

² سورة الاعراف الآية 199.

حيث تمكن هذا الانسان ويبيي جنسه من العيش بأمان في بيئته ، ونلاحظ من حينئذ منعكس ذلك منفاذا في العمارة والعمران المحليين.

وتظهر لنا هذه المنشآت الجديدة والمتوافقة مع البيئـة المحلية انماطا جديدة تبدو لنا مميزة بخصوصياتها عن سائر عمران البلدان والأمصـار في البيئات الأخرى. ويمكن للدين الاسلامي من جهة أخرى أن يؤثر على تشكيل المدينة وتوزيعها انطلاقا من مجموعة من المحاور يمكن تلخيصها في محورين اساسيين وهما:

✓ المسجد الجامع ويظهر ذلك في جانبين:

أ- وذلك من خلال توجيه محرابه نحو قبلة الاسلام ومنه تتبعه في ذلك عموم المنشآت الاخرى من بيوت الناس ودار الحكم والسلطان وتخطيط ومخططات سائر مرافق العمران.

ب- توسط الجامع بين مساكن الناس ليسهل على القريب والأقصى منه من اداء الصلوات المفروضة والصلاة الجامعة في بيت الله ويظهر هذا التأثير واضحا في: ✓ توزيع مرافقها العامة وربط الأحياء بأهم مرافقها الرئيسية عبر شوارع عامة وأزقة مخصصة تؤدي إلى ذلك، وتمثل نواته المسجد الجامع حيث يعتبر المرجع الجوهري للعمران الاسلامي.

✓ النص الشرعي ويتمثل في توجيهات آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة واجتهادات الفقهاء المتعلقة بفقـه العمران واستحكاماته ويظهر ذلك في حالات عديدة منها:

أ- النص المتعلق بتوجيهاته المنظمة للمجتمع الاسلامي ومدينته .

ب- النص المتعلق بحرص الدين على ضبط وردع الغافلين عن الامتثال لأوامره وتعاليمه السمحة.

وهكذا يؤدي النص الديني بدوره إلى بروز نمط محدد لخصوصيات المدينة تعرف به هذه المدينة عن تلك.

كما يمكن للظروف الاجتماعية المألوفة والطارئة أن تؤثر على تشكيل البناء حيث تترجم عمرانيا وفق الواقع الذي تمر به البلدة من مستوى المعيشة ومن حالة الأمن، ومن تعايش وتلاقح الثقافات المختلفة من خلال الهجرة المتعكسة إلى البلدان، ومن خلال اختلاط الناس وتعارفهم بوفود الجماعات الجدد للعمل وللاستقرار ، فيدعو كل ذلك الناس في البيئة الواحدة إلى الاهتمام باتخاذ الأسلوب الذي يتوافق مع الواقع المشترك ، ويكون مستمرا ذلك ما بقيت الظروف على حالها كما يتطور أسلوب البناء أيضا بتغير حالة الظروف نفسها.

وفي نظرنا و نحن ننطلق من نموذج تيديكلت على الأقل أن العاملين معا (البيئي . النص الشرعي) كانا يشغلان بال ساكني هذه الديار و تحكما في النمط المعماري الذي دأب البناءون على إعادة قواسمه المشتركة بشكل رتيب منذ قرون عديدة، كما لا يمكن كذلك في هذا السياق إغفال عنصراً هاماً، يتمثل في وسائل البناء المحدودة في هذه البيئة الصحراوية.

فما يفسر من مختلف المباني سواء كانت قصراً أو حصناً منيعاً أو مسجداً أو ضريحاً شريفاً أو دوراً محاطة بالأسوار وغير ذلك من المنشآت، بأن ذلك كان استجابة للعوامل المختلفة التي دعت إلى ذلك، من شدة الحر والبرد، أو من الغارات المفاجئة، أو استجابة للنص الشرعي، أو وقوفاً على وفرة المواد الإنشائية وتركيباتها.

ووقوفاً على ذلك فقد جاءت تخوم القصور الصحراوية في جنوب المغرب والجزائر تتوافق مع دواعي العوامي البيئية مفردة كانت أو مجتمعة، حيث كان بناؤها كان استجابة للاحتماء من الغارات المفاجئة من قبل قطاع الطرق أو أثناء نشوب الخلافات بين القبائل، فالبيئة الصحراوية ذات المناخ القاسي ليس لها من وسيلة لاتقاء حر شمسها داخل القصر إلا تحت الأزقة المسقوفة، و ليس من مهرب من نور الإشعاع الشمسي القوي صيفا داخل الدار إلا اللجوء إلى الحجرة أو الأروقة⁽¹⁾.

ومن ثمة فالبيئة أحيانا تدفع الناس بالضرورة إلى البحث عن سبل كفيلة للاتقاء من دواعيها، ولذلك كانت عمارة القصور بالكيفية التي نراها عليه هي أحد الحلول التي

¹ - للإطلاع أكثر أنظر: Pons, l'habitat de Figuig revue marocaine, 1931.

اهتدى إليها الناس للاتقاء من حر الشمس داخل المباني سواء تحت الأزقة المسقوفة أو تحت الدور المغطاة.

ونقول من حينئذ بأن الشكل العام للدور والأزقة داخل القصر يدل على أنه كان له أثر كبير لتوجيهات الوسط الطبيعي الذي حرص البناؤون المحليون منذ القديم على التكيف معه.

وبصفة عامة توحى لنا مختلف المباني الموجودة في القصر بالاستعداد للدفاع وذلك وقاية من شر الأعداء والمرترقة ومن تأثيرات عوامل البيئة على حياة الناس. وعلى العموم يظهر المعماري في تيديكلت أنه كان ذو خبرة توارثها منذ أجيال، تجلت في معرفته كيف يدعم و يشيد أسس مباني ذات ارتفاع شاهق أحيانا قاومت مختلف العوامل الطبيعية القاسية كهبوب الرياح العاتية وسقوط الأمطار الفجائية التي لم تؤثر على الشكل العام لكثير منها بالرغم من كون مادة بناءها هي الطين.

فقد تمكن المعماري المحليين التجاوب مع هذه الدواعي بفكره وفلسفته وبأدواته البسيطة فألقى شرها حينما أدرك الحلول الناجعة وقت ذاك فعرف كيف يبني مختلف الاضرحة والأفواس من الطوب الطيني في أشكال هندسية تعبر عن ذوق فني بديع محترم. وما يمكن قوله بصفة إجمالية من خلال الملاحظات العامة عن دور الأهالي بالإقليم بأنها جاءت متساوية في المقاسات ومتقاربة في المساحات ومتشابهة في الواجهات والتتويجات.

01 المنشآت المعمارية المدنية

-1-01 المسكن (البيت):

تداول على ألسنة الناس كلمتان تحددان معنى المسكن وهما " دار، وبيت"، ويبدو في الأصل أن الكلمتين مختلفتان في المعنى، ذلك أن كلمة "دار" مشتقة من دارة أي الشيء المحاط بمعنى حيز مكاني محاط بجدران، ويقصد بها أيضا مأوى البدو من المباني والخيام⁽¹⁾، حيث تكون في بناءها بجانب بعضها البعض في شكل دائري. أما كلمة "البيت" فتعني الملجأ المغطى الذي يستطيع فيه الشخص قضاء الليل⁽²⁾. والبيت في معناه العام هو كل مسكن حضري من حجر أو آجر أو خشب، وكل خيمة بدوية من جلد أو صوف أو وبر للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾⁽⁵⁾.

واعتبر الاسلام البيت او المسكن من العمائر الأساسية للإنسان في هذا الوجود وتعد من النعم التي أنعمها الله على عباده في أرضه وذلك ليحس الناس بالأمن والأمان فيها حين يأوون إليها ويستترون بها من عوارض الطبيعة ومن شر خلق الله من البشر وسائر المخلوقات الحية التي تشاركه المعيشة في البيئة.

ولقد تعددت نوعية هذه البيوت وأشكالها ومادة بناءها وتصميمها حسب الزمان والمكان، فكان منها ما بني على السهول كبيوت الصوف والوبر وبيوت الجلد والحطب ومنها ما نحت في الجبال فكانت منها الغور والكهوف ومنها ما بني من الطين والحجر فتشكل في تصميم الدور والقصور.

¹ - محمد سويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 217.

² - MARCAIS (G), Dar, In Encyclopédie de l islam, Paris, 1977, P 116

³ - عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2000،

ص38.

⁴ - القرآن الكريم، سورة النحل، آية 68.

⁵ - سورة النحل الاية 80

وقد اعطت جميع انواع هذه المساكن السكنية والطمأنينة في نفوس ساكنيها من الناس باختلاف منازلهم ومرتبهم على مر العصور قال تعالى في ذلك :

وقال تعالى ايضا: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ النَّحْتُونَ مِنْ سُهُولَهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (1).

فبعد أن لجأ الإنسان البدائي إلى الكهوف والمغارات للاحتماء من مختلف المؤثرات الطبيعية وغيرها، وعاش فترة من الزمن متنقلا بين البيئات المختلفة الى أن استقر في الأماكن التي وجد فيها على ما يحتاج إليه من الأكل والشرب والاحتماء ، اهتدى أيضا في عصر الاستقرار إلى ضرورة ابتداء المأوى أو الوعاء الذي يحميه من العوامل الطبيعية المؤثرة فعرف صناعة البناء، يقول ابن خلدون: (إن أول الصنائع العمران الحضري وأقدمها، هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكنوالمأوى للأبدان في المدن... لأنه فكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتتفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها) (2).

فالمسكن في مفهومها العام انذ هو الوعاء الذي احتوى فيه الإنسان كيفما كان شكله ونمطه (3). ومفهومه كما ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن هو السكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا أي استوطنه.

ويعرف أيضا بالمنزل وهو مكان نزول القوم وسكنهم، وورد في القرآن الكريم لفظ البيت ظرفا وشرطا مكانيا لتحقيق غاية المسكن (4). قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ (5).

1- سورة الاعراف الاية 74

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 365.

3- عقاب (محمد الطيب)، المسكن في القبائل الصغرى، حوليات المتحف الوطني للأثار، العدد 12، الجزائر، 2002، ص 3.

4- بن يوسف (إبراهيم)، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، ابوداود، الحراش، 1992، ص ص 159-160.

5- سورة النمل، الآية 80.

وقد عرف مساكن الرحل عبر التاريخ الانساني بأنها بيوت الخيم التي تصنع من الوبرأو من جلد الماعز وشعره⁽¹⁾.

أما بخصوص فن العمران التي تميزت بها مساكن المغاربة القدماء، فيمكن استنتاج ذلك من خلال تتبع التطور الذي عرفته تلك الدور من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي، فمن الكهوف والأكواخ"مقاليا" اخذ ذلك الإنسان يتطلع إلى التنفن في مسكنه، غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة إذ أنها سهلة التفكيك،أما الذين منهم اختاروا الاستقرار فقد تفننوا في مساكنهم التي كانت في البداية عبارة عن كهوف ثم أصبحت أكواخا مبنية بالطين والحجر،ومع مرور الدهر أصبحت بيوتهم تظهر في أشكال تصميمية مختلفة كالمربعة...⁽²⁾

وتعتبر المنازل في المدن الاسلامية من أهم المرافق الاجتماعية التي دأب المسلمون على العناية بها في وضع التصاميم وفي تنفيذ ذلك في شكل جزئية عناصرها المعمارية أو في شكل وحدتها المعمارية .

وكان المعماري المسلم يحرص كثيرا على توافق منتجاته المعمارية مع العوامل الطبيعية والعوامل المدنية الاخرى الاجتماعية والدينية والاقتصادية ولذلك ظهر تصميم المنازل في تاريخ العمران الاسلامي متوافق مع دواعي المؤثرات الطبيعية وعوائد الناس، فكانت عمارة المنازل تراعى فيها حرمة الدار حيث صممت سقائفها بنوافذ متسعة تطل على فناء الدار بينما نوافذها التي تطل على الشارع فصممت صغيرة ومرتفعة لتحجب المارة على من بداخلها⁽³⁾.

كما راعى المعماري ايضا نوع المواد الانشائية التي اختارها واستغلها في عمارة البيت والمنزل وسائر المباني في مختلف الاماكن والبلدان وتمّ ذلك تماشيا مع الظروف المناخية التي تتطلب ذلك.

¹ - العربي(اسماعيل)،الصحراء الكبرى وشواطئها،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص 37.
² - بوزيان(الدرابي)،القبائل الأمازيغية،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،2003،ج1،ص 52-53.

³ - محمود وصفي(محمد): دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية القاهرة، دار الثقافة،1400هـ/1980م ،

وقد نلمس جانبا من هذا الاهتمام في المناطق الصحراوية التي تتميز بمناخ حار وجاف مثلما هو شأن إقليم تيديكلت الشرقية حيث كانت المواد الإنشائية التي استغلت في عمرانه هي مواد مختارة من البيئة المحلية، وكانت التربة الطينية بمختلف ألوانها تلعب دورا فعالا في عملية الإنشاء وأحد الحلول في تلطيف الجو مثلما كانت مراعاة تصاميم الوحدات المعمارية مهمة وهي تستجيب لدواعي الظروف والعوامل البيئية. وشاهدنا من خلال التحريات التي قمنا بها في هذا الإقليم آثاراً لمخلفات أسس بناء بيت عتيق يزيد عمره عن 500 عام حسب ما ترويه الذاكرة الشعبية بالمنطقة وتحدد لنا هذه الاسس مخطط البيت القديم الذي أعد ونفذ من قبل المعماري المحلي في السابق.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات الأولى قمنا بمعاينة مجموعة أخرى من المساكن في التجمعات الواحية بقرى الإقليم ومنها قرية السهلة والزاوية وسلافن وكان أقدمها مساكن تعود إلى أكثر من 100 سنة، وهي تقع في التجمعات العتيقة أي "القصبة" أو "اغرمان" يلسات امازيغ التوارق ، فلاحظنا أن هناك تطابقاً بين مخططات مساكن هذه الكتل الواحية مع مخطط المسكن القديم بهذه المحلة الأقدم مثلما أن هناك تكراراً في تنفيذ نموذج هذا المخطط في عمران بيوت مختلفة قبائل وأعراق الناس بالإقليم، وهذا ما يجعلنا نستنتج على أن هناك تقليداً معمارياً ونمطاً فنياً متعارف عليه لدى الخاصة والعامة من الناس وذلك في تنفيذ مخططات مساكن عامة الناس في مختلف هذه التجمعات الواحية والذيطان العمل بذلك متواصلاً إلى بضع سنوات خلت من القرن الحادي والعشرين⁽¹⁾.

وفي هذا الحال يمكن القول في دراستنا الأولية، بأن هناك نمطية في تخطيط البيت المحلي والتي نحصرها مبدئياً حسب مرجعية نموذجين من البيوت، أي نموذج لمخطط بيت يعود إلى أكثر من 500 عام خلت، ونموذج لمخطط بيت يعود بدوره إلى أكثر من 100 عام خلت وجاء النموذجان متطابقان في التصميم من حيث الشكل والتفاصيل.

¹ - لا يزال بعض الناس يكررون نفس التصميم في تنفيذهم للبيوت المخصصة للدواب والاعنام في مزارعهم وبساتينهم بالإقليم ويتحكم في ذلك وسائل التسقيف التي هي محلية وملانمة للبيئة المحلية.

وانطلاقاً من المعاينات الميدانية فإننا نلاحظ بأن الدار في قصور تيديكلت الشرقية من خلال مخططها العام الخارجي قد صممت بأشكال مربعة أو مستطيلة وهي تتكون من جدران خارجية صماء تتميز ببساطتها الجمالية حيث تكاد تخلو من عناصر الزخرفة ما عدا تتويج المباني التي تنتهي بقبيبات على أركان المبنى وأحياناً على كامل جدار أو سور المبنى، وبأشكال هندسية مثل المثلثات والمربعات وأخرى سهمية ورمحية وقلمية، أوتزين برسم أثر أصابع الأيدي على الجدران أو تبييضها بالتربة الجيرية أو الطينية، كما تخلو من الفتحات والنوافذ باستثناء الباب الخارجي المؤدي إلى داخل البيت، أو ثقب الميازيب⁽¹⁾ "أزولال" الخاصة بتصريف مياه الأمطار والتي تظهر بأعلى الجدران الخارجية (انظر المخطط رقم: 05 أ واللوحة رقم: 1/08)، وهذا الوصف ينطبق حسب ما جاء في دراسات ميدانية خاصة على أغلب عمائر القصور الصحراوية في الجنوب الجزائري⁽²⁾.

أما شكل البيت في مخططه الداخلي فصمم وفق حاجة الناس التي دعت إليها العوامل البيئية ولا سيما منها العوامل المناخية حيث دفع ذلك بالسكان من أهالي هذه القصور إلى البحث عما يوفر لهم الحماية من مثل هذه العوامل على غرار الحلول التي استعملت في مختلف أقطار العالم الإسلامي⁽³⁾.

فكان من نتاج ذلك الاهتمام بالتخطيط الداخلي الذي يتماشى وظروف البيئة، حيث نلاحظ ترجمة هذا الاهتمام واضحة وبارزة في المكونات الأساسية للبيت من المداخل والسقائف والأفنية والغرف والسطح... الخ.

فنرى في تنفيذ تخطيط الوسط الداخلي للبيت "الدار" بأن هناك جدار داخلي مواز للجدار الخارجي ويحيط بفناء مركزي يسمى برحبة وسط الدار، بينما المسافة التي

¹ - يطلق عليه محلياً لفظ أزولال، وميازيب جمع ميزاب، ويعني المثقب أو القناة أو أنبوب أو مجرى من معدن أو حجر بارز عن سمت واجهة البناء من أعلى يثبت أحد طرفيه على الجدار ويميل الطرف الآخر قليلاً إلى أسفل حتى ينحدر منه ماء المطر الذي يتجمع على السطح. - عاصم محمد رزق، مصدر سابق، ص 298.

² - للاستفاضة أكثر أنظر: حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

³ - الخلولي (بدر الدين)، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، الجامعة العربية، بيروت 1975، ص 46.

تفصل بين الجدران فلا تتعدى في أغلب الأحوال ثلاثة أمتار (03م) وهي مغطاة بسقف معد من شجر النخيل والتربة الطينية حيث تشكل هذه الأخيرة الغرف الجانبية المطلة على رحبة وسط الدار.

ونجد هذا التقليد المعماري أكثر استعمالاً في بلاد المغرب الإسلامي وإسبانيا⁽¹⁾ ولازال محبباً لدى العامة من أهالي الصحراء في تخطيط عمائرهم.

ويمثل البيت التقليدي بديار تيديكلت الشرقية بناية ذات مستوى أرضي يتوسطه فناء مركزي محاط بأروقة، ويعتبر هذا الفناء في الوقت نفسه المكان الذي تقام فيه مختلف النشاطات المنزلية كما يعتبر منفذاً للضوء وضبط الحرارة المناسبة للغرف الجانبية، حيث تأخذ ما يلزمها من الهواء والجو المنعش.

وللتعرف بشكل أوضح على أسلوب التصميم وكيفية بناء المساكن التقليدية بالإقليم، زرنا بعض المساكن القديمة وقمنا برفع مخططها التصميمي وهو يتكون من طابق أرضي فقط ويعود إلى أكثر من قرن. كما أخذنا صوراً فوتوغرافية لآثار مسكن أنت عليه عاديات الزمن (انظر اللوحة رقم: 03 / ب).

ولاحظنا أن هذا التخطيط هو السائد والمتداول في كافة دور ومساكن القصور في الإقليم وهذا ما تتداوله أيضاً الذاكرة العمرانية لدى البنائين ومتعارف عليه لدى العامة والخاصة في اختيار مخططات مساكنهم حتى إلى فترة الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

وعلى العموم يأخذ المسكن شكل المستطيل في تصميمه وهو مكون من طابق وحيد فقط وتنصب فكرة التصميم على وجود الفناء الداخلي (رحبة الدار) في وسط المسكن ويحيط بالفناء سقائف لكل واحدة وظيفة منوط بها وفقاً للاستخدام (انظر المخطط رقم: 02).

فقد جاء تخطيط وتنفيذ المسكن التقليدي في الإقليم يضمن نوعاً من التهوية الطبيعية وذلك بتقليله من الأبواب. فلكل منزل باباً وحيداً لا أكثر، وهو باب المدخل الرئيسي للمسكن الذي يؤدي مباشرة إلى مجلس الضيوف من الرجال يُسمى محلياً بسقيفة الباب

¹ GALLOTTI.(J) , le jardin et la maison arabe au Maroc, Tom 01, édition. -
ALBERT LEVY, Paris, 1926, P 03

أو "درب" وهي إشارة إلى موقعه كأقرب مكانٍ من باب الشارع، حتّى لا تقع عين الزائر على حرمة أهل الدار ، كما يؤدي الباب من خلال رواق يقطعه إلى مجلس للنساء ويسميه السكان بسقيفة الرحبة، وينتهي الرواق بانكسار يعرف باسم الركنة والتي هي سقيفة للنوم خاصة بأهل الدار، وفي وسط هذا الرواق مدخلاً يغلق بباب يؤدي إلى سقيفة خصصت لجمل متاع الأسرة، ويقابله مدخلاً آخرًا يؤدي إلى وسط الدار والذي هو عبارة عن صحن يسمى عند الناس بالرحبة، حيث تفتح فيه بقية مداخل الغرف أو السقائف التي تتوزع من حوله حسب المساحة التي تشغلها الدار، خصص بعضها لحفظ أدوات الفلح والحطب وعلف المواشي وأخرى محبساً للحيوانات، وغيرها خصصت لخرن مئونة عيش الأسرة السنوي ويطلق عليها (الميشار)، و منها أيضاً سقيفة للطبخ وللتدفئة.

وبالصحن غالباً ما نجد فيه سلماً نصل به إلى سطح المسكن، تمّ بناءه من الخشب والطوب إضافة إلى الطين للتحميم والتمتين، ويضمن السلم الذي يؤدي إلى سطح البيت وجود حيزاً يقع تحته، استغل هذا الأخير في حفظ القرب وقلل الماء وبعض أواني الشرب لتبقى في الظل عن وهج وغيظ الشمس.

01-2- القصر والكتلة المعمارية:

أ- القصر والمدينة في العمران الصحراوي:

إن المتمعن جيداً في الدراسات الوصفية الأجنبية حول القصور الصحراوية يدرك مدى الصعوبة التي تواجه الباحث في تحديد وتدقيق المصطلح المتداول فطرف يطلق اسم المدينة على القصر في حين يحتفظ الطرف الآخر بمصطلح القصر دون سواه.

وحيثما نضع اللفظ في ميزان شروط قيام المدن وفلسفة العمران الإسلامي فإننا لا نكاد نلمس فرقا جوهريا بينهما فكلاهما يخضع إلى نفس الشروط ويصبو إلى نفس الهدف تقريبا إلا ما زاد أحدهما عن الآخر بشيء قليل لا يصل إلى درجة الاختلاف، ولذلك بات

مفهوم القصر له علاقة وطيدة بمفهوم المدينة وان اختلف تعريف كل منهما عن الآخر لغة واصطلاحاً⁽¹⁾.

فمن كلمة "دين" جاءت المدينة وهي ذات أصل سامي استعملها الآشوريون والأكاديون وتعني القانون وجاءت في اللغة الآرامية العبرية بمعنى القاضي، وتوافقت هذه التفسيرات مع ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما أشارت له أيضا المعاجم العربية حيث جاءت مختلف المواضع التي أطلق عليها لفظ مدينة بأنه كان عليها حكام وملوك و كيان مادي واجتماعي وبذلك أنها تعني إقامة تكتلات بشرية داخل أسوار المدن المخطوطة.

ونلمس هذا التحديد أيضا في تعاريف كثيرة للمدينة على لسان المؤرخين والجغرافيين منها تعريف ابنخلدون قائلًا: (فالمدينة والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير)⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب لابن منظور في ماهية المدينة من مدّن بالمكان: أي أقام به وتجمع على مدائن ومدن، والمدينة هي الحصن يبني في أصطمة الأرض، وكل أرض يبني بها حصن أصطمتها فهي مدينة⁽³⁾.

أما بالنسبة للقصر فله معاني عدة كما قال ياقوت الحموي، منها الغاية، والمنع، وتضييق القيد على البعير وغيرها. والقصر المراد به هنا هو البناء المشيد العالي المشرف⁽⁴⁾.

والقصر كما ورد في لسان العرب هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر قرشية، وسمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرام أي تحبس⁽⁵⁾. مصداقا لقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي

¹ - حملاويعلي، المرجع السابق، ص 32-39.

² - بن يوسف (إبراهيم)، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، ابوداود، الحراش، 1992، ص ص 66-67.

³ - ابن منظور (جمال الدين محمد)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي البكيري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1990، ص 4161.

⁴ - الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، ج 4، طبعة دار صادر، بيروت 1397هـ / 1977م، ص 354.

⁵ - ابن منظور، المصدر السابق، ج 11، ص 186.

﴿الْخِيَامِ﴾⁽¹⁾. ولقد ورد لفظ القصر في القرآن الكريم مفردة وجمعا في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿...وَبُنِيَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾⁽²⁾. وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾⁽³⁾

ويعرف على أنه بناية فخمة واسعة، ويقترّب هذا المفهوم من المصطلح المتداول في المصادر التاريخية، حيث يقصد بالقصر مقر الخليفة أو الحاكم، وما يضمه من قيان وغلمان وخصيان⁽⁴⁾.

وامتازت هذه القصور بفخامة بنائها وحسن تخطيطها وروعة زخرفتها وذلك لما كان يوليه الحكام والأمراء من اهتمام بها وتنافس فيما بينهم ، فبنوا قصورهم في الحضر كما بنوها في البوادي والصحاري ومن أشهرها قصر عمرة وقصر خربة المفجر⁽⁵⁾.

ويختلف مفهوم القصر في البيئة الصحراوية حسب اجمعت عليه الدراسات الحديثة حيث جاء يعني ((ذلك الفضاء المشترك المغلق والمقسم الى مساحات موزعة توزيعا نوعيا، والذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي، وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للإحتماء به عند هجوم العدو))⁽⁶⁾

يقصد من تسمية القصر أو (لْقَصْرُ lagssar) في مناطق الأطلس وكافة المناطق الصحراوية هي تلك التكتلات السكنية التي تقع فوق أماكن مرتفعة⁽⁷⁾. ونجد هذه التكتلات السكنية في غالب الأحيان إلى القرب من الأودية والواحات مثل قصور وادي الساورة ووادي مقيدون ووادي ميزاب ووادي ريغ والزيبان في صحراء الجزائر .

¹ - سورة الرحمان، الآية 72.

² - سورة الحج، الآية 45.

³ - سورة الفرقان، الآية 10.

⁴ - حملاوي (علي)، «القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته»، حوليات المتحف الوطني

للآثار، الجزائر، 2001، العدد 10، ص 31.

⁵ - ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963م، ص 120-127.

⁶ - ايوب (عبد الرحمن)، من قصور الجنوب التونسي، القصر القديم، النقاش والكتابات القديمة في الوطن

العربي، تونس، 1988، ص 131.

⁷ - DESPOIS. (J), le djebel amour, Presses universitaires de la France, Paris, 1957,

ويمكننا أن نشاهد هذه التكتلات السكنية بشكل واضح وجلي في المواقع التي إنشئت فيها وذلك في اقاليم توات الثلاث من خلال القصور التي ما زالت تتبع فيها الحياة حيث هي محافظة على نمط مخططها وتصميم مبانيها وأهلة وساكنيها ومطلة على واحاتها التي ما زالت تروى من ماء الفقارة.

ونجد هذه الكتل البنائية أحيانا مُجمعة ومشكلة أحياء وقرى تدعى بـ (لقصور lagssour)⁽¹⁾ مثل قصر العرب وقصر المرابطين وقرى أخرى بالإقليم.

ويبدو أن مصطلح قصبه هو اسم متداول في مختلف المناطق، حيث نجده تارة يطلق على التكتل البنائي الذي يقع في قلب المدينة أو تكون بعيدة عنه⁽²⁾.

ويعتبر القصر في صحراء المغرب الاسلامي تعبيراً عن صورة الابداع الهندسي البربري الذي انتجه حس الفنان المعماري ونفذها في مختلف بيئاته الصحراء الليبية، مروراً بالجنوب التونسي ويستمر بالصحراء الجزائرية وصولاً إلى اقصى بلاد المغرب⁽³⁾.

ولقد شاعلفظ القصر على المدن الصحراوية ومدن الواحات⁽⁴⁾ فسكانها يطلقون لفظ "القصر" أو "القَصْر" - "lagssar" بفتح اللام والصاد وسكون القاف والراء على مدنيهم وواحاتهم التي يأهلونها، وهي بذلك تبعده عن القصر المرادف للبلاط أي الوحدة السكنية المتصلة بالملك وحريره⁽⁵⁾.

¹ - ROBERT. (C R), L'Afrique blanche française, le Sahara française, T 02 Presses universitaires de la France, Paris, 1959, P234 .

² - ROBERT. (C R) , Greniers domestiques et Grenier fortinner fortifiées au Sahara, le cas du Gourara, t /i .r .s. t . T x i v ,1956

³ - Montagne (R), Villages et Kasbas berbères, Paris 1930, P143.

⁴ - الواحات مفرد الواحة أو الواح وهي كلمة أجنبية قال ياقوت الحموي أنه لا يعرف أصلها ولا معناها ويظن أنها قبطية.

- انظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 117.

⁵ - عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصور القنادسة الأثرية دراسة معمارية، الجزائر، 2007، ص 17.

وانطلاقاً من ذلك فإن لفظ القصر له معنيان من حيث التخصيص وذلك حسب تواجده في منطقة الصحراء وغيرها من المناطق التي عرفت نظام الحكم في عواصم الدول القائمة وفروع سلطانها في ثلوث البلدان وسهولها وصحاريها.

وفي الصحراء يرادف مفهوم القصر الوحدة السكنية التي تأهلها الجماعة أو القبيلة أو العشيرة وهي تعني بذلك القرية أو المدينة المحصنة بالأبراج والصور الذي يحيط بها وهي تقابل وتختلف مع الوحدة السكنية المتصلة بالملك والسلطان ومن يكون في حاشيته.

وهكذا يمكن اعتبار القصر في هذه المواطن مدينة صحراوية على نمط الحصون والقلاع والربط وما إلى ذلك من القرى المتماسكة بالقرابة في النسل والملة والعقيدة وكذا في التوجه الاقتصادي والاجتماعي⁽¹⁾.

ويتبين لنا مما سبق أن لفظ القصر تعني في مناطق الإقليم الصحراوي هي تلك المجموعات السكنية التي تشغل أحيانا مساحات صغيرة وأخرى كبيرة وتكون محصنة أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة بالإضافة إلى قربها من الأودية والواحات التي تعتبر مصدرا هاما للحياة⁽²⁾.

إذا فالقصر هو كتلة كثيفة متماسكة ومتجانسة مكونة من عدة مساكن مترابطة إلى بعضها البعض مجسدة التآخي والتضامن الذي يحث عليه الدين الإسلامي الحنيف حيث نلمس ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

ويحيط بهذه التكتلات أحيانا سورا سميكا تتخلله مزاغلا ومدعما بأبراج للمراقبة وفي أحيان أخرى نلاحظ أن السور يختفي ويعوض بجدران البيوت الخلفية لتشكل في

¹ - عقاب (محمد الطيب)، نفسه، ص 19.

² -

النهاية ما يعوض سور الحماية حيث يظهر هذا الأخير في مخطط الكتلة العمرانية وهو يحيط بكافة جهاتها مشكلا بذلك الاحتواء لمبانيها ومحققا بذلك الأمن لساكنيها.

وجاء القصر في تخطيطه عبارة عن تجمع سكاني مقسم إلى مجموعة من الأحياء الخاصة بكل قبيلة أو عرش تربط بينها مجموعة من الشوارع الضيقة والمتوية القليلة التعرض لأشعة الشمس والتي تلتقي في ساحة عامة (رحبة)⁽¹⁾.

ويحيط بالقصر سور سميك محصن بآبراج عززت بشرفات دفاعية ، ويحيط بالسور خندق عميق يتم اجتيازه بواسطة ابواب متحركة مصنوعة من خشب شجر النخيل، ونلاحظ ذلك في قصر تقرت وورقلة، وقصر الحجيرة وتمرنة القديمة، وقصر نقوسة بالجنوب الشرقي، وفي قصور تمنطيط والتوات وتيديكلت وما جاورها في الجنوب الغربي.. كما نلاحظ ان السور في بعض الاحيان يعوض بالجدران الخارجية للبيوت حيث تشكل بتلاحمها سورا دفاعيا مثلما هو الشأن في قصر تمرنة الجديدة وقصر تماسين بوادي ريغ وقصر تاجموت بالاغواط ، ويتوسط كل قصر قصبية خصصت لإقامة الحاكم مع عائلته مزودة هي الاخر بسور معزز بآبراج وشرفات كما هو الشأن بقصر تاويلة بالاغواط⁽²⁾.

ونقف أحيانا على تخطيط القصور الصحراوية من خلال توزيع الوحدات العمرانية بأن القصر يضم بداخله قصبية أو أكثر للاحتماء بداخله في حال نشوب الحروب⁽³⁾ أو حدوث الغارات من المرتزقة وقطاع الطرق أو وقوع الخلافات والفتن بين القبائل وأبناء العرق المختلفين يقول ابن خلدون: (...فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة ماء أو أسوار تحطوهم، ويصير جميعا مدينة واحدة)⁽⁴⁾.

¹ - يمينة (بن اصغير حاضي)، (القصور الحراوية بالجزائر صورة للابداع الهندسي)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 15، المركز الجامعي غرداية، الجزائر، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م، ص 136-138.

² - حملاوي (علي)، القصر بالجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص 33.

³ - حملاوي (علي)، نفسه.

⁴ - ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، المصدر السابق، ص 365.

وينسب القصر بالإقليم الصحراوي غالبا إلى ولي صالح باعتباره مؤسس القصر أو إليه يرجع الفضل في لم شمل سكانه، مثل سيدي خويلد ببسكرة ، أو ينسب أحيانا إلى العرق البشري المستقر به مثل قصر العرب، قصر المرابطين بإقليم تيديكلت وأحيانا نجده يأخذ اسم الموقع أو المكان الي انشأت عليه البناية إلى غير ذلك من أصول التسميات التي يتعارف عليها قاطني هذا القصور. وعلى هذا الأساس تتفق الدراسات الحديثة في مفهوم القصر بأنه هو الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا، الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة⁽¹⁾.

وتعتبر القصور بصفة عامة نتاج حضاري لمفهوم المدينة الإسلامية فهي ذات نسيج عمراني يتميز بوجود علاقة وطيدة تتمثل في تلاحم خلايا العائلات الأصلية التقليدية المتعاقبة المستعملة للنسيج العمراني، هذا النسيج الذي يتكون من منازل متلاحمة وصغيرة الحجم وطرق ضيقة لا تسمح إلا بمرور إنسان أو بعض البهائم، وتتفرع عن هذا الطريق عدة ممرات تنتهي بمنازل، وفي القصور تكون الأزقة سلمية الاستعمال من أزقة عمومية إلى أزقة وطرق شبه عمومية فمداخل خاصة والبيت القصورى يكون عادة بسيطا يلبي حاجيات السكان بعيدا عن المارة الأجانب في مدخل مغلق محاط بحائط تكون فيه المداخل داخلية تطل فيه على مساحة البيت المغلقة.

فرضية نشأة القصور: القصر لم يحدد وجوده بل عرف بأحد الفرضيات التالية هي: الرحل عندما يضعون رحالهم في مكان ما، وعلى أرضية ما تعطي للمكان صبغة جديدة أي مكان سكني، ويبقى يأخذ وضعيته المكتسبة لسكان جدد حيث النشاطات الأساسية والأماكن العائلية تكون في مكان مغطى و محدود وتتضاعف العملية حتى تكون كتل سكني وهذا ما يطلق عليه اسم الدوار .

السكن يكون ثابتا بدلا من المساكن المتحركة والغرض منه البحث عن مكان أمين وهكذا حتى تكون غرف ومساكن متلاحمة فيما بينها وتشكل شكلا هندسيا مربعا أي الشكل البسيط المستعمل في الخطط العسكرية وذلك قصد الحماية ولهذا فإن الهندسة المعمارية للقرى من هذا النوع والتي تكون على ضفاف الواحات والمناطق الشبه صحراوية تمثل

¹ - حملاوي(علي)، القصر بالجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص 36-37.

نوعاً من الحماية تخلق عادة في المناطق الشبه الجافة، وهذا النوع من الحماية لا يأخذ الحماية من الأجناب حسب، بل كذلك من المناخ القاسي الذي تعانيه. -مورفولوجية القصور: كان من الضروري على الإنسان المستوطن للمناطق الصحراوية أن يبدع لنفسه نمطاً عمرانياً يتلائم مع الظروف المناخية و الطبيعية به وتوفره القيام بوظائفه ونشاطه الذي كان زراعياً بشكل كبير، وبعض التبادلات التجارية بشكل ثانوي، فأنشأ بذلك القصور التي هيمنت للتوطن في الأقاليم الصحراوية معتمداً بذلك على مقومات ضرورية للعيش في هذه المنطقة متمثلة في توفر الماء كعنصر أساسي للحياة وسقي الواحات والفقارة المرتبطة مباشرة بالقصر، والتحصن والأمن منعديان الغزاة وبشكل هذا مناخاً يساعد الإنسان الصحراوي على الاستقرار أما من الناحية المرفولوجية للقصر فإنه يمكننا أن نعرفه على أنه كتلة كثيفة متماسكة ومتجانسة تمتد أفقياً ذات علاقة مباشرة مع الواحات المرتبطة بها.

وتنقسم القصور عموماً إلى نمطين اثنين فمنها المربعة الشكل وهي التي شيدها العرب و البربر، التي تكون ذات سور عالي يحيط بدورها وتكون مزودة بأبراج مراقبة في الزوايا كما تزود بخندق في احد واجهاتها واحياناً يحيط بها خندقاً في جميع واجهاتها. والنمط الآخر يأتي على شكل دائري وتعتبر هذه النماذج الأقدم حسب المؤرخين وهي عبارة عن قلاع سكنها اليهود قديماً.

ومن الناحية الوظيفية يعتبر القصر ذلك النظام العمرانياً الأكثر تأقلاً مع البيئة الصحراوية انطلاقاً من اختيار الموضوع وكذا إلى النمط المعماري المستعمل في الوحدات السكنية من مواد البناء ولما يوفره للعديد من الحلول التقنية كالتهوئة والتبريد والتدفئة. ويقوم القصر كمجال أوسع على مقومات أساسية ثلاث تحدد معالمه تتمثل في القصبة التي هي نواة الكتلة المعمارية. والفقارة مورد مياه الشرب والسقي والبساتين أو الواحات التي هي الفضاء الأخضر التي تننفس عليه القصور .

ب- القصر في إقليم تيديكلت الشرقية:

يتضح لنا من دراسة أسلوب التخطيط والبناء في هذا الإقليم أن هناك علاقة بين أسلوب البناء والبيئة، حيث أن البيئة تفرض ظروفًا معينة ترغم سكانها على ضرورة التكيف معها.

ويتضح لنا أيضًا حينما نستعرض خصائص موقع الإقليم البيئي، أنه يقع في بيئة صحراوية قاسية حددت نمطًا مميزًا من العمران التقليدي سواء على مستوى تخطيط الكتل المعمارية أو تصميم وتشيد مختلف المباني حسب الوظيفة التي أقيمت من أجلها سواء كانت مدنية أو دينية أو دفاعية، وهذا ما يلاحظ فيمعظم الأقاليم المجاورة⁽¹⁾.

والظاهر أن البيئة الصحراوية السائدة عملت في المنطقة إلى حد كبير على تحديد نمط من العمران التقليدي ذلك أن مختلف العوامل البيئية أثرت في تحديد تلك المعالم حيث ترجم ذلك وظهر في شكل المباني المتلاصقة مع ندرة الفراغات الكبيرة داخل الكتل المعمارية وذلك تماشيًا مع الظروف المناخية للمنطقة حيث المناخ الحار والجاف مما جعل المباني مغلقة من الخارج ومتجهة إلى الداخل على أفنية داخلية وممراتها ضيقة والفتحات الخارجية قليلة.

وتتخلل الكتل السكنية بالإقليم العديد من الأزقة الضيقة والمتعرجة بالإضافة إلى الممرات المكشوفة والدروب المحيطة بها، ويساعد كل ذلك على إعطاء الأمان والحماية للسكان من شدة الحرارة وقسوة البرودة والزوابع الرملية، كما تساعد على حفظ الرطوبة اللازمة في الأرض والهواء.

كما كان للظروف البشرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية أثر كبير في توجيه العمران التقليدي، ولعل أهم هذه العوامل، الدين الإسلامي والعرف السائد بين الناس، ونلمس ذلك بوضوح من خلال انتشار المساجد التي تعتبر عنصرًا أساسيًا في تخطيط المدن الإسلامية " القصور والقصبات " حيث يشكل المسجد فيها مركز الحياة الدينية

¹ - للاستفاضة أكثر في هذا الموضوع أنظر:

- بن بكير (يوسف الحاج سعيد)، تاريخ بني مزاب، الطبعة الثانية، المطبعة العربية، الجزائر 1427هـ-

والسياسية والثقافية ، ومن هنا يظهر ان للمسجد مركزا ومرتبة مميزة جعلته يلعب دورا أساسيا في توجيه البناء بامتداد الطرقات التي تربط بين المسجد والمباني والسوق التجارية والواحات(انظر المخطط رقم: 11 . 12 . 13).

ويظهر تأثير الظروف الاقتصادية في تشكيل الفراغات وأسلوب البناء، فيلاحظ مثلاً احتلال السوق التجارية في وسط القصر الكبير وتفرع الطرقات منه الى المساكن. كما ان النشاط الزراعي الذي يعتبر حرفة من الحرف الأساسية والتقليدية عند السكان، جعلتهم يفضلون إقامة عمائرهم بالقرب من الأراضي المفلحة وهو ما كان له الأثر في تحديد الطرقات والبوابات التي تصل الديار بالواحات(انظر اللوحة رقم: 01/ب).

كما أن إنشاء المباني التقليدية يعتمد على مواد البناء المحلية والمتمثلة في مادة الطين والحجارة والأخشاب، وبذلك يتضح لنا التجانس والبساطة في بناء كافة المساكن، سواء من حيث مادة البناء أو الشكل فليس هناك تطاول أو تفاخر في البناء مما يوضح التقارب والتلاحم الحميم وقوة العلاقات الاجتماعية بين السكان في الكتل المعمارية بالإقليم.

ونتيجة لعدم الشعور بالأمن والاستقرار فقد تم بناء قصبات محصنة بالأسوار والأبراج تستخدم للمراقبة وترصد حركة العدو، وأبواب يتم التحكم في فتحها وإغلاقها حسب الحاجة، وسرايب نافذة إلى الواحات تستغل أثناء الحصار للخروج وللدخول أوللفرار حين اقتحام القصبية(انظر اللوحة رقم: 02).

وما يمكن قوله عن عمارة القصور والقصبات في شكلها العام أنها تحمل في طياتها حمولة ثقافية واجتماعية غنية بالرموز والدلالات، فقد جاءت القصبية عبارة عن تجمع سكاني داخل بناية موحدة محاطة بسور ضخم وعال، تتخلله أبراج مربعة الشكل وله مدخل رئيسي واحد، فضلا عن عدة أروقة مغطاة ومسجد وساحة ودور سكنية موزعة عبر الأزقة و بهذا الشكل يضم القصر جميع المرافق الاجتماعية التي يحتاجها السكان في حياتهم اليومية.

ويتضح لنا من خلال المظهر العام للمخططات المعمارية في ديار تيديكلت أنها لا تختلف عن مظهر أخواتها في ديار مدن المشرق والمغرب الإسلاميين حيث الأسوار

المحيطة بالديار والأزقة المسطحة ذات المقاسات الضيقة ومستوى ارتفاع المنازل وشكل الأسطح كلها خصائص ومميزات اشتركت فيها هذه الديار بتلك ولعل هذا ما توصل إليه الأستاذ لويس مفورد في بحثه تخطيط مدن البلاد العربية الإسلامية قائلا (لابد من أن المظهر العام للمدن في شمال افريقيا شبيه جدا بمظهر مدينة ذات أسوار في بلاد النهرين، فقد كانت توجد ذات الشبكة من الطرقات او بالأحرى الأزقة، والمنازل نفسها ذات الطابق الواحد او الثلاثة، وذات الأسطح التي يمكن استخدامها، والصحن الداخلية....)(1).

01-3- الشوارع والازقة:

تعتبر الشوارع والأزقة في الكتل العمرانية للمدن عنصرا مهما وأساسيا فبواسطتها يمكن تحديد مختلف المرافق العمرانية وتنظيمها وفق فرضية التصميم المعماري الذي تراعى فيه تنظيم الاحياء السكنية وربطها بالفضاء الحر والفراغ لتمثل بذلك شريان التواصل بين مختلف هذه المنشآت في المدينة فهي مجال للتنهوية ومنفذ لإدخال ضوء الشمس وسبيل للولوج إلى مختلف المرافق.

وتكون الشوارع في هذه الحالة اقرب إلى الإشعاعية مركزها الجامع أو قصر الخليفة ومتجهة إلى أسوار المدينة للاتصال بالخارج حيث تنتشر على امتداد هذه الشوارع الفعاليات التجارية والسكنية ويتميز نسيجها العمراني بانغلاق الكتلة البنائية المتماسكة تعبيراً عن قوة الترابط الاجتماعي وفضاءاتها تعبر عن وحدة التوجه ووحدة الفكر(2). وكان لأهمية المكان وقديسيته وضرورة حمايته وعزله عن البيئة المناخية القاسية اعتماد بنية كثيفة متولدة من التكرار اللامتناهي لخلية الاحتواء من الفضاءات الداخلية التي تتجه نحو الداخل وصولاً إلى حالة التكامل والتماسك لعناصره(3).

1- انظر: مفورد (لويس)، المدينة على مرّ العصور - أصلها وتطورها ومستقبلها، الجزء الأول، ترجمة ابراهيم

نصحي، انجلو المصرية، القاهرة 1964م، ص133.

2- عثمان(محمد عبد الستار): المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، دراسة رقم 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1985، ص95.

3- الاشعب (خالد حسني)، والطائي (اياد عاشور)، (تخطيط المدن في المغرب العربي)- دراسة في الأصالة والتأصيل- مجلة المورد، العدد الثالث، 1998، ص90

وترتبط هذه الشوارع والأزقة عند تصميمها بطبوغرافية أرض المدينة وبمخطط تصميمها العمراني وبوسائل النقل المتوفرة حينذاك. ولذلك يرى البعض (ان شق الأزقة في مقابل المبنى يعد من بين قواعد تركيبية المدينة مما يؤثر على التخطيط العام وعليه ينمو العمران ابتداء من مركز المدينة في اتجاهات مختلفة كما انه يؤثر على مختلف التجهيزات التحتية مثل القنوات المائية وعلى الانشطة الاقتصادية والتجارية منها بشكل خاص)⁽¹⁾.

وتميزت شبكة الطرق الرئيسية للمدينة في بلاد المغرب الاسلامي بثلاث مستويات هامة⁽²⁾، مستوى تعتبر فيه الشوارع العمود الفقري لنظام المدينة حيث تربط مداخل المدينة بالفعاليات المركزية من سوق ومسجد جامع، وتعتبر ايضا هذه الشوارع المسالك الرئيسية للحركة ومنها تتفرع مسالك فرعية إلى مختلف المرافق بالمدينة. أما المستوى الثاني من الشوارع فهي رئيسية وتتصل بشوارع المستوى الأول وهي تربط المحلات السكنية المتجاورة مع بعضها البعض. وفي المستوى الثالث تعتبر الشوارع ثانوية تخص المناطق الواقعة ضمن المحلة السكنية الواحدة.

وجاء نظام الأزقة للمدينة في بلاد المغرب الاسلامي يتميز بخصائص معينة فبدت عبارة عن منطقة انتقال بين الفضاء العام والفضاء الخاص حيث أنها ترتبط بالشوارع الرئيسية والثانوية وبكيفية مختلفة لتؤدي إلى مجموعة محددة من المساكن تكون نافذة أحيانا أو غير ذلك. وجاء طول هذه الأزقة يتراوح بين تسعة امتار كحد أدنى ومائة وأربعين مترا كحدّ أعلي بينما يتراوح عرضها بين مترين وأربعة أمتار⁽³⁾.

وظهرت شوارع وأزقة المدينة في بعض الأماكن الخاصة وهي مغطاة، وكان ذلك استجابة لجملة من الدواعي والمتطلبات كالحاجة الى فضاء إضافي أو بغرض الاحتماء من التأثيرات المناخية. وهو بهذه الكيفية ينعكس ايجابيا من النواحي المناخية والبيئية⁽⁴⁾.

¹ - Lacaze(Jenan-Paul) :la ville et l urbanisme,Parise,Dominos/Flammarion,1995 , p79.

² - الاشعب (خالد حسني) ، المرجع السابق، ص96.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه.

وكانت تيديكلت الشرقية في تخطيط مدنها القديمة تتوفر على عدة شوارع وأزقة جاءت بأشكال خاصة ومختلفة وكان ذلك تبعا إلى المكان التي تقع فيه وإلى الكتلة المعمارية التي نفذت بها.

فجاء تصميم الشوارع والأزقة داخل الكتل المعمارية بالإقليم يتميز بشكلين اثنين، شكل يتمثل في الشوارع الرئيسية أو الطرق العامة التي تربط مداخل القصر أو القسبة المعنية مع الفعاليات المركزية المتمثلة في موقع المسجد الجامع والسوق حيث تلتقي جميع الشوارع الرئيسية في قلب الكتلة المعمارية.

ويتمثل الشكل الثاني في الأزقة أو الدروب الخاصة وهي تصل بين الشوارع الرئيسية مع مجموعة محددة من السكنات الخاصة التي جاءت في شكل دروب نافذة تؤدي إلى فضاء استثنائي آخر أوفي شكل دروب غير نافذة تنتهي في فضاء تطل عليه مداخل مجموعة من البيوت.

فقد تمّ تصميم الطرق الرئيسية باتساع أكبر من غيرها لتستجيب بذلك لضرورات التنقل السهل للراجلين والدواب بأحمالها خصوصا منها الطرق التي تربط الأحياء بالمرافق العمومية كالساحات والأسواق والجوامع والطريق الذي تصطف حوله الحوانيت التجارية كالطريق الموصلة إلى المسجد الذي تقام به صلاة الجمعة أو إلى المسالك الموصلة إلى البساتين، ونجد مثالا من هذا التخطيط في حي أغرم بقصر اقسطن، وفي حي القسبة بعين صالح (القصر الكبير) (أنظر المخطط رقم: 10)، وفي حي الشويطر بقصر انغر.

وجاءت الدروب النافذة في بعض الكتل المعمارية بالإقليم توصل إلى مرافق ثانوية وإلى مواضع خاصة، كما أنها تتسع أو تضيق حسب الوظيفة التي تؤديها، وأما الأزقة غير النافذة فقد بدت وهي توصل إلى فضاء بيوت سكنية محدودة، وهي تخص في هذا الشأن بعض العائلات أو الأسر، حيث تفتح فيها أبواب مجموعة من الدور التي غالبا ما ينتمي سكانها لأسرة واحدة تربطهم مع بعضهم البعض رابطة الدم

أو الولاة ونجد مثلاً جلياً على ذلك في تخطيط قصر زاوية سيدي الحاج بلقاسم⁽¹⁾. (أنظر المخطط رقم: 09، واللوحة رقم: 08).

وقد كان لحرية الأفراد بالانتماء العائلي والقبائل برابطة العرق والجماعات بعصبية العرش أثره في تقسيم القصور الى وحدات وكتل معمارية فرعية وفضاءات خاصة ونتج عن ذلك توجيه الطرق الخاصة في تصاميم معمارية توجيهها معيناً غير متواز مع ما هو مألوف في شبكة الطرق المنظمة للمدينة، فبدأت هذه الطرق غير نافذة ومخصصة لأفراد القبيلة أو الأسرة الواحدة وتنتهي في غالب الحالات بساحة مغلقة تفتح فيها مداخل بيوتهم وهو ما كان منفاً وشاهداً على هذا التنظيم في قصور كل من أقسطن والزاوية والساهلة.

وجاء توجيه الشوارع الرئيسية للقصور في تخطيطها مستجيباً للعوامل الطبيعية من الرياح وأشعة الشمس على وجه الخصوص. فنلاحظ في مختلف مخططات الكتل المعمارية أنه تم توجيه بعض شوارع القصور في الإقليم من الشرق نحو الغرب حتى تكون متلازمة مع حركة هبوب الرياح ووقاية من طمر الشوارع بالرمال، فظهرت الشوارع مفتوحة تسمح بمرور الغبار وحبيبات التربة التي تنقلها العواصف الرملية لتقف أمام سد الرمال "أفراق"⁽²⁾ بالقاف المعجمة أو "أفراك" Afrag الذي تم انجازه من جريد نخل الواحات. ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصر الدغامشة وقصر المرابطين وقصور السهلة وقصور الفقارة.

كما جاء توجيه بعض الشوارع من الشمال الى الجنوب حتى تكون عمودية مع حركة الشمس وأشعتها الساطعة لتوفر بذلك على الشوارع كسب معظم الوقت للظل لتقلل من

¹ - نسبة للولي الصالح سيدي محمد الصالح بن القاسم دفين القصر وصاحب القبة التي تفتح مزاراً في آخر خميس من شهر شعبان من كل سنة.

² - أفراك: من فعل الثلاثي فرك يعني بصفة عامة أحاط .سور.سيج بستانا بأغصان شائكة...والكلمة من اصل امازيغي له علاقة بالمجتمع الزراعي.الرعي والترحالي والقبلي العشائري.

- انظر: معلمة المغرب (قاموس)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط

غيظ الشمس، ظل الصبيحة من بعد شروق الشمس، وظل المساء من يعد الزوال، ومن الامثلة الظاهرة على ذلك ما نلحظه في قسبة القصر الكبير ومثله ايضا جاء في تصميم زاوية سيد الحاج بالقاسم وقصر انغر.

ونلحظ توجيه الشوارع أيضا في أغلب مخططات القصور القديمة وهي تتصف بكونها ضيقة وملتوية ومظللة أحيانا في بعض تصاميم الشوارع التي نجدها بالقرب من الوحدات المعمارية المركزية وهي بذلك تعطينا إشارة الى تأثير العوامل البيئية ومن ذلك جاءت تستجيب لعامل الجو من حرارة الشمس والرياح. وقد تجلت هذه الظاهرة في اروع امثلتها بالإقليم بالشوارع المجاورة التي تؤدي الى سوق عاصمة الاقليم بعين صالح ومسجد وسط المدينة التي تميزت بتظليل شوارعها. مثلما نجد في شوارع أغرم بقصور اقسطن وقصور اولاد بلقاسم وقسبة القصر الكبير بعين صالح والشويطر بانغر التي تميزت بضيقها والتواءها.

01-4- الساحات:

يوجد أمام مداخل القصور مساحة واسعة تمتد داخل السور الخارجي و هي ساحة التجمع، تستغل للاستعداد لعمل حربي أو لسفر جماعي، وكما تتوسط هذه المباني أيضا ساحة فسيحة تستغل لأغراض مختلفة كمحط لقوافل الجمالة الوافدين إلى قصور تيديكلت بأحمال الزرع و التمر و بضائع أخرى للتبادل، أو كموضع لتجمع حجيج الإقليم والأقاليم المجاورة، أو كمصلى تؤدي فيه صلاة العيد وكذلك صلاة النوافل حينما تستوفى شروطها كما هو شأن حفرة الركب بديار هذا الإقليم التي تجسد فيها هذا الدور منذ سنين قديمة⁽¹⁾.

01-5- وصف تخطيط العمائر المدنية:

¹ - حفرة الركب (Hafret Rakeb) : وسمي باسم حفرة الركب نسبة إلى مكان منخفض كان الحجيج يتجمعون فيه، ثم يركبون جيادهم وإبلهم، ويسيرون في موكب كبير يسمى أكبار أي القافلة الكبيرة ويتجهون نحو البقاع المقدسة... (من الذاكرة الشعبية بالمنطقة)

يلاحظ من خلال بقايا المباني القديمة في ربوع الإقليم، أنها تمتاز ببساطة تخطيطها، حيث يلاحظ على غالبية المباني تخطيط بسيط مكرر في جميع الكتل المعمارية في مختلف القصور، وهذا ما يدل على أن البناء بالإقليم كان ذو دراية بأسس البناء والصيانة أكثر منه فنانا بالأساليب المعمارية والزخرفة.

ونلاحظ أن المادة الأساسية في بناء العمائر بهذا الإقليم سواء في المنازل أو الأسوار هو الطوب الطيني، فيما عدا الأساس الذي يبنى أحيانا بالحجارة و الجير، و لا يتجاوز عرض حجرات المباني 2.50م وهو ما أفرز تناسقا محددًا يتناسب مع مقاسات معينة يخضع لها سقف خشب النخيل الذي لا يمكنه أن يتحمل ثقلا كبيرا إذا ما زيد في طول خشب السقف أكثر من ذلك، إلا في حالة وضع وسائد مدعمة على جانبي الجدارين الطويلين تعرف بـ (البغل) في لغة أهل الديار (انظر المخطط رقم: 04، واللوحة رقم: 07/ب)، وهو الحامل الذي تستند عليه أخشاب السقف فيزداد عرض الحجرة بذلك ما بين 30 - 40 سم من كلا الجانبين.

ويظهر أن اختيار هذا النوع من الأسلوب البسيط والنمط البنائي في مجال العمارة هو من الخصوصية التي تميزت بها مدن المغرب الإسلامي ضمن النمط الحضري العربي الموحد، فكانت بسبب التأثيرات المحددة للمناخ المحلي والظروف الاقتصادية ومواد البناء المتاحة، والتأثيرات والمداخل الأسلوبية الموضوعية مما حقق مراحل نضج استمرت إلى وقتنا الحاضر⁽¹⁾.

وعلى العموم يتضح جليا أن التحام هذه البيوت واتصالها فيما بينها ضمن كتلة بنائية واحدة توحى بفكرة البساطة والتواضع في مجال الهندسة المعمارية، وبفكرة التعايش والتعاون في ظل التكاتف والتكافل الاجتماعي، وفي نفس الوقت بأنها نتاج انطلق أساسا من الدوافع الأمنية سواء كانت طبيعية وهي قساوة المناخ، أو بشرية سببت فيها تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية إلى جانب انتشار اللصوصية وقطاع الطرق،

1- أ.د. خالد حسني الأشعب، المرجع السابق ص 90.

حيث كان لذلك انعكاساً قد ظهر على تنوع الكتل المعمارية بالإقليم (لَقْصَر، والقصبة ، والقصبة المحصنة)(انظر اللوحة رقم:10).

02- المنشآت المعمارية الدفاعية

القصبات المحصنة:

يعتبر هذا النموذج المعماري من التحصينات العسكرية الدفاعية الذي دأب الانسان على انشاءها منذ العهود القديمة وتوجد بنسب كثيرة في مختلف ، سواء كانت هذه التحصينات قلاعاً ام اسواراً للمدن او القصور، فقد زودت بابرّاج ومزاغل تساعد المرابطين على مراقبة الخصم من بعيد وترصد حركاته في قدومه وضربه كهدف حين الاقتراب من المنشأة المعمارية الدفاعية، ونجد امثلة كثيرة لهذه التحصينات في البلاد الاسلامية في مصر والشام والمغرب⁽¹⁾

وبنت القبائل التي نزلت بتيديكلت واستقرت على سهلها الفسيح قصبات محصنة حيث كانت كل كتلة معمارية تتوفر على قصبة محصنة على الاقل للإحتماء بداخلها وقت الاحساس بالخطر، وكان من اشهر هذه القصبات الباقية التي تشهد على ماريخ العمران وبراعة الاتقان ووظيفة المنشأة ممثلة في قصبة باجودة بوسط عاصمة الاقليم.

قصبة باجوده⁽²⁾: عند مرور رولف بالمنطقة كان أولاد باحمو بصدد بناء هذه القصبة الواقعة جنوب قصر العرب غير بعيد عن مقر إقامة زعيم أولاد باحمو مكونة من جدار دائري في الأعلى وعلوها إرتفاع طابقين وبها فتحتان قتاليتان تستغل للدفاع في حالة أي اعتداء محتمل أو مفاجئ، وكل واحد يعرف مكانه الدفاعي مسبقاً، كما تحتوي على بوابة واحدة أما مساحتها الداخلية فهي جد معتبرة، وبداخلها تحتوي على بيوت صغيرة تملا دائماً بالمؤن كما حفر بهابئران بوسط فناء الحصن، وأما المساكن فهي غير

¹ - ابو صالح الالفي ، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الطبعة

الثانية، بيروت 1975 ، ص 123.

² - للاستزادة في : ارشيف الديوان الوطني للحظيرة الثقافية للأهقار، قسم حماية التراث الثقافي، المديرية الفرعية بعين صالح.

متاخمة لها ولا ملتصقة بها ولا يوجد بها خنادق ولا أي عنصر معماري يؤدي وظيفتها من هذا القبيل.

تقع في منتصف القصرين (قصر العرب وقصر المرابطين) يشرف مدخلها الرئيسي على الجهة الشمالية. وهو الأمر الذي يتضح في ضوءه أن هذه القصبة تعد من القصبات التي تم تشييدها في المنطقة بدافع الحاجة لأهل البلاد لتتقرب وإبعاد البلاء، فقد تكرر ذلك في التموقع والمخطط والشكل العام والوظيفة التي أسندت لها.

فنفذ بناء هذه القصبة على ربوة تعلو ما حولها وتظهرها بارزة من مسافة بعيدة وتمكنها من رصد الوافد إلى القصر والمغادر له وذلك من خلال أبراج المراقبة الموجودة في أركانها الأربعة هذا فضلا عن خصوصية التخطيط الفريد الذي صممت به داخليا حيث كانت مزدانة بمجموعة من الغرف والأروقة لجمع الغلة والخراج ولتحصين الناس أثناء نشوب أي اعتداء خارجي.

وانطلاقا من هذا التحصين المنيع فبلا شك أن القصبة تستطيع أن تقوم بوظيفتها كمقرب دفاعي وقاعدة تحصينية وعسكرية في مواجهة الأخطار التي تهدد هذا الجزء الهام من تيديكلت الشرقية.

وللأهمية والدور الذي لعبته هذه القصبة منذ تشييدها في محيط هذا الإقليم فقد سجل التاريخ بأنها كانت محط أنظار الغزاة الفرنسيين أثناء حملتهم على إقليم عين صالح، فحينما قضت قوات الجيش الفرنسي على حركة المجاهدين بعد معركة الدغامشة بتاريخ 04 جانفي 1900م ، اتخذها القادة العسكريون مركزا أساسيا لهم، كمقر رئيسي و مرقبا لتحركات المجاهدين ومعتقلا للرافضين لتواجدهم.

وشيدت القصبة كبقية المنشآت المعمارية القديمة بإقليم تيديكلت الشرقية من مادة الطوب الذي يعرف جيولوجيا باسم اللين حيث تنتشر مطامر التربة الطينية بأنواعها المختلفة الألوان والاستعمالات.

القصبة من الداخل: يوصل إلى داخل القصبة من المدخل الرئيسي الشمالي إلى ساحة مكشوفة على امتداد الأسوار المحيطة، وتتوسطها كتلة معمارية مشكلة من مجموعة من الغرف والأروقة بقياسات وأشكال مختلفة ، وتتوسط هذه الكتلة المعمارية

بدورها فناء داخلي تطل عليه فتحات الغرف والأروقة إلى جانب السلم المؤدي إلى سطح الكتلة المعمارية للقصبة.

الأبراج: توجد الأبراج في الأركان الأربعة لمبنى القصبة يصعد إليها عبر سلالم ذات عتبات مبنية من مادة الطين وهي مفتوحة على الساحة الأمامية المحيطة بالأسوار. ويتوج البرج بشرفات ذات شكل هندسي وتصميم حربي حيث كللت بفتات متماثلة في الشكل والقياس وظيفتها التردد والرماية وذلك للدفاع عن الإقليم من الأخطار الوافدة إليه من بعيد.

الأسوار: تبدو أسوار القصبة من خلال تصميمها وشكلها الخارجي أنها معدة للتحصين بها كوحدة بنائية لأهالي المنطقة، ويبدو ذلك من خلال التصميم الذي أنجزت به، حيث وضعت على قاعدة بمقاس 1.30م وارتفاع بمقاس 12م وقمة تنتهي بمقاس 0.30م.

وزودت هذه الأسوار بفتحات شكلها متسع نحو الداخل وضيق نحو الخارج وتمتد على مستوى أفقي موحد، وتبعد كل فتحة عن الأخرى بمسافة تقدر بـ 01 م تقريباً.

03- المنشآت المعمارية الاقتصادية

03-1- الواحات ومصادر المياه (الفقارة، الآبار والواحة)

ويقصد بمصادر المياه الآبار والعيون الجارية التي تغذي المنشآت المعمارية بمختلف تشكيلاتها ومرافقها بالماء المستخرج من صلب اراضيها لينتفع به الانسان والحيوان والنبات في بيئته

ولما كان الماء في الأراضي الصحراوية شحيح فإن سكانها اجتهدوا بحثا لإيجاد الحلول التقليدية والطبيعية في نفس الوقت لتمكنهم من التأقلم مع هذا الوسط البيئي القاسي الذي يتميز بحرارته الشديدة.

وتعد واحات الصحراء الجزائرية واحدة من هذه الصحاري التي تشكل عالما مستقلا بنفسه وهي تحمل كثيرا من الخصائص المشتركة بينهما ولعل ابرز هذه الخصائص

هي قلة الموارد المائية السهلة الاستغلال في كثير منها إذا ما استثنينا بعض الواحات الواقعة في أقصى الجنوب⁽¹⁾.

ولقد كان استخراج الماء في معظم الواحات الجزائرية يتم بواسطة الآبار الارتوازية أو الفقارات وكان يتطلب مجهودا بشريا كبيرا وتقنيات خاصة لذلك، حيث تقع طبقة الماء المستغلة على عمق كبير تحت سطح الأرض⁽²⁾. وتنقسم الواحات إلى مجموعتين، المجموعة الشرقية التي تروي أراضيها مياه الآبار الارتوازية وتتمثل في إقليم واد سوف وإقليم واد ربيع وإقليم واد مزاب، والمجموعة الغربية التي تروى بالفقارات. في إقليم فجيج وإقليم الساورة وإقليم توات الثلاث.

وتنتشر واحات المجموعة الغربية في مساحة واسعة وتتخذ شكل شريط ضخم بين الأطلس الصحراوي عند فجيج على الحدود المغربية من جهة، وواحة عين صالح من جهة أخرى. وهذا الشريط الأخضر يمتد على مسافة 1200 كلم طولا يربط بدون انقطاع الأطلس بقلب الصحراء عند جبال الهقار⁽³⁾.

ويقسم هذا الشريط إلى عدة إقاليم أو قطاعات وهي تتمثل من الشمال إلى الجنوب على التوالي:

- إقليم الساورة ويضم منطقة بشار وكرزاز وبنو عباس وما جاورهم من كتل معمارية.
- إقليم القورارة ويضم منطقة تميمون وما جاورها من كتل معمارية.
- إقليم توات وتضم منطقة ادرار وتمنيط وتوات وما جاورهم من كتل معمارية
- إقليم تيديكلت وتضم منطقة عين صالح واولف وما جاورهما من كتل معمارية.

¹- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 139.

²- نفسه، ص 140.

³- نفسه.

وهذه الواحات والكنل المعمارية التي تنتمي إليها تروبيها مياه الفقارات تمثل لنا أعمالاً مائية عظيمة لا تقل أهمية عن الآبار الارتوازية التي توزيها في استخراج المياه وجلبه لينتفع منه الانسان والطير والحيوان وسائر خلق الله.

فمنذ القدم قدّر سكان المناطق الحارة والجافة قيمة الماء، فكانوا يطيلون بقاءهم قربه قدر الإمكان لما له من أثر حسي منعش على أنفسهم وعلى أبدانهم ، فهو عامل يبعث على توفير شروط الراحة المتعلقة بالمحيط الحراري . ولتحقيق ذلك ابتكروا أساليب عدة وبواسطتها يتم توفير الماء وتلطيف الجو وتحقيق غاية الشرب والسقاية.

فكان من ابتكارات الانسان عبر العصور ومختلف المجتمعات هو استغلال سقوط الامطار بصناعة المواجه لتجميعها والحواجز لتقليل جريانها ليترسب معظم ماءها في جوف الارض حتى يستغل من العيون الجارية أو الآبار المحفورة .

وتعد الآبار المحفورة أيضاً من ابتكارات الانسان بالضرورة، فكان يتم حفرها بصفقتها الاحادية وتكون في محل اقامة الناس من البدو والحضر، وتتخذ مكانها في وسط الكتل المعمارية أو في ما بين نصب الخيم أو داخل حدود البساتين ويستخرج ماءها عبر الدلاء او النواعير .

وأما الآبار المنجزة بصفقتها المتعددة والمتكررة فتسمى " الفقارة " أو الخطارة⁽¹⁾ ، وتبدأ اول بئر من أعلى المنحدر من مستوى سطح الارض وماءه اغزر وموقعه خارج المنشآت المعمارية، ويتصل بباقي الابار بأقل انحدار حسب التكوين الطبوغرافي للأرض إلى آخر بئر الذي يخرج الماء جارياً في القناة السطحية من نظام الفقارة

¹ - الخطارة او تاركا Targa/ Lkhtara: وهي قناة باطنية تمكن من حمل مياه الفرشة الباطنية المتواجدة في مناطق الهضاب نحو المزارع المنتشرة. وتتكون الخطارة من البئر الرئيسي الذي يعتبر اول بئر في نظام الخطارة واعمقها. فهو بمثابة عين الخطارة وذلك لانه يمكن من استخراج مياه الفرشة الباطنية وتجميعها قبل صرفها باتجاه القناة التحتية . وتتكون من جزء مغطى وآخر مكشوف بالقرب من المجال الزراعي. ويرتبط مباشرة بشبكة التوزيع في حالة غياب حوض لتجميع المياه. اما سلسلة الابار التي تفصل بينها ما بين 20 و30متر فلها عدة وظائف منها أنها تسهل ولوج العمال إلى قناة الخطارة للقيام بأعمال الحفر والاستصلاح لهذه القناة. كما انها توفر لهم الهواء والضوء.

-انظر: حسن رامو، المصطلحات الجغرافية الامازيغية، المرجع السابق، ص 134-135.

ويكون موقع هذا الأخير في حدود المنشآت المدنية او العسكرية أو الاقتصادية أو دار الحكم.

ولجلب الماء ابتكر سكان المناطق الحارة والجافة نظام النواير لجلب الماء من الآبار إلى محل المنشئة المعمارية بمختلف تكويناتها ومرافقها.

وكانت تغذية المدن الإسلامية بالمياه في مقدمة الأعمال التي عني بها التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية، فعمل الحكام قديماً بتسهيل وصول الماء إلى التكوينات المعمارية المختلفة وارتبط ذلك بنظام تخطيط الشوارع والطرق.

وتشير بعض المصادر التراثية والآثار الباقية إشارات واضحة إلى نماذج عديدة رائعة لشبكات المياه التي كانت تغذي الكتل المعمارية في المدن الإسلامية، ومن أمثلة اهتمام المسلمين بهذا المرفق الهام من المرافق الاجتماعية في العمارة الإسلامية هو تلك الأعمال الجليلة التي قام به السلطان قلاوون في القاهرة وتتمثل في الآبار والسواقي المشيدة لتزويد العمائر المختلفة من المدارس ووحداتها والبيمارستان ووحداته بماء الشرب⁽¹⁾ ونلاحظ استعمال هذا الأسلوب كثيرا في تخطيط عمران إقليم تيديكلت الشرقية مثلما تبينه (اللوحة رقم : 11).

فقد أنشئت للمجموعات المعمارية شبكات تغذي وحداتها المختلفة بالماء من مصادر مختلفة، ولعل أبرزها الفقاير التي ابتكرها المعماري بهذه المواطن الصحراوية من أقاليم توات الكبرى منذ أمد قديم، واستطاع الإنسان أن يستخرج الماء من باطن الأرض إلى سطحها بشكل غريب ، ولقد أشار إلى هذا الأسلوب في استخراج المياه العلامة ابن خلدون في تاريخه حينما قال: (...وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه...الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة...فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا...وهذه الغربية موجودة في قصور توات...)⁽²⁾

¹ - وزير يحيى، مرجع سابق، ص 103.

² - ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، طبعة 1959، المجلد 7، ص 118.

وأما نظام تخطيطها فكانت بنية سطح الأرض تتحكم فيه، حيث كان يتم من مستوى أعلى إلى مستوى أقل، ليسهل ذلك تدفق الماء على وجه الأرض.

وكانت تيديكلت الشرقية كغيرها من المدن الصحراوية عامة ومدن إقليم توات الكبرى خاصة تتميز بوفرة المياه الجوفية، فكانت تشتهر بوجود الفقارة ونظام السقي بذلك، فكان يجلب الماء عبر قنوات باطنية من بعيد ويوجه معظمه إلى البساتين مروراً ببيوت سكان القصر وباقي الوحدات المعمارية.

واشتهرت أيضاً تيديكلت الشرقية بالناعورة ذات الهندسة المعمارية البديعة، وكذلك البساتين التي كانت بمثابة الرئة التي تظل عليها المباني وتتفلسف عليها كافة الكتل المعمارية.

وقد أسهم ذلك كله في اهتمام المعماري بهذا الإقليم إلى سبل استخراج هذه الثروة المائية والاستفادة منها. وتمثل في استغلال القنوات الباطنية لأبار الفقارة من مياهها ومن رطوبة الجو في أنفاد قنواتها، وأما في المجاري الأفقية للمياه فتتمثل في الشرب منها وري واحاتها المتعددة وفي الاستجمام بالقرب منها، أو الغطس في مواجهتها ولا سيما في أوقات ارتفاع درجة الحرارة.

وكان لموقع الواحات وتخطيطها إلى القرب من المباني السكنية معنى آخر تمثل في لطافة الجو التي تنبعث ليلاً من أوساط النبات والنخيل المرورية بالمياه الباطنية.

وتفيدنا الذاكرة الشعبية، وهي تدعم استمرارية جلب المياه، بأن رفعه لم يقتصر على الدلاء من الآبار الارتوازية التي أنشأها سكان تيديكلت، بل كانت هناك عدة تقنيات أخرى لاستخراج المياه الباطنية تمثلت على الأرجح وبصفة شاملة في نظام الفقارة وتقنية النواعير الذي شهد انتشاراً في كثير من البلاد الإسلامية منها الحجاز وإيران وأرمينيا وتوات وتافيلالت⁽¹⁾.

وتشهد الآثار الباقية في تيديكلت الشرقية بعين صالح تحديداً على استعمال هذه التقنية خلال الفترة الاستعمارية، فتبرز في وسط عاصمة الإقليم عين صالح معلم الناعورة

¹ - لحسن تاوشخت: عمران سجلماسة، مطبعة النجاح، الجزء الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2008، ص 401.

التي يبدو أنها كانت ترتبط بشبكة مائية تزود البيوت السكنية بوسط المدينة والواحات التي تقع إلى الغرب منها مثلما انها زودت في ما بعد دار الحاكم خلال الفترة الاستعمارية بالماء وذلك عبر قناة افقية صممت ونفذت على مبنى قنطرة انجزت من مواد بناء محلية (انظر الشكل رقم)

وكان يتم جلب المياه بواسطة عجلة تديرها الدواب كما توضحه الصور الفتوغرافية التي تحصلنا عليها(اللوحة رقم)، فتبين هذه الصور توريد الماء من مبنى الخطارة " النورية" وتوصل المياه إلى دار الحاكم.

وشكل هذا النظام عنصرا هاما في تزويد بعض المرافق الاخرى من المنشآت المدنية والواحات بالمياه، فقد بدت إلى وقت متأخر منشأة السواقي مرتبطة بهذه المنشأة المعمارية وتمر بين المباني السكنية متجهة نحو البساتين.

ويبدو من خلال ذلك جليا أن المورد المائي الرئيسي للإقليم والسائد هو نظام الفقارة الذي انتشر بشكل ملفت وبهيج ببلاد اقاليم توات الثلاث.

ولا تزال اثار الفقارة بارزة للعيان في مختلف ضواحي تجمعات الاقليم حتى ان البعض منها ما زالت بمياهاها تزود بعض مرافق الاقليم من المياه المستعملة في الشرب والسقي وفي عمران البنيان .

ولجلب المياه أيضاً نجد في ساحات الكتل المعمارية آبارا للمياه حفرت لتزويد منازل الحي بماء الشرب وسقي الانعام والدواب، وغالبا ما تكون ملكا لفرد أو قبيلة أو هي من الأسبلة الموقوفة في سبيل الله.

وبجدر بنا أن نشير في هذا الجانب إلى بعض مصادر المياه الشهيرة التي بعثت الحياة في المنطقة وجلبت الاستقرار بها على مدد من السنين، نذكر منها: فقارة بابكر التي تزود مياهاها القصر الكبير وبساتينه ، وفقارة الاعاوات نسبة لقبيلة الاعاويين التي سكنت المنطقة منذ بداية الاستقرار بها، وخلفوا القصور والواحات ومصادر سقيها من الآبار والفقارات وذلك في قصور اقسطن والسهلة الشرقية والغربية... وفقارة هنو نسبة الى قصور وواحات قرية هنو الحالية التي تقيم بها قبيلة أولاد دحمان نسبة إلى الولي الصالح الشيخ سيدي دحمان دفين المقبرة القديمة لقصر الساهلة الغربية،

وأولاد بحوص نسبة إلى الولي الصالح الشيخ سيدي بحوص دفين مقبرة القصر ويعود لهذه القبيلتان الفضل في إنشاء هذه الفقارة... وفقارة سيدي باسه نسبة إلى الولي الصالح سيدي باسه دفين قرية الساهلة الغربية حيث كانت تخرج مياهها بجانب قسبة وقبة هذا الولي الصالح... وحاسيقسبة القصر الكبير ويقع بين منازل القصر بعين صالح وهو مشترك بين أهالي الحي، وحاسي الزاوية ويقصد بذلك زاوية سيدي الحاج بلقاسم دفين قرية الزاوية وتبعد بـ 03 كم شمال عين صالح، ويعتبر من الآبار الموقوفة للزاوية ويستفيد منه الناس جميعاً.

وعلى العموم نشير أن قصور تيديكلت الشرقية اشتملت جميعها على نظام الفقارة والآبار ولا زال البعض منها تسري فيه الحياة ولا سيما الفقارة ومنها نذكر: فقارة مليانة إلى الشمال من قرية السهلة بعين صالح فمياهها تجري وتستغل في ريّ الواحات، وفقارة اقسطن الموجودة بمقبرة القصور الثلاث ولا زالت تستغل مياهها إلى وقتنا الحالي، وكذلك فقارة منطقة انغر التي تمتاز بوفرة مياهها منذ القدم ولا زالت مصدراً لريّ الواحات.

03-2- السوق:

تمثل الأسواق بالمدينة الإسلامية المبكرة فضاء عمرانيا مهما لسكانها وللعاملين في حقل التجارة حيث تعتبر المركز النشط في المبادلات التجارية للمنتجات المحلية والمستوردة، وهو ما جعلها ذات أهمية بالغة الاثر في الجانب الاقتصادي وفي اثرها على البناء العمراني سواء كان ذلك على المنشأة العمرانية المركزية أو على انعكاس ذلك على المرافق العمرانية الملحقة بها وعلى تخطيط المدينة بانقيادها وفق ضوابط النص الشرعي، لتركز في اماكن معينة في المدينة، وتمتاز بقبواتها العظيمة وعقودها الضخمة⁽¹⁾.

¹ - ابو صالح الألفي، المرجع السابق، ص 124.

وجاءت مخطط السوق يحتل مكانا وسطا في المدينة بالقرب من المسجد الجامع ودار الامارة ويمكن أن يتخذ له كذلك امتدادات في مختلف الأحياء والأزقة. يطبع الصورة المورفولوجية للسوق أي توزيع المحلات التجارية حسب تخصصها فحرف المسجد توجد محلات بيع الكتب ثم تليها محلات الحلوي ومصنوعات النسيج والصنائع الجلدية، بينما تحتل دكاكين الحدادة والدباغة والخرازة المرتبطة بتجارة الدواب قرب أبواب المدينة⁽¹⁾. وكان يتم تأسيس السوق من طرف حاكم المدينة كما تتم مراقبته من طرف المحتسب بالتعاون مع أمين الأمناء ويكون مقسما إلى عدة أماكن حسب طبيعة السلع المتبادلة وحسب المساحة المخصصة لكل بائع، وقد يتكون السوق أحيانا من عدة حوانيت وقياسيات متخصصة⁽²⁾.

تعود نشأة الأسواق في المدن الإسلامية إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك حينما خصص فضاء مفتوح من الأرض خال من البناء قريبة من منازل دار الهجرة وساكنيه ليبيع وبيتاع فيه الناس ويستترزقون منه كذلك، وقد سار على هذه السنة النبوية من بعده خلفاء الراشدين الذين عملوا بها في سائر البلاد التي فتحوها. وكانت السوق حينذاك عبارة عن فضاء لا بناء فيه مظل بحصير يقي الباعة وسلعهم حرارة الشمس المحرقة⁽³⁾.

وكانت بداية عمران الأسواق في العهد الأموي على عهد معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ بالبناء في سوق المدينة وأجرهما، وبدأت فكرة تقليد الأسواق والأسواق المغطاة في سائر بلاد الإسلام منذ عهد هشام بن عبد الملك (105هـ - 125هـ/724م - 743هـ)⁽⁴⁾.

ونلخص الأسواق وانتشارها في عدة أمور وهي:

✓ بناء الأسواق وتغطيتها بهيئة معمارية معينة تحوي وجود حوانيت للتجارة

ومساكن للتجار.

¹ - لحسن تاو شيخت، المرجع السابق، ص 402.

² - نفسه ص 403.

³ - محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م، القاهرة، ص 252.

⁴ - محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص 254.

✓ تأجير المبنى التجاري

✓ تصنيف التجار إلى مجموعات كل واحدة متخصصة في تجارة بعينها.

وأما بالنسبة لتيديكلت الشرقية (عين صالح) فيعتبر سوقها منذ القدم محطة أساسية في تجارة القوافل التي تعبر الطرق الصحراوية، ذلك أنه جعل المنطقة محطة استراتيجية لعبور والتقاء القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد السودان او المناطق الشمالية او بلاد المشرق وبلاد الحجاز والقادمة منها من جهة. ومن جهة اخرى كان سوق تيديكلت بمثابة همزة وصل بين اسواق الشمال لبلاد المغرب الاسلامي وجنوب الصحراء الكبرى بمنطقة السودان الغربي.

ويبدو لنا من خلال المعطيات الاثرية بأن الاقليم كان يتوفر على سوق وحيد وهو سوق قصر العرب الكبير الذي بلغ شهرته إلى خارج ديار الاقليم وباتت كل القوافل التجارية العابرة لمسالك وسط الصحراء تقصده وتحط الرحال به وتبيع وتبتاع منه. وقد لاحظت البعثات الاستكشافية الاوربية نشاط هذا السوق والفوائد العائدة للتجار وللإقليم على السواء حتى أنهم أوصوا حكوماتهم في تقاريرهم بضرورة الاعتناء بهذا السوق والحركة التجارية التي تنشط فيه لما لذلك من اهمية اقتصادية تكون في صالح عائدات خزينة حكوماتهم⁽¹⁾.

ويقع السوق في وسط عاصمة الاقليم عين صالح بجوار المسجد الجامع لوسط المدينة ويتوسط اكبر كتلتين معماريتين بالإقليم وهما قصر العرب في شماله وقصر المرابطين في جنوبه.

ويبدو لنا من خلال الصور الفوتوغرافية التي التقطت قديما وحديثا بأن السوق كان عبارة عن منشأة معمارية كبيرة وهامة(اللوحة رقم).

ونلاحظ من خلال البقايا الاثرية الشاهدة بمعالمها إلى الآن بأن تخطيط هذه المنشأة كانت تتوفر على أهم المرافق الضرورية التي ينبغي أن تشتمل عليها الاسواق خدمة للتجارة والتجار وهي مبينة في ما يأتي:

Déporter, la question du Touate Sahara Algérien ,Alger-
1891, p 37

¹ - للاطلاع اكثر انظر:

- موقع استراتيجي بوسط عاصمة الاقليم بجوار مسجد جامع.
- بناية مركزية تظله في وسط ساحة بمحلات جدرانها الخلفية تشكل السور الوافي للمنشأة
- يتوفر السوق على حوانيت متعددة ومتنوعة في نشاطها تحيط بالساحة من الجهات الاربعة وفيها تفتح ابوابها .
- للسوق اربعة مداخل كبيرة عن طريقها يتم الدخول والخروج إلى المنشأة.
- تلتحق بالسوق ازقة وشوارع رئيسة وعلى اطرافها توجد حوانيت اخرى بعض هذه الازقة والشوارع توصل اليه والبعض الاخر تسهل الحركة والمرور بين مرافقه المختلفة.
- شيدت بعض الازقة المؤدية لبناية المنشأة وهي مظلة وذلك للتقليل من وهج الحرارة الساطعة في الاوقات الحارة.
- على بعد 450م تقريبا توجد فرع للسوق الماشية يقع في الجهة الغربية من مدخل المدينة الغربي. وتوجد على نفس المسافة تقريبا مكان لنزول القوافل التجارية ولتجمع الحجيج " حفرت الركب" .
- تطور عمران منشأة السوق المركزية من بناية يرفع سقفها على اعمدة وأكتاف إلى بناية يرفع سقفها على اعمدة و اقواس مشكلة بذلك اروقةفي اتجاه القبلة تأثرا بالمسجد المجاور .
- وتم بناء هذه المنشأة ومرافقها من مواد بناء محلية من الطوب والطابية والحجارة ومشتقات النخلة للتثقيف. ومن المحلات التي استمر نشاطها وتوارثته الاجيال بتعاقب السنين وظل بعضها متواصلا في وقتنا الحالي نشير إلى:

- محلات الخرازة لصناعة وبيع المنتجات الجلدية
- محلات الحدادة لصناعة وبيع المنتجات الحديدية
- محلات الصياغة لصناعة وبيع منتجات الصياغة
- محلات بيع التوابل
- محلات بيع المواد الغذائية
- محلات صناعة وبيع السلال
- محلات بيع اللحوم
- فضاء بيع الخضروات والفواكه

في الناحية الشمالية وجواره ايضا من الناحية الجنوبية الغربية يوجد مدخل المدينة الغربي " باب اولف" وظهرت بناية السوق محاط من الناحية الشرقية والشمالية بأرقة تسهل حركة الدخول إليه والخروج منه.

04- المنشآت المعمارية الدينية

04-1- المسجد:

أصبح للمساجد الإسلامية نظام لا تخرج عنه، مستمد في أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. ولمعظم المساجد جزء أوسط يسمى صحنًا، وهو سماوي في الغالب وتحيط به أربعة أروقة بها بوائك أكبرها رواق القبلة وفيه المحراب وعلى يمينه المنبر. ويحمل السقف عقود تقوم على أعمدة من الرخام أو الحجر، أو على أكتاف من البناء. وقد استعملت المساجد كمراكز للتعليم منذ العصر الإسلامي الأول⁽¹⁾.

¹- ابو صالح الألفي، المرجع السابق، ص 122

ويعتبر المسجد الجامع نواة المدينة ومركزها السياسي ، والاجتماعي، والديني، والثقافي، والقضائي. وكان بناءه يخضع لاربعة مبادئ ثابتة وهي: أن يتخذ جدار القبلة قاعدة للتخطيط، وأن تخط أسس بيت الصلاة صفوفًا متوازية لجدار القبلة على شكل أساكيب وتقابلها البلاطات وتقام على الأعمدة أو الدعامات، وأن يزود بيت المسجد الجامع بصحن فسيح يطل عليه بيت الصلاة، وأن يحاط بيت الصلاة والصحن بجدران سميقة تحصر المسجد الجامع في حدوده المرسومة⁽¹⁾.

ويمكن إجمال القاعدة العامة المتحكمة في تأسيس المسجد الجامع بالمدينة الإسلامية في كون المسجد يرتكز على محورين رئيسيين، يمثل أولهما القبلة أو اتجاه المسجد الحرام بالكعبة المشرفة وهو ما يعبر عنه المحراب، والثاني يهيم التطلع إلى السماء بواسطة الصحن المكشوف أو المئذنة أو هما معا. ومن جهة أخرى، لقد روعي في كل تصميم للمسجد الجامع أن يكون متسعاً ((لكافة أهل المدينة ليقوموا فيه صلاة الجمعة ولذا سموه المسجد الجامع، غير أن اتساع المدن أدى إلى إنشاء مساجد متعددة في مختلف الأحياء في المدينة الواحدة بل تطلب الأمر أحيانا إنشاء زوايا ومصليات صغيرة))⁽²⁾. وهكذا يتضح بجلاء أن المدينة الإسلامية، كانت تأسس من البداية على التوازن والتكامل، فبيني المسجد أولاً، فالسوق ثانياً، ثم تليها المرافق الأخرى تباعاً واقتداءً.

وفي ما يخص المساجد في هذا الإقليم ، يمكن القول من خلال المعاينة الميدانية انها لن تخرج عن الأسس العامة لجوامع المدينة الإسلامية التي تقيدت على محراب بجدار القبلة وبيت الصلاة وصحن واسع صمم مقاس عرضه مع بيت الصلاة وطوله اكبر من ذلك وبه سلما يوصل إلى سطح المسجد.

ويبدو ان المساجد المندثرة على غرار اغلب ما ظلت مقاومة للعوامل الطبيعية لم تكن لديها مآذن ملحقة بها، فلم تغدنا الذاكرة الشعبية بذلك ولم تشر اليها التقارير والكتابات السابقة مثلما لم نعثر على أية آثار تدل على ذلك في الخرائب البادية بقصور وواحات الإقليم إلا ما وصلنا لنموذجين من المآذن التي قاومت اثر العوامل الطبيعية القاسية

¹- محمود وصفي (محمد): المرجع السابق، ص 32
²- عكاشة (ثروت) القيم الجمالفة في العمارة الإسلامية، دار الشروق ، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص 31.

رغم هشاشة مادة بناءها وجاءت قاعدة هذه المئذنتين متحدة مع أسلوب المئذنة المغربية التي ظهرت ببلاد المغرب الاسلامي حيث تتميز بأسلوب المآذن ذات الشكل أو التخطيط المربع⁽¹⁾. فتوجد احدهما في الجامع العتيق بحي الدحانية بفقارة الزوى، وتوجد الثانية في جامع الشيخ السنوسي بوسط عاصمة الاقليم عين صالح(اللوحة رقم (

ولقد انتشر تصميم هذه المآذن في وقتنا الحالي في أغلب مساجد الاقليم وأصبح تنفيذها واقعا على المساجد المنشأة قديما لتصبح ملحقة بها أو على المساجد التي هي في طور الإنشاء التي دخلت في تصاميم مخططاتها.
مسجد اقسطن:

لقد حفظت اللوحة التأسيسية لجامع اسول⁽²⁾ باقسطن، وهي نسخة منقولة عن الاصلية، بعد ترميم الجامع وتوسعته، بأن الجامع اسسه العالم الطالب اعلي وابنه وجماعة من المسلمين، وتم بناءه عام 651 هجرية وأقيمت أول صلاة جمعة فيه في شهر رمضان المعظم عام 674 هجرية على ايدي 14 فقيها وفدوا من تلمسان وذلك حسب الرواية المتواترة بين أهالي القصر من جهة وأهالي إقليم تيديكلت وتوات بصفة عامة(اللوحة رقم 01). واعتمادا على التواريخ السالفة الذكر فإن بناء المسجد الجامع يعود إلى ايام قيام دولة بني عبد الواد في تلمسان.

ولازالت فروعاً من العائلات التي نزحت من تلمسان موجودة في هذا القصر بأملاتها وأرزاقها ونشاطها في وعظ وإمامة الناس في المسجد الجامع.

¹ - صالح(بن قرية)، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ص 27.

² - أسول (أسؤل) جمعه ايسؤل..لفظ امازيغي بمعنى الصخر. وردت الكلمة في اسماء الاماكن والقصور ببلاد المغرب. ونجدها ايضا وارده في اسماء القصور ببلاد توات وتيديكلت.
- انظر: معلمة المغرب (قاموس)، المرجع السابق، ص 455.

نقد تخطيط المسجد على مساحة مستطيلة، أنجزها المعماري على مراحل دعت إليها الحاجة في شكل أروقة متوازية مع جدار القبلة وكان عددها 03 تمتد من الشمال نحو الجنوب مشكلة بذلك بلاطات المسجد

بيت الصلاة: يتم الدخول إلى الجامع من خلال ثلاثة ابواب مدخل يقع في الجدار الجنوبي وهو المدخل الرئيسي له و آخر في الجدار الشمالي والثالث في جدار القبلة خاص بالامام وبه مدخل ثانوي يطل من خلاله المسجد على الصحن. ويتوسط المحراب جدار القبلة وعلى يمينه يقع المنبر الذي هو عبارة عن تجويف في جدار القبلة يرتفع عن ارضية الجامع بمقدار درجتين يقف ويجلس عليهما الامام اثناء الخطبة.

المحراب: يتوسط جدار القبلة وشكله بارزاً نحو الداخل وهو بسيط خال من الزخارف يبلغ ارتفاعه حوالي 01.70م وينتهي بعقد نصف دائري.

يشتمل المسجد على نوافذ بمعدل 02 في كل رواق وزعها المعماري بشكل متناغم حيث تفتح كل نافذة على بلاطة (رواق) من بلاطاته احدهما في الجهة الجنوبية والثانية في الجهة الشمالية لتؤدي كل واحدة منهما الوظيفة التي شيدت لها وهي إضاءة وتهوية المسجد من الداخل وهذه المعالجة المعمارية من قبل المعماري جاءت لضرورة بيئية مناخية وهي احد الحلول المساعدة التي اهتدى إليها المعماري لتلطيف الجو المناسب لراحة المتعبدين في أكثر روحانية وطمأنينة. وهذا النموذج والطرز وجد وانتشر في تيديكلت الشرقية وسائر بلاد توات وغيرها من المواطن الصحراوية التي تتقاسم معها فعل المؤثرات البيئية والعامل الجغرافي.

صحن الجامع: وهي عبارة فناء مكشوف تشغل الجزء الغربي من الجامعوتضاعفه في المساحة وهي تمثل صحن الجامع يفتح عليها مدخلا يؤدي إلى بيت الصلاة ويوجد بهذا الصحن سلماً شيداً من مادة الطين وظيفته الصعود به إلى سطح المسجد لرفع الآذان ويتمركز بجوار جدار القبلة لصحن المسجد، ولا توجد بالمسجد مئذنة ولا نافورة تتوسطه.

وقد بنيت في مؤخرة الصحن وتحديدا في الجهة الشمالية الغربية منه سقيفتان خصصتا لإيواء المتعلمين من ابناء المسلمين وعابري السبيل.

وتحتفظ الذاكرة الشعبية المحلية بأن المسجد الجامع بأسول الذي اشرنا اليه من خلال اللوحة التأسيسية ليس هو المسجد الأول المشيد بقصور الاقليم وإنما سبقه في الإنشاء بسنوات عدة مسجد يقع على بعد 01 كلم تقريبا من جهة الشرق أسسه الشيخ الطالب اعلي حينما حلّ بالإقليم.

ومن الناحية الأثرية وقفنا لأجل التأكد من صحة هذه الرواية على آثار بالية قرب مقبرة تجمع القصور الثلاث بإقسطن وهي اسول وتاغرمت وعون الله، وتدل هذه البقايا الاثرية من خلال المعاينة الميدانية على معالم تخطيط مسجد أتت عليه عاديات الزمن.

ويظهر تخطيط المسجد بشكل مستطيل وكانت مادة بناءه محلية من الطين والطوب، ويبدو من خلال المعطيات التاريخية أن بناءه قد تم خلال القرن السابع هجرية (07هـ) وهو يتزامن مه قيام دولة بني عبد الواد الزيانية وليس مستبعدا أن يكون ذلك ايام حكم ابو يحي يغمراسن بن زيان (633هـ - 671هـ/1236م-1263م).

وتوجد بجوار المسجد ايضا آثار لمعلم الفقارة مصدر التزود بالمياه لهذه الناحية انذاك لا تزال تجري فيها المياه وتستغل من قبل السكان ايام الذكرى السنوية لوفاة مؤسس المسجد. ففي هذه المقبرة التي تقع بالقرب من المسجد يوجد ضريح الشيخ الطالب اعلي وهو من العلماء الدعاة الورعين بعلمهم وبتقواهم وصلاحهم.

04-2- المصلى:

جاء لفظ المصلى من فعل صلى ، وصلى الرجل أي اقام الصلاة .والمصلى هو الموضع للصلاة، وأصل الصلاة في اللغة الدعاء لقوله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ

إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى⁽¹⁾ ولقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

ويطلق لفظ المصلى ايضا على المكان الذي تقام فيه الصلاة الجامعة - بإستثناء صلاة الجمعة - التي تخص مناسبات معينة، مثل صلاة العيدين، وصلاة الجنائز، وصلاة الاستسقاء وصلاة الشكر، فهو عبارة عن مساحة من الأرض الفضاء غير المحصورة بالحدود وليست مغطاة بالسقف ، وتكون عادة في خارج المدن الأهلة حيث لا توجد المباني المعمارية من بيوت السكن وأسواق العمل، ويرجع الأصل في ذلك إلى ما أثر عن النبي (ص) من ادائه لصلوات الأعياد والجنائز والاستسقاء خارج أسوار المدينة المنورة في مكان يعرف بالعقيق، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يبني بل يبقى ساحة تؤدي فيها هذه الشعائر الدينية⁽³⁾.

ويأتي لفظ المصلى كذلك للدلالة على اماكن الصلاة التي كانت تقام خارج المدن على طرق الحجيج أو القوافل التجارية. بقرب ماء جار لتمكين المسافرين على الطريق من اقامة الصلاة في وقتها. ودل اللفظ كذلك على مصليات الجنائز التي كانت تعمل خارج المدن قبل الدخول الى المدافن او عند مداخلها، ودلّ في العمارة المملوكية على تلك الابنية الملحقة بمرافق المسجد والقريبة من بيت الوضوء⁽⁴⁾.

وأول مصلى كان في الاسلام هو المصلى الذي صلى فيه النبي (ص) وموقعه في عقيق المدينة. وقد بني عليه فيما بعد مسجد عرف باسم "مسجد المصلى" وقد اشار اليه السمهودي بقوله " ان بناءه كان في زمن عمر بن عبد العزيز"⁽⁵⁾.

ولقد كان في كل مدينة من مدائن المسلمين مصلى روعيت فيه الملامح التي كان عليها مصلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعقيق المدينة ففي الديار المصرية جملة من

¹ - سورة البقرة الاية 125.

² - سورة التوبة الاية 103.

³ - طه (الولي): المسجد في الاسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، 1409هـ/1988م،

ص 80

⁴ - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 287 و 288.

⁵ - طه (الولي): المرجع السابق، ص 80.

المصليات ذكرها المقريري في خطه على وجه التحديد مع بيان مواقعها وأسماءها وأسماء الأشخاص الذين اقاموها او عنوا بها من ذلك مصلى العيد الذي كان في القاهرة شرقي القصر الكبير من خارج باب النصر الذي بناه جوهر لأجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة 358هـ ثم جدده العزيز بالله وبقي هذا المصلى الى ايام المقريري نفسه. وفي احدى جوانبه خصص لإقامة صلاة الجنازة على الأموات.

وما نلحظه في هذا الاقليم اقتداء بالسنة الفعلية لخير الأنام والتي سار هلى تهجها صحابته الكرام والتابعين اهم بإحسان على مرّ الزمان، أن المصلى في هذا الاقليم يعد أحد المرافق الدينية العمرانية الهامة حيث لا يكاد يخلو قصر من قصورها من مصلى لإقامة الصلاة الجامعة، ونجد هذه المصليات لأداء الشعيرة احيانا مفردة التخصص ، ونجدها في اماكن أخرى شاملة لأداء هذه الشعيرة مثلما نشير إليها موجزة في ما يلي:

✓ صلاة العيدين: يتوفر كل قصر على مصلى يكون خارج حدوده المرسومة والمعلومة قديما وحديثا.

✓ صلاة الجنائز: توجد بقرب كل مقبرة فضاء مخصص لإقامة شعيرة صلاة الجنازة، وقد تقام هذه الشعيرة في مصلى العيدين حينما تكون قريبة من المقبرة ومن الامثلة الواضحة على ذلك مصلى حفرت الركب ومصلى اولاد الحاج بقصر المرابطين (عين صالح)، ومصلى العيدين بالساهلة الشرقية، ومصلى العيدين بسلافن (فقارة الزوى).

✓ صلاة الاستغاثة والاستسقاء والشكر: وتقام غالبا في مصليات العيدين أو في المصلى العام للإقليم المعروف بمصلى حفرة الركب.

- مصلى حفرة الركب deChapelle (Hafret Rakeb) : ويقع هذا المعلم في وسط مدينة عين صالح. يتوسط مقبرة اولاد بلقاسم من جهة الغرب ومقبرة اولاد ملوكم من جهة الشرق وسمي باسم حفرة الركب كما أشرنا سابقا نسبة إلى مكان منخفض كان الحجيج يتجمعون فيه ثم يركبون جيادهم وابلهم ويسيروا في موكب كبير يسمى " أكبار " أي القافلة الكبيرة ويتجهون نحو الامصار التي تقع الى الشرق من الاقليم ومنها الى البقاع المقدسة.

ويعتبر المعلم من أقدم المواقع التاريخية وأبرزها بمنطقة تيديكلت ويمتد عمره إلى بداية استقرار الإنسان بالمنطقة أي إلى ما قبل القرن الخامس هجري حيث كان الموقع يمثل:

- 1 . مكان لتجمع قوافل حجيج الإقليم وهو نشاط لا يزال يحظى به إلى اليوم.
 - 2 . محطة للراحة والتزود من الكلاً والماء واستبدال ما ضعف من الجياد والإبل.
 - 3 . مكان تحط به القوافل التجارية وتتطلق منه نحو المراكز التجارية الأخرى.
- وبضاف إلى هذا النشاط الديني المعتاد بالموقع: إقامة صلاة العيدين، وصلاة الجنائز، وصلاة الاستسقاء و فدوة البلاد وهي من العوائد السائدة في اعتقاد الأهالي وذلك لفداء الأنفس و البلاد من البلاء، حيث يقرأ القرآن ويختم من طرف القراء ويتضرعون إلى الله بالأدعية لذهاب البلاء أو التخفيف منه، وتحضر النسوة الطعام ويقدم صدقة في سبيل الله⁽¹⁾.

وحيثما ظلّ المعلم محافظا على أداء الشعائر الجامعة من قبل عامة الناس وخاصتهم، زاد الاهتمام في وقتنا الحالي بهذا المرفق المعماري والتاريخي الهام فقام السكان ببناء جدران وقائية تحيطه من الجهات الأربع وتحدد معالمه عن باقي المنشآت المعمارية التي تشترك معه المكان وكان ذلك حفاظا على حرمة من الاوساخ والنجاسات وهو راجع الى اهمية المصلى التاريخية والشعائرية التي تكونت ورسخت في افئدة الناس، ويتم الدخول الى هذا المصلى عن طريق أربعة أبواب أكبرها يقع في الجدار الغربي وهو المدخل الرئيسي للمصلى.

ومما نشير اليه أيضا من بين الأنشطة العلمية الدينية التي باتت تقام فيه هو عقد القران والوعظ والإرشاد في مناسبات الافراح الجماعية.

¹ - من الذاكرة الشعبية بالمنطقة: تم جمعها من اعيان وشيوخ الاقليم سنة 1995م اثناء الشروع في بحث حول تاريخ المنطقة.

04-3- المدرسة القرآنية:

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أنشئت مدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة⁽¹⁾، وكانت هذه المدارس مساجد في الوقت نفسه، كما كان يلحق بالمبنى أماكن لسكنى الطلبة والمدرسين. وكان تصميم المدرسة عبارة عن صحن سماوي تحيط به ايوانات بقدر عدد المذاهب التي تدرس. وكانت مداخل المساكن تقع في أركان الصحن يصعد منها الطلاب إلى مساكنهم في الأدوار العلوية وفي بعض الأحيان كانت هذه المدارس تضم أضرحة منشئها. وقد كثر انشاء المساجد التي على نظام المدارس منذ القرن الثالث عشر في أغلب الأقطار الإسلامية⁽²⁾.

04-4- الأضرحة والمقابر:

يعرف الضريح في المصطلح الأثري بتلك الحجرة المشتملة على قبر أو تربة تعلوها قبة⁽³⁾، وتسمى أيضا قبة أو تربة، وهو البناء الذي يقام على رفاة ولي أو حاكم، ويوضع فوق القبر تركيبة من الخشب المنقوش أو من الرخام أو الحجر. واغلب ما كانت تبني الأضرحة على شكل قبة أو أبراج اسطوانية ذات شكل مخروطي، حسب البلاد التي تقام فيها، وكثيرا ما الحقت الأضرحة بالمساجد التي أقامها منشئ الضريح⁽⁴⁾. وصارت الأضرحة التي تقام عليها قبة من العناصر المعمارية الهامة والمميزة في العمارة الإسلامية الدينية⁽⁵⁾.

وتعد أقدم الأضرحة الإسلامية ذات القباب التي ما زالت قائمة حتى اليوم هي قبة الصليبية في سامراء التي اقيمت فوق مدفن الخليفة المنتصر بالله العباسي سنة 245هـ/862م وهي بناء مئمن تعلوها قبة ذات قطاع مدبب، وظهرت نموذج اخر في العهد الاخشيدي في مصر وهي عبارة عن قاعة مفتوحة تغطيها قباب كروية صغيرة،

¹ - د. سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص 21.

² - ابو صالح الالفي، المرجع السابق، ص 122

³ - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 175.

⁴ - ابو صالح الالفي، المرجع السابق، ص 123.

⁵ - عبد الكريم(عزوق) القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1996، ص12.

ثم ظهرت في العصر الفاطمي بناء الاضرحة عبارة عن حجرة مربعة تغطيها قبة ذات مربع سفلي من الحجر، وانتشرت الفكرة بعد ذلك على نطاق واسع خلال العصر المملوكي الذين عمدوا إلى بناء العديد من الاضرحة الفخمة ذات القباب الرائعة في منشآتهم الدينية المختلفة كالمساجد والمدارس والخنقاوات ونحوها⁽¹⁾.

وتحظى اماكن الدفن هاته على اختلاف مستوياتها بتقديس من طرف المسلمين الذين يقومون عادة بزيارتها وخاصة يوم الجمعة قصد الترحم على موتاهم من الاهل والأقرباء و" ابتداء من القرن 10م أخذت عملية تقديس الموتى أهمية كبرى إثر تشييد أضرحة ضخمة على شرف الأسرة النبوية، ففي المدن الكبرى أصبح من المعتاد بناء أضرحة على قبور الأمراء التي تعلوها قبة وتتكون من عدة غرف تحتوي على مخطوطات وزرابي وقنادل"⁽²⁾.

وكان تشييد المقابر في المدن الاسلامية يتم بصفة عامة خارج الاسوار بالقرب من السور الخارجي وغالبا ما تتوفر كل طائفة على مقبرتها الخاصة. أما الدفن فيتم فرديا مع ترك مسافة بين قبر وآخر وتحظى قبور الأولياء بعناية كبيرة وغالبا ما تبنى عليها قبة أو ضريح. كما أن بعض القبور يتم زخرفتها وتزيينها بشواهد تخلد اسم الدفين وتاريخ وفاته. مع الاسف لا نعرف أي شيء عن كثير من المقابر فنت بسبب تأثيرات العوامل الطبيعية وغالبا ما وصلنا منها من أثر سوى بعض الاضرحة والقباب لبعض الاولياء الصالحين ولبعض اهل البيت النبوي وهذه الشواهد بدت ظاهرة وشامخة في مواضعها وهي تعود إلى القرن الماضي والقرون التي سبقتها بقليل.

وكان تشييد المقابر في تيديكلت الشرقية يتم بصفة عامة خارج حدود الكتلة المعمارية، وكانت لكل جماعة قصر مقبرتها الخاصة، وتحتوي كل واحدة من المقابر على ضريح او قبة لعالم جليل وصل صيته إلى الافاق ببحر علومه، أو لأحد الأولياء الصالحين ظهرت كراماته بفضل ورعه وتقواه في المجتمع، أو لشخص علت مكانته بفضل قيم اخلاقه وامتداد نسبه إلى البيت الشريف.

¹- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 175..

²- الخلادي (عبد القادر): الخلادي (عبد القادر)، (لمحة تاريخية وادبية عن الحمامات في المجتمع الاسلامي)، مجلة دعوة الحق، العدد 81-82، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب الرباط، ص124.

وانطلاقاً من المعاينات الميدانية فإننا نشير إلى أن بعض القباب تخلو من رفات الدفين المخد بالقبة ذلك أن الاعتقاد ببركة كراماته أو الانتماء لعرقه جعلت بعض الجماعة من الناس يبنون له تلك القبة باسم ذلك الولي الذي يكون دفين بلاد أخرى يصعب على جل عامة الناس من السفر إليه من باب التبرك أو الاعتبار أو الوفاء بنذر أو المنفعة المادية، وقد تجلت هذه الظاهرة في اروع امثلتها في بناء قبة الشيخ عبد القادر الجيلاني بقصر المرابطين وهو دفين الاراضي العراقية ، وبناء قبة بوبا الفلاني بوسط عين صالح وهو دفين بلاد الساحل الإفريقي، وبناء قبة الشيخ عبد القادر بن محمد بفقارة الزوى وهو دفين بلدة الابيض سيد الشيخ.

وجاءت أشكال القباب في مختلف مدافن الاقليم بنماذج متعددة يمكن حصرها في ما يأتي:

✓ نموذج هرمي بقاعدة مربعة وينتهي بقبيبة ويطلق عليها محليا اسم الروضة ومن امثلتها قبة سيدي باسة بالساهلة الغربية.

✓ نموذج هرمي بقاعدة مربعة وينتهي بقبيبة يتقدمها فناء في جهة مدخل القبة ويطلق عليها محليا اسم الروضة ومن امثلتها قبة سيد الحاج امحمد بالساهلة الشرقية

✓ نموذج هرمي بقاعدة مربعة وينتهي بشرفات تتوسطها قبة ومن امثلتها قبة بوبا الفلاني بوسط عين صالح.

✓ نموذج مربع ذات سطح افقي يسمى محليا بـ " لمقام " بتشديد الميم ومن امثلتها قبة سيدي الحاج بحوص بهنو

✓ نموذج مربع ذات سطح افقي وينتهي بشرفات تتوسطها قبة ومن امثلتها قبة مولاي شريف

✓ شكل ضريح يرتفع من الأرض بحوالي 0.20 م إلى 0.75 م ويعلوها شواهد من الحجارة على مستوى حدي الضريح ومن امثلة ذلك ضريح الشيخ الطالب اعلي باقسطن.

ام بالنسبة لباقي القبور فيتم تتويجها بشواهد من الحجارة توضع على مستوى حدي القبر والبعض منها يزين بشواهد خشبية او حجرية تخلد للدفين. وقد بنيت هذه القباب والأضرحة من مادة بناء محلية من الطين والطوب والحجارة، ومما يشار اليه أن هذه العناصر المعمارية تجدد سنويا بمادة الجير او الطين البيضاء فمن منظور أثري أن هذه العملية تعطي للقبة القوة والمتانة والحفظ والصيانة من اثر مختلفالعوامل البيئية الطبيعية كملح أول، ومن منظور الفكر الاجتماعي هو أداء لزوم البقاء على العهد مع الأولياء الصالحين وحب الورعين لأهل البيت الشريف كملح ثاني، وهذا الاعتقاد كان على مرّ الأعوام راسخاً عند الناس بأقاليم توات الثلاث وما زال في وقتنا الحاضر متوارثاً بتحفظ عند القلة من شباب الجيل الحالي.

05- وصف العناصر المعمارية:

05-1- المداخل والأبواب

يلاحظ أن الباب الخارجي عادة ما يكون كبير الحجم ارتفاعا وعرضا وفي بعض الأحيان نجد للمسكن أكثر من مدخل حيث الرئيسي منها يؤدي مباشرة الى وسط الدار أما الآخر فيؤدي الى غرفة الضيوف أو الى غرفة السطح، كما يلاحظ ان كل مداخل البيوت جاءت مصممة وفق منظور عقائدي وذلك في شكل يحجب الأنظار الى ما في الداخل فكان على غرار ذلك ما يعرف بالمدخل المنكسر في أغلب المساكن. وفي القصبات المحاطة بسور صممت المساكن جميعها وأبوابها تفتح إلى الداخل وهي بذلك تساعد على امن المبنى بصفة عامة وعلى أمن الحراس وتمركزهم في مواجهة الأعداء.

وكانت صناعة الأبواب من مهمة الحرفيين في صناعة الخشب وهي المادة المتاحة في هذه البيئة، فقد قام الحرفي في هذه الديار إلى انجاز أبواب مختلفة ومتنوعة فمنها ما كان من عصي الجريد وهي التي تستعمل في سد الفتحات للمداخل الثانوية، وأخرى صنعت من جذوع النخيل وهي تستعمل في المداخل الرئيسية للمباني. وتمت صناعة الأبواب من قبل الحرفيين بطريقة تقليدية حيث تصفف العصي إلى جنب بعضها البعض وتشد بأسيار من جلود الإبل أو غيرها من جلود المواشي. وتستند على عصي أفقية ثنائية وهي من جريد النخيل.

وحيثما صارت الأبواب من خشب النخيل اضطر الحرفي النجار إلى صقلها وتهيئتها في شكل لوحات وصمم منها أبوابا بنفس الطريقة التي صممت منها أبواب العصي ووضع لها أقفالا خشبية من شجر الأثل أو الطلح وهي تتشكل من أعواد صغيرة تجعل في لوحات من خشب صغيرة وعريضة في كل لوحة أربع ثقب بها أربعة أعواد رأسها عريض وأسفلها رقيق.

ولفتح وإغلاق الأبواب صمم البناء كوة في جدار البيت مسامتة إلى تلك الأخشاب ولها وظيفة مع باب الدار فيدخل منها الإنسان يده ليدفع الخشبة إلى الأمام فينغلق البيت أو إلى الورا فينفتح.

05-2- المزراب (الميزاب) :

ويطلق عليه محليا أيضا ازولال أو القادوس، وتصنع المزاريب من المعادن وأحيانا من الحجارة المنحوتة وهو احد أهم العناصر في المسكن التقليدي ، نظراً إلى الوظيفة المنوطة به وما ينجر عنه من علاقة فيما بين المسكن ومحيطه، حيث تخصص المزاريب لصرف مياه الأمطار من على السطوح إلى الخارج، وهو أمر دعا بأن يكون ميل السطح باتجاه الميزاب كي يتم تصريف المياه بواسطته في سهولة ويسر.

05-3- الجدار الحائل بالسطح:

تعتبر الحاجة أساس بناء المساكن في ديار تيديكلت، فلا توضع مقاييس تزيد عن حاجة ساكنيها، فكل الفضاءات خضعت لهذه القاعدة خاصة ما تعلق منها بالارتفاع، الأمر الذي انعكس مباشرة على الارتفاع العام للمساكن، وما تجدر

الإشارة إليهم طبيعة المواد المستعملة ومقاومتها كان لها تأثير كبير في تحديد العلو، وقد خضعت إلى معايير منها النصوص الشرعية التي توصي إلى عدم الإسراف والتبذير في نعم الله، وأيضاً احترام الجار في أن لا يعلو بناء الجار على جاره حتى لا يحجب عنه الشمس أو الهواء استناداً إلى ما جاء في الحديث النبوي الشريف [لا ضرر ولا ضرار]، وإلى الحديث الشريف أيضاً المتعلق بالعلية والغرفة المشرفة في السطوح الذي رواه أسامة ابن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: [أشرف النبي علماً طمناً طاماً المدينة، ثم قال:

هل ترونه أرى؟ إن يار بمواة الفتنة للبيوت كعمواة القطر]] وهو يشير إلى العدول عن التناول في البنين بين الجيران حتى لا يقع الضرر والخلاف والفتنة بين إخوة الإسلام⁽¹⁾.

وإلى حديثه الشريف أيضاً عليه الصلاة والسلام [وأن لا يعلو بناء أحدكم على بناء أخيه حتى لا يعجب منه الشمس أو الهواء]، وكذلك خضعت إلى دواعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدنية بسبب انعدام فرص العمل وفي غياب مصادر الرزق التي توفر لقمة العيش الكريمة للناس، إضافة إلى ارتفاع عدد أفراد الأسرة في البيت الواحد. فقد كان لذلك كله أثره البالغ في ضبط نمط المباني واختيار مادة إنشائها ومخططات بيوتها وتخطيط مدنها (قصورها).

و جاءت المساكن عموماً في إقليم تيديكلت الشرقية مؤلفة من طابق وحيد وفريد و سطح به غرفة لها وظائف عديدة⁽²⁾، وقد ارتفع المباني السكنية بمتوسط إجمالي بثلاثة أمتار ونصف، حيث كان في هذا الميدان العرف هو سيد الموقف على ضوء القاعدة الشرعية من الحديث النبوي الشريف (لا ضرر ولا ضرار)، فكانت بذلك وقاية لحرمة الجار مع جاره والاستفادة من الحق الطبيعي من الهواء والشمس، ومن الفضاء الخارجي للاستمتاع بفضاء السماء وزينتها.

¹ - البخاري، مصدر سابق، ص 552.

² - فمن وظائف هذه الغرف :- استغلالها صيفاً للنوم والجلوس وحفظ الأفرشة والأغطية وحفظ المجففات الغذائية.

أما ارتفاع السور الساتر بين دار الشخص ودار جاره، فقد قدر ارتفاعه حسب عرف الناس بقامة الرجل أي بمقدار 02 متر، وهو بذلك يعتبر حائل بين دارين وسترة لحرمة أهل البيت عن الغريب من الجار الجنب أولاً ولغيره من الناس ثانياً، حيث يمكن بذلك لأهل البيت من الذكور والإناث، الجلوس والوقوف وأخذ أطراف الحديث مع بعضهم البعض وكذلك النوم فوق سطح دارهم وراء سترة الحائل دون أن يلحق الجار بجاره ضرراً ولجاره مثل ذلك ما ظل السير وفق القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار).

وفي هذا الصدد نشير إلى أن المدن الإسلامية جرت العادة فيها على استغلال السطح استغلالاً خاصاً في الأغراض المعيشية وخصوصاً في فصل الصيف الذي جرت العادة على أن يتحول السطح ليلاً إلى مكان للنوم هروباً من ارتفاع درجة الحرارة⁽¹⁾. ومع هذا الاستغلال المكثف للسطح فقد تضمنت الأحكام الفقهية ما يوجه المطالع المؤدية إلى السطح وأبوابه وسترته بحيث لا يكشف الصاعد إلى السطح أو من يكون فوق البيوت المجاورة أو أن تكشف البيوت المجاورة هذا السطح⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس فقد جرى التقليد المعماري في المدن الإسلامية القديمة على ستر المطالع والسطح بسترة معمارية تجنباً لهذا الكشف وأن وظيفة السترة للسلم أو السطح وظيفة أساسية ترتبط ارتباطاً مباشراً بوقاية أهل البيت ومن ثم لا يمكن استغلال السطح من دون بناء سترة تحقق هذا الغرض⁽³⁾.

ونلمس الضرورة في تنفيذ بناء الأسوار لتحقيق هذا الغرض إلى الواقعة التاريخية التي استند الفقهاء إليها في هذا المجال، وهي تتعلق بشأن الشكوى التي تلقاها الخليفة عمر بن الخطاب من أحد سكان مدينة الفسطاط، والتي شكا فيها من جاره غرفة علوية بها نافذة تطل عليه، وهي الشكوى التي بحثها وأشار على واليه عمرو بن العاص بأن ينظر

¹ - الحسن بن محمد (الوزان المعروف بليون الإفريقي) ، وصف أفريقية، ترجمة د محمد حجي، د محمد

الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص 228.

² - محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب

بسوهاج، جامعة أسيوط 1980م، ص 337.

³ - محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، نفسه.

ويعاين الحالة ويضع سريراً بجوار النافذة ويطل منها، فإن تمكن من كشف الجار منعها، وإن لم يتمكن تركها لاقتصارها على التهوية والإضاءة دون الإطلال⁽¹⁾. وهكذا إذا يتبين لنا أن إقليم تيديكلت الشرقية احترمت هذه المعايير الفقهية والعرفية في تنفيذ هذا التقليد المعماري الذي يحقق حاجة الناس في أغراضهم المعيشية. فمما يلاحظ أن معظم الدور بالإقليم التي استغلت سطوحها استغلالاً وظيفياً، تحتوي على سلالم داخلية في إحدى أركان فناء وسط الدار، وهو بهذا الشكل يحقق السترة حين الصعود إلى السطح، كما تحتوي هذه الديار على سور يحوط سطح الدار وهو ذو ارتفاع كما أشرنا سابقاً يحقق سترة ومنع كشف أهل الدار وذلك في أوقات استغلال السطح، وهنا نشير إلى أن كافة السترات بهذه الديار المتجاورة بالإقليم ظهرت متساوية في الارتفاع، وهذه علامة أخرى تدل على التقيد بالقاعدة الشرعية والعرف السائد ومنه احترام الناس لبعضهم البعض إلى حين من الدهر.

05-4- العتبة:

للعتبة إلى جانب الدور الرمزي (فهي تمثل الحد الفاصل والمانع بين حرمة أهل البيت والغريب عن الدار، ومما جاء في الأمثال والضوابط الاجتماعية العبارات التالية: اطرق الباب وابق عند عتبة الدار - بيني وبينك عتبة الدار - لا تتعدى عتبة الدار - لا تقعد في عتبة الدار... الخ) و يضاف إلى هذه الضوابط عند أهالي تيديكلت دور آخر جاء تلبية لظروف الطبيعة فمن ذلك تقي الدار من دخول الأتربة المحمولة برياح الزوابع الرملية إلى جانب حركة الأرجل، بالإضافة إلى حماية المسكن من تسرب مياه الأمطار والهواء والبرد في الشتاء، كما أنها حاجزاً مانعاً يصد الحشرات اللادغة والزواحف الهائمة إلى داخل المساكن.

كما تعتبر العتبة علامة يرجع إليها البناء أو صاحب الدار المتهدمة أو الذي يريد إعادة بناءها كونها محددة للمدخل ولارتفاع الدار عن الشارع، ويتم بناءها من المواد المحلية

¹ - ابن الرامي (أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم اللخمي) ، الإعلان بأحكام البنين، تحقيق، عبد الرحمن بن

صالح الأطرم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود، 1406هـ، ص

المتاحة من الطوب والطين وتحظى دائماً بالترميم والتجديد كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

ومما يلاحظ عموماً أن كافة المباني بديار تيديكلت سواء القائمة منها أو المتهدمة أنك لا تجد فيها مسكناً من المساكن أو عمارة من العماائر في هذا الإقليم يخلو من عتبة في مدخل المبنى.

05-5- السقف:

لقد تباينت فكرة تسقيف المباني باختلاف وتنوع المناخ من منطقة إلى أخرى إلى جانب مواد البناء المتوفرة، فمنها ما ظهر على هيئة مسطحة وأخرى بهيئة أقبية من الآجر والخشب والحجر.

وجاء شكل السقف في هذا الجزء من الأقاليم الصحراوية من السقوف المستوية التي يستغل سطحها ليلاً في الأوقات الحارة، واستخدمت فيها مواد محلية بحتة تماشياً واستجابة لظروف البيئة القاسية ولما يتطلبه الليل والنهار.

وهنا يجدر بنا ان نشير إلى البناء الذي لم يغفل عما تتطلبه الظروف البيئية، فقد راعى دواعي الليل من شدة الحر فصمم السطح مستويلاً لاستغلاله، كما اشرفنا، للنوم ليلاً في الأوقات الحارة.

ومن جهة أخرى راعى دواعي النهار حيث الحرارة الشديدة فصمم السقف من المواد التي تتلاءم مع الحرارة وهي مواد بيئية محلية يمكنها أن تخفف من غيظ الحرارة، وتتمثل في العناصر المستخرجة من النخلة والقش المتخلف من المحاصيل الزراعية والتربة الطينية والجيرية.

وقد تم تنفيذ ذلك بالطريقة التقليدية المألوفة والمتعارف عليها عند الناس في الأقاليم الصحراوية الحارة (انظر المخطط رقم 03 واللوحة رقم: 06) وهي كما يلي:

- بعد إتمام بناء الأسوار توضع عوارض التسقيف وهي من أخشاب النخيل المهياًة، عل جدران السقائف والغرف المعنية بالتغطية أو التسقيف وتشد بالحجارة حتى لا تنزلق.

- ثم يوضع فوق الأخشاب وبطريقة عكسية عوارض الأغصان (الكرناف)
- ويوضع فوق الكرناف ألياف النخيل (لفدام) والقش المتخلف من الزرع ليسد ذلك التربة من التسرب والسقوط من بين منافذ العوارض.
- ثم يوضع فوق العوارض أغصان النخيل (الجريد)
- ثم تشدد الألياف وأغصان النخيل بالتربة الطينية المبللة وتوضع فوقها تربة طينية جافة تساعد على امتصاص الحرارة والمياه أثناء سقوط المطر
- وتنتهي عملية التسقيف بوضع كساء من التربة الجيرية يصقل به السطح مع رشه بالجير ليعكس ذلك إشعاعات الشمس، كما تفتح فيجدران السطح الخارجية مزاريب لصرف المياه إلى خارج السطح.

05-6- التحصين:

يعد التحصين من الوسائل التي اهتمت إليها الإنسان منذ عهد قديم وذلك عندما نشأت المدن وزاد عمرانها وثرواتها، وبدأت تتعرض لهجمات الأعداء الذين يطمعون في السيطرة عليها أو نهب ثرواتها، فبرزت الحاجة إلى تأمينها ، فأدى ذلك إلى بناء الأسوار حول المدن لإنقاذ الجند والقادة الذين يتولون الدفاع عنها (1).

ولقد اهتم المسلمون بهذه الوسيلة الدفاعية منذ العهود الأولى التي تلت الفتح الإسلامي حرصاً منهم على حماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم، كما يعد من بين العناصر التي ظلت مواكبة لتطور الفكر الحربي بسبب تطور الفكر الدفاعي (2). فانجر عن ذلك تطورا في شكلها وأطوالها، فبدأت أقل ارتفاعا عما كانت عليه من قبل، كما ظهرت بأشكال مختلفة، من المربع والمستطيل إلى الدائري أو الشبه دائري ثم الشكل المضلع (3).

¹ - بيتر (فارب)، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1980، ص 139.

² - بيج (بيرتون)، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة عبد الحميد يونس وإبراهيم خورشيد وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981، ص 15.

³ - علي حملاوي، مرجع سابق، ص 274.

ويبدو لنا من خلال الملاحظات الميدانية في كافة جهات الصحراء الوسطى أن الأهالي بها انتهجوا أسلوب التحصين الدفاعي لتوفير الأمن من الخوف والجوع، وهو أسلوب اقتبسه الأهالي بلا شك من جيرانهم المتاخمين في الأوطان الصحراوية الذين دأبوا على الائتمان تحت وخلف الحصون والقصبات المحصنة، ونلمس هذا التوجه العمراني بشكل واضح من خلال الإشارات التي جاءت في كتاب زهرة الآس وكتاب جذوة الاقتباس ممثلاً في الاهتمام الذي أولاه سكان المناطق الصحراوية في المغرب الإسلامي للعمارة العسكرية حينما دفعتهم الظروف الأمنية إلى اتخاذ هذه الحلول بغرض الاحتماء فيها أو من خلفها، فكانت هندسة المآثر العسكرية من قبل المرابطين في هذه الفضاءات الصحراوية هي الحل الأنسب والمحقق للغاية المرجوة، حيث أقاموا الحصون والقصبات في عمرانهم العسكري والذي تعزز بدوره بتسوير الحواضر أيام علي بن يوسف⁽¹⁾.

فان كان لفساد الحياة السياسية وانعدام الأمن وانتشار الخوف في أوساط الفئات الاجتماعية بأقاليم توات عامة وإقليم تيديكلت خاصة من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتهاج الأهالي لهذا الأسلوب بغرض تحصين ديارهم للاحتماء من خلفها من الاعتداءات التي يتعرضون لها فجأة من قبل الزعار والمرتزقة التي كانت تجوب مناطق الصحراء بحثاً عن الغنيمة التي يتحينون فرصة ضعفها وقلة حيلتها الدفاعية. فكان لذلك أثره البالغ في التدابير لردع العدو، فاتخذ الناس بهذه الأوطان فكرة إنشاء القرى المحصنة (القصبات المحصنة) من أجل حماية النفس والمال العام بداخلها، كما تمكنهم من مراقبة العدو من خلال الأبراج العالية والرد على العدو من وراء الجدران المنيعة والاطمئنان على الضعفاء والنساء والأطفال والمسنين خلف الأسوار. وتروي لنا الذاكرة التاريخية بالمنطقة مثلاً عن ذلك، يتمثل في الدور المنشود الذي قامت به قسبة اولاد حادقي وقسبة أولاد عزي بانغر حينما تصدت الى التوسع

¹ - عبد العزيز (بن عبد الله)، (تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث)، اللسان العربي - مجلة بصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية- المجلد 07، الجزء 01، يناير 1970م/ دو القعدة 1389هـ ، الرباط- المغرب.

الفرنسي الجائر لهذه القصور وذلك بعدما بسط المستدمر نفوذه على منطقة عين صالح عقب معركة الفقييرة بتاريخ 28 ديسمبر 1899م ، ومعركة الدغامشة بتاريخ 05 جانفي 1900م. فقد كان المجاهدون بالإقليم وجيرانهم من القصور المجاورة مرابطون في ميدان المعركة، في الخطوط الأمامية بينما الضعاف والمغلوبين على أمرهم من العجزة والأطفال والنساء قد ادخلوا إلى داخل القسبة، بالإضافة إلى المئونة للقوت تحسبا للحصار، واستطاع المجاهدون كسر هذه الهجمة الأولى بتاريخ 24 جانفي 1900 حيث عادت فيها القوات الفرنسية أدرجها إلى الوراء ولم تستطع الاستيلاء على هذه القصور بانغر إلا بعد طلب المدد من الجند والسلاح المدمر الذي استعمل في تدمير القصبات على من فيها بتاريخ 19 مارس 1900.

ونرى أمثلة واضحة عن هذا التحصين يتمثل في قسبة القصر الكبير بديار عين صالح التي تشتمل على الأبراج التي تمكن المدافعين من مقاومة المهاجمين ورصد تحركاتهم قبل الوصول إلى الديار ونشير هنا إلى أن جميع القصبات بالإقليم قد صممت بنفس التخطيط وكُلّلت بالأبراج على مستوى الزوايا الأربعة في الأطراف (اللوحة رقم: 02 و 03/أ).

ويتضح إذن من خلال هذا التحصين وبناء الأسوار بأن توجيه مخططات المباني كان متأثرا بالأحداث التي تعرضت لها المنطقة في تلك السنين وما قبلها، وهو ما تجلى تأثيره أيضا في تحديد اتجاه امتداد عمران القصور، في تخطيط شوارعها ومقاييسها، تأثرا مباشرا بتخطيط القصور والقلاع.

ونلاحظ من جهة أخرى على هذه المباني أنها نظمت إنشاء طرق أو ممرات تحت الأرض (أنفاق وسرايب) توصل هذه الإنفاق إلى حدائق النخيل المجاورة أو إلى أنفاق الفقارة، وتستخدم عند الحاجة ووقت الشدة كحصار جائر، أو اقتحام أو تدمير بائد، فتستخدم هذه الممرات بغرض جلب الماء والقوت أو التسلل فرارا من ضربات وجبروت العدو.

ويشبه هذا الأسلوب المعماري في تاريخ العمارة ذلك التخطيط المنتهج من ذي قبل في عمارة المشرق الإسلامي، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر السرايب

والنفق التي كانت في تخوم الأرض وهي تربط المدينة بخارجها مثل نفق بغداد الذي عمل الخليفة المنصور على إنشائه لكي يمكنه من الخروج من بغداد على بعد فرسخين⁽¹⁾.

ونذكر مثلاً آخر يتمثل في ممر ارضي بقاهرة الفاطميين الذي يربط بين القصر الشرقي الكبير ومنظرة اللؤلؤة على الخليج وقد أشار إليها المقرئزي في خطه فذكر أن الخلفاء الفاطميين الأمر بالله والحافظ لدين الله والفائز كانوا من الخلفاء الذين ماتوا بهذه المنظرة فحملوا إلى القصر الشرقي الكبير من خلال السراييب⁽²⁾.

ومن هنا تتضح لنا الصورة أكثر بأن هذا الأسلوب المعماري ليس جديداً أو مبتكراً في تاريخ العمارة ولا سيما في هذه الديار بالإقليم، بقدر ما هو تقليداً أو نقلاً عن الأساليب التي انتهجت في المشرق الإسلامي خاصة وأن حركة التنقل قائمة منذ بكرة الفتح الإسلامي لهذه الأوطان الصحراوية سواءً كان ذلك عن طريق حركة تنقل الطلبة والعلماء، أو قوافل التجارة والتجار، أو الخدم والحجاج، حيث ينتج بلا شك كما هو مألوف، التأثيرات الثقافية والحضارية بين المجتمعات، فنشير في هذا المجال إلى أن رفوف خزائن المخطوط تزخر بمنسوخات دينية وأدبية لمصادرها الموجودة في بغداد ودمشق كقصائد البغدادي والقصائد الشامية التي لقيت صدى ورواجاً كبيرين بين أوساط الناس بالنسخ والحفظ والترديد.

وهذا ما يستدرجنا أن نقول بأن انتهاج أسلوب الأنفاق والسراييب بهذه الديار بالإقليم هو أحد العناصر أو الحلول المعمارية الأخرى التي اتخذت تخطيطها من تخطيط المشرق الإسلامي.

7-05 - وسائل الدعم:

¹ - عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص 147.

² - المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي تـ 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (الخطط)، مجلد 02، دار صادر بيروت، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، ص 47.

لم تقتصر عملية الدعم التي تميزت بها مباني الإقليم على عنصر أو عنصرين فحسب بل اشتركت فيها عدة عناصر معمارية، وظيفتها دعم المباني وتقويتها.

ونظرا للعوامل البيئية المؤثرة على المباني إلى جانب المواد البنائية وحاجة الناس إلى التوسعة، فقد اهتدى البنّاءون في هذه الديار إلى بناء دعائم ذات أشكال ومقاسات مختلفة تقي المنشآت وتقويها كما تحسنها في صورة بديعة، وتتمثل هذه الوسائل في الأعمدة والدعامات والعقود حيث ظهرت في مختلف العمائر بهذه الديار.

05-7-1- الأعمدة: استخدمت على نوعين، النوع الأول تمثل في العمود ذو القاعدة المربعة بأبعاد ما بين (0,40م × 0,40م ، و 0,60م × 0,60م) وارتفاع يصل إلى حوالي 03م. (انظر اللوحة رقم: 07/ب).

أما النوع الثاني فيتمثل في العمود ذو القاعدة المستطيلة بأبعاد ما بين (0,60م × 0,40م، و 0,70م × 0,40م) وارتفاع يصل حوالي 1,55م. ونجد هذا النموذج في المباني المتأخرة في توسعة المساجد وفي توسعة السقائف التي تعرف في ما بعد لدى الأهالي باسم السواري وغالبا ما نجدها تحمل أقواسا نصف دائرية. (انظر اللوحة رقم: 07/د).

واستخدم في تشييد هذه المباني قوالب الطوب واستعمل الملاط الطيني كمادة ماسكة لها بينما استعمل الجير كمادة لتلييسها.

05-7-2- الدعامات: أما الدعامات فقد تم استخدامها وفق الحاجة التي يتطلبها المبنى في الدعم وهي تشمل: (انظر اللوحة رقم: 07/أ) و (الشكل رقم 08/ج) - دعامات لتقوية الجدران تقي المبنى من السقوط والانهيال حيث نجد هذه الأخيرة بنموذج متعاقب على طول الأسوار الخارجية للمبنى وهي ذات شكل نصف هرمي بقاعدة عريضة ومستطيلة ونهاية محدبة تنتهي دون مستوى نصف الجدار في المباني المسقفة ودون مستوى نصف الجدار في مباني الأسوار غير المسقفة وتميزت بقاعدة مستطيلة بأبعاد تصل إلى (02م × 0,70م).

- دعامات للمداخل الرئيسية للمباني (القصبات والدور) تعطي للمدخل دعما وتقوية حيث
 زط ثقل الأبواب يؤثر أثناء الفتح والإغلاق على الجدار بفعل الإنسان أو الرياح فيزيد
 هذا الإبداع من البناء متانة له كما يعطيه زينة وجمالا في منظره الخارجي.

- دعامات لرفع الأقواس

- دعامات لرفع السقف

05-7-3- العقود: ظهرت بعمائر الإقليم أشكالا من العقود تتميز بأناقته من حيث
 تشكيلها وزخرفتها الملحقة بها حيث أنها لا تقل روعة وجمالا عن عقود العمارة
 الإسلامية المعروفة بالمواطن الصحراوية فهي من نتاج الهندسة المعمارية بالصحراء،
 ومن أشهر العقود وأوفرها استعمالا بهذا الجزء من الإقليم هو العقد نصف الدائري الذي
 نجده مستعملا في المداخل الرئيسية للقصور والقصبات (انظر الشكل رقم: 10) كما
 نجدها أيضا في توسعة الغرف السكنية إلى غرف كبيرة تعرف بـ "سوري" وأيضا
 توسعة بيت الصلاة، وكما نجدها في مجنبات صحن القصر (انظر المخطط رقم: 04
 و06).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية للعناصر والعوامل البيئية المؤثرة على العمارة
والعمران المحلي

1. العوامل البيئية المؤثرة على العمارة والعمران المحلي
2. تأثيرات العوامل البيئية على العمارة والعمران المحلي

الدراسة التحليلية للعوامل والعناصر المؤثرة على العمارة والعمران المحلي

01- العوامل البيئية المؤثرة على العمارة والعمران المحلي

لاشك أن المباني التي يشيدها الإنسان في الأراضي التي يستوطنها تخضع إلى التأثير بالعوامل البيئية المحيطة بها، وذلك لما ينتج منها من دور رئيسي فعال تتجلى ملامحه في تشكيل العمائر وما تتضمنه أيضا من عناصر إنشائية نفذت في صورة تتناسب والإقليم الذي نشأت فيه. وحينما نتناول مثل هذه العوامل المؤثرة في تشكيل عمائر إقليم تيديكت وغيرها من أقاليم الصحاري النخلية، فإننا نعني بذلك عوامل المناخ من حرارة ورياح وطبوغرافية الموقع وجغرافية الأراضي التي تحيط بها وكذلك نوعية مواد البناء التي تتناسب وتلك الخصائص، إضافة إلى كون هذه العوامل ذات دور مباشر في الموارد الاقتصادية للسكان والذي بدوره يدخل في تشكيل العمارة بشكل عام. ولمعرفة خصائص هذه العوامل يجدر بنا أن نشير إلى عوامل مهمة وهي ذات تأثير فعال، وذلك من خلال دورها الذي أثر بشكل مباشر وفي حالات أخرى بشكل غير مباشر في توجيه وترشيد العمارة التقليدية في البيئة الصحراوية والتي منها تيديكت الشرقية، ونذكر من بين هذه العوامل مايلي:

01-1- العامل الطبوغرافي (طبيعة الأرض)

تعتبر تيديكت الشرقية من بلدان واحات الصحراء الجزائرية المتميزة بطبيعتها الطبوغرافية بكونها أراضي سهلية يغلب على طبيعتها الكثبان الرملية وبعض الهضاب الحجرية والأراضي الرسوبية الخصبة والمتميزة بمياهها الجوفية، مما أهلها للزراعة والاستيطان البشري منذ سنين قديمة.

وبحكم طبيعة الأرض المتنوعة فقد ساعد ذلك على عمارة الإقليم بفضل المادة المتاحة ووفق تباين تضاريس المنطقة حيث نلاحظ ذلك جليا من خلال تنفيذ رسم معالم كل قصر من قصور الإقليم بمراعاة البنية الطبوغرافية للأرض ، فكان توجيه العمائر قد أخذ اتجاهها من مستوى أعلى إلى مستوى أدنى، ففي الميدان نلاحظ أن مخطط العمائر رسم وفق مخطط يتجه من الشرق إلى الغرب وأحيانا من الشمال إلى الجنوب وهو

يتمشى وطبيعة تكوين تضاريس المنطقة، وهنا نشير إلى الصورة الهندسية لعمران الأرض باقليم تيديكلت الشرقية في المواقع التي اختارها الانسان لأستقراره، وكانت هذه الصورة ممثلة في تخطيط اقامة العمران وهي الفقارات ثم منشآت المباني المنجزة وتليها منشآت الفلح من الزرع وغرس الواحات النخلية وتنتهي الصورة بمنشآت مصب المياه الفائضة وهي البرك والسباخ الواقعة في مؤخرة كل واحة او قصر (انظر اللوحة رقم:10/||| أ).

ومن خلال هذه اللوحة التخطيطية نلاحظ بأن تنفيذ العمائر بهذا الإقليم تم في شكل أرخبيل بحري في وسط صحراء رملية على مسافات متقاربة تتحكم في وضعه وتنفيذه طبيعة الارضحيث كان تأثيره بارزا في مجموعة من الملامح نذكر منها:

- في اختيار المواد الانشائية التي تزخر بهم البيئة المحلية للعمارة والعمران المحلي.
 - انجذاب الافراد والجماعات إلى حيث المواقع السهلة والمنيعة الملائمة للحياة وإقامة العمران.لاستيطان حيث السهول والامن ووفرة المرعى والماء وسهولة استخراجة وجلبه.
 - كان التأثير في وجهة جلب الماء إلى عمران السكن والفلح.
- وتشير لنا هذه اللوحة أيضا من خلال الشكل العام الذي نفذ على أرض الواقع إلى عرف وحكمة اجتماعية بليغة الأثر تتمثل في الآتي:
- احترام القبائل لأملاك بعضهم البعض حتى لا تضر إحداها الأخرى تجنباً لوقوع الخلافات والفتن التي يمكن أن تنتش من خلال احتمال التداخل في الحدود والأملاك، وهذا ما يسير وفق شروط تخطيط وتنظيم مجتمعات القصور في المدينة⁽¹⁾.
 - ويفيد التباعد بين العمائر أيضا على تسرب الماء واستمراره لمدة أطول في آبار الفقارات عكس ما إذا كانت متقاربة، حيث يقلل ذلك مستوى منسوب الماء في

(1)- الفرستائي (الشيخ أبي العباس أحمد)، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق وتعليق وتقديم الشيخ باكير ومحمد صالح ناصر، الطبعة 2، نشر جمعية التراث القرارة، 1997، ص 126.

الفقارات كما يصعب من عملية إضافة الآبار لزيادة منسوب الماء عندما تضعف الآبار.

وعلى العموم نقول أن هذا العامل أثر بدوره إلى درجة كبيرة في توجيه العمارة وفق مخطط موحد نفذت عليه جميع الواحات وقصورها، بحيث أعطاه مخططاً يميزها عن باقي العمائر في الشرق وفي الغرب الإسلاميين .

01-2- العامل الجيولوجي (مواد البناء)

شيدت تيديكلت الشرقية على منبسط سهلي تنتوع جغرافيته من الطمي المترسب من التلال الطينية والكتبان الرملية والترسبات الجيرية، كما عمل الإنسان إلى جانب هذه المباني المشيدة على فلاح الأراضي الزراعية الخصبة حيث أنتج منها محاصيل هامة منها النخيل التي كانت مصدراً هاماً لمادة البناء المستخدمة، والقش المتخلف عن المحاصيل الزراعية كالتبن المتبقي من القمح والشعير الذي يضاف إلى الطين والتربة مثلاً، لصناعة الطوب ولاستغلاله أيضاً في أغراض المبنى المختلفة، هذا فضلاً عن استغلال النخلة في شتى أغراض الحياة المختلفة، والتي هي من الحرف المعمول بها منذ العهود القديمة، وقد أشار إليها ابن الأزرق فقال⁽¹⁾:

((... ومنها الشجر للحطب والخشب، فالحطب لعموم البلوى بها وقود النيران، والخشب للمباني، وكثير مما يستعمل فيه ضروري أو كمال...))

01-03- العامل المناخي (الحرارة)

(1) - ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق الدكتور حمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ج 2، 1977، ص 722.

يعتبر المناخ احد العوامل الطبيعية التي يجب مراعاتها عند تصميم وتخطيط المنشآت العمرانية بصفة عامة، ومنها تصميم التجمعات السكنية بصفة خاصة، فهو احد محددات اختيار مواقع الإعمار، ومواقع شغل أنشطتها المختلفة، وتوزيع وتشكيل كتلها البنائية، والفراغات المحصورة فيما بينها، وكذلك الفراغات الداخلية للمنشآت.

وعلى اثر ذلك كانت مراعاة الدقة في مثل هذه التصاميم أمراً ضرورياً ولا بد منه ولا يستهان به وخاصة في البيئات الصحراوية لباني تمتاز ببيئة مناخية قاسية، وتحتاج إلى تحقيق أعلى كفاءة مناخية بهدف تعميمها وذلك بمراعاة مدى اثر الظروف المناخية السائدة قبل إنشاء العمائر عليها.

فيعتبر بذلك المناخ أحد عناصر البيئة الطبيعية التي تؤثر على الإنسان، كما يعتبر من المحددات الطبيعية للتجمعات العمرانية التي يختطها الإنسان وينفذها في البيئات الصحراوية ومن ثمة تكون التجمعات في شكل تخطيطها أحد الحلول والمعالجات التي تمكن من تحقيق الراحة الحرارية وتسهم بشكل أو بآخر في تأقلم الإنسان في البيئات الحارة.

ولقد اجتمعت عدة عوامل بهذا الوسط الصحراوي وساهمت في ارتفاع درجة الحرارة، الشيء الذي أدى بالمعماريين القدامى إلى اختيار مادة الطين لتشييد العمائر بهذه الديار وفق نمط يتلاءم مع طبيعة هذا الإقليم الحار، حتى يتمكن الناس القاطنين من العيش في أمان تحت ظلال هذه المنشآت الطينية.

ونذكر من بين تلك العوامل الفاعلة هي شدة الإشعاعات الضوئية والتي هي راجعة إلى صفاء السماء وندرة الغيوم بها مع غياب المسطحات المائية وقلة الغطاء النباتي بها الذي يمكن أن يساهم بشكل أو بآخر في تقليل الغيظ وتلطيف الجو وامتداد فترة الصيف وطول نهاره، فهذه المعطيات تساهم في ارتفاع درجة الحرارة التي تصل معدلاتها في الصيف ما بين 43 إلى 50 درجة مئوية.

وانطلاقاً من ذلك فإن تأثير المناخ على الوسط المحلي يكون تأثيراً مباشراً وفعالاً حيث يظهر في تخطيط التكوينات المعمارية عامة، كما يبرز أثره واضحاً وجلياً في تخطيط شوارعها، وتحديد اتجاهاتها، وليس غريباً أن نجد هذه التأثيرات قد ظهرت بصفة أشمل في تصميم مخططات مباني المناطق الواقعة في الأقاليم الحارة، نظراً لتمائل وتشابه المواصفات والمؤثرات البيئية.

وحيثما نلقي نظرة على التصميمات القديمة في المدن الإسلامية يتبين لنا أن تأثير الحرارة بدأ بها واضحاً وذلك في ظهور وبروز عناصر معمارية مرتبطة بعامل الحرارة ترجمت في رسام المخططات التي تتماشى وتأثير درجة الحرارة وذلكم استغلال المادة البنائية المحلية المتاحة بشكل واسع وهو تسخير للإنسان بغرض التكيف مع الظروف البيئية المحيطة به.

فما لوحظ من خلال الدراسات المتعلقة بتخطيط المدن الإسلامية القديمة، أن مبانيها جاءت متلاصقة ومقاييس الشوارع بها متدرجة وأصبح الفناء بها عنصراً رئيسياً في تخطيط التكوينات المعمارية، وأخذت الواجهات والمظلات والعناصر المعمارية الأخرى المتصلة بالتهوية والإضاءة أنماطاً متشابهة، فتكررت أمثلتها في المدن الأخرى⁽¹⁾.

وفي هذا المجال نشير إلى أن طبائع البشر تختلف وقدرتهم على التكيف مع الظواهر المناخية التي تختلف من إقليم إلى آخر، بل من فصل إلى آخر، ولا أدل على ذلك الهزال الذي أصاب الجند الفاتحين عندما استقروا بالمدائن، ولاحظ الخليفة عمر ذلك فأمرهم بالانتقال إلى موضع آخر يتفق وطبيعتهم⁽²⁾.

ومن هنا نستخلص أن العوامل المناخية يمكن أن تكون سبباً للسكنة في تغيير محل إقامتهم بصفة مؤقتة أو نهائية وذلك حسب البنية الفيزيولوجية فمثلاً قد تقتصر شدة العوامل المناخية على فترة محددة من العام، وفي هذا الحال ينتقل أهل المدن إلى خارجها صيفاً لاشتداد الحرارة وعدم القدرة على تحملها.

(1) - محمد (عبد الستار عثمان)، المرجع السابق، ص ص 103 - 104.

(2) - نفسه، ص 103

وقد تمكن العوامل المناخية السكان من الإقامة بالموضع وفي هذا الحال يلجأون إلى التأقلم بتكييف المسكن تماشياً مع طبيعة المناخ وذلك بوسائل تختلف أساليبها وأشكالها من مدينة إلى أخرى متأثرة بظروفها البيئية والطبيعية كما هو الشأن في هذه الديار الصحراوية بإقليم تيديكلت الشرقية.

كما يتأثر المبنى بالبيئة ويعتمد شكله على العوامل المتعلقة بمناخ الموقع والأبنية المحيطة أكثر من اعتماده على العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالرغم من أهميتها⁽¹⁾.

فلقد حاول الساكنة من الناس في هذه الديار أن يتفاعلوا مع هذا الواقع المناخي بغية تكييفه إلى ظروفهم المعيشية، فلجئوا إلى الحلول المعمارية والتعميرية حيث اتخذوا من المنبسط السهلي مكاناً لهم وشيدوا فيه العمائر وعمرها فيه البساتين والفقاقير.

فأفلقوا الأرض بالقرب من مساكنهم بغرض تطهير الجو الحار على الديار صيفاً، كما يمكن أن تكون غابات النخيل ملجأً أو مكاناً يستفاد من ظلها الإنسان والحيوان والنبات في أوقات شدة الحر، كما شيدوا المساكن بمواد محلية تتماشى وظروف المناخ القاسي، وقد كانت المادة الرئيسية المتوفرة لإقامة هذه المنشآت المعمارية هي الطين، كما كانت جذوع النخيل ومشتقاتها مادة ثانية استغلت في تسقيف العمائر، وفي تجهيزها وفي تدعيمها، كما لم ينسأ المعماري البناء أن يستغل مادة الحجارة وذلك في وضع أسس وتمتين الوحدات المعمارية هذا فضلاً عن استغلاله للتربة الجيرية في البناء أيضاً. ويظهر لنا تأثير المناخ بوجه خاص وملفت للانتباه على الشكل المعماري، وذلك بطريقة يمكن ملاحظتها بسهولة على المبنى المشيد وخاصة في مثل هذه المناطق الحارة، فنجد التقليل من الفتحات إلى انعدام النوافذ في الجدران الخارجية للمبنى والأسوار معمولاً به في غالب الأحوال وفي مختلف الأشكال. وقد عوض ذلك بفتحات تطل على الفناء المركزي للمبنى من الغرف أو الحجرات المحيطة به.

¹ - حسن فتحي، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، ترجمة ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1988، ص 34.

ويعتبر وجود هذه الفتحات في هذا التخطيط المعماري هي بمثابة ملاقف هوائية، تستقبل الهواء الداخل والخارج الذي يربطها مع المدخل الرئيسي للمبنى أو مع فتحات أخرى تربط بينها وبين أفنية جانبية من المبنى مروراً بالحجرة المحيطة بالفناء المركزي، حيث بهذا التخطيط أو الحل المعماري يسمح بتلطيف الهواء في ما بين الفتحتين أي بين حجرات المبنى التي يمرّ فيها الهواء.

ولما كانت حرارة الشمس مرتفعة وأصبح حينها الهواء حاراً أضاف المعماري لمعالجة الحالة وسيلة تقلل من غيظ الحرارة وتلطّف دوران الهواء في داخل المبنى.

فكان استخدام الوسيلة الملقطة للهواء المعروفة باسم «اجرتيل» بثنيتها في الفتحات المطلة على الفناء المركزي خلال فترة غيظ الشمس من الظهيرة إلى ما بعد الزوال، فتبلل بالماء كلما جفت من جراء نفوذ الهواء الحار الذي يصبح ملطفاً حينما يصل إلى داخل السقائف.

وبهذه الوسيلة تكون هناك استجابة لتأثير العوامل الطبيعية المحيطة ومنه أيضاً المساهمة بذلك على راحة الإنسان والحيوان.

فتعتبر هذه الأساليب المستخدمة كحلّ من أجل التأقلم في البيئة المحلية قد أضفت طابعا مميّزا على عمارة المناطق الصحراوية التي تمتاز بحرارتها الشديدة.

وهذا الأسلوب يبدو أنه حقق راحة للإنسان وتعاملا وتأقلماً مع دواعي عوامل الطبيعة (عامل الحرارة)، كما افرز استحداث عناصر جديدة في العمارة أضفت تناغماً وتوافقاً على العمران في بيئته المحلية.

تعد الزراعة من العوامل الأساسية لعمران البلدان⁽¹⁾، وهي من الحرف الرئيسية للسكان والمتوارثة بين الأجيال، وقد كان لذلك أثره الكبير على التشكيل المعماري للوحدات المعمارية سواء كان نشاطاً زراعياً أو حرفياً، فالزراعة كانت حرفة ولا تزال إلى يومنا هذا من الحرف التي تستقر عليها الجماعات وتؤمن بها الشعوب أوقاتاً وتقوي بها الدول ركيزة سياساتها.

ولما كانت الزراعة من النباتات المؤثرة والمتأثرة بالمناخ، فقد لعبت النباتات دورها في العمران التقليدي، وكانت النخلة، في غياب الثروة الخشبية بالإقليم، العنصر البديل الذي تسبب في اتجاه معظم المساكن التقليدية إلى الاستفادة من البديل المتاح في الوسط المحلي، فاستخدمت بكفاءة بالغة في مختلف أجزاء البيت كدعائم للتسقيف وأبواب ونوافذ وحوامل وغير ذلك.

وعلى اثر ذلك كانت النخلة إحدى المنتجات المهمة والرئيسة التي عكف المزارعون على الاعتناء بها منذ القديم لاعتبارات عدة أهمها، أنها تؤتي ثمارها تمراً وهي حية، كما تستغل أخشابها وما يشتق منها بعد بلوغها مرحلة من العمر أو بعد يبس أغصانها، وذلك في توفير الاحتياجات الضرورية لإقامة العمائر وإتمامها أو في صنع الأدوات والأواني والأثاث ومختلف تجهيز الدور والمرافق العمرانية الأخرى.

كما كانت حرفة النجارة حاضرة لإعداد الخشب من مادة خام إلى تحف و أدوات مختلفة حسب رؤية النجار واحتياج البناء ورغبة المستغل، وتخبرنا في هذا المجال بعض التحف الخشبية التي أعدت للعمائر كالتي تعلق مداخل المنشآت المعمارية والحوامل الخشبية والدعامات الخشبية على مستوى المهارة التي وصل إليها نجار تديكلت في إعدادها للصنائع الخشبية مثل الأعمدة والأبواب والشبابيك والمداخل وتغطية غرف البيوت (التسقيف) (اللوحة رقم: 05) وكوسائل للصعود لأسطح المنازل ، رغم أن الصناعة بوجه عام على مستوى هذا الإقليم تميزت ببساطتها وركاكتها إذا ما قورنت

(1) - ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد)، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق، ناجي التكريتي، الطبعة 1، بيروت - باريس 1978، ص 151.

بما هو موجود من نوعية الصناعة الخشبية في الأقاليم المجاورة أو ما هو معروف من صنائع خشبية في شمال بلاد الجزائر. وبهذا الشكل يتبين لنا أن المنتجات الزراعية وخاصة النخلة كان لها دورا فعالاً وهاما لتوفير الظروف الملائمة للإقامة والعيش في الوسط البيئي المحلي الصعب وذلك حينما تستغل بعض المنتجات المفلحة بالإقليم في العمارة المحلية.

01-5- العامل البشري (الإنسان)

01-5-1- الأبعاد الاجتماعية والقبلية :

ويظهر دور الأبعاد الاجتماعية والقبلية بأثرها الكبير في توزيع القصور حسب العرف الاجتماعي السائد في الأقاليم الصحراوية حيث يبدو لنا من خلال الملاحظات الميدانية في الإقليم بأن لكل قبيلة موضعها أو ملكها الخاص بها ، التي لا تستغلها قبيلة أخرى إلا بإذن ملاكها، فمن ذلك كانت بعض القصور من تحمل اسم القبيلة، كما كانت هناك أيضا بساتين وفاقير و نواحي تحمل هي الأخرى اسم القبيلة أو العرش بأكمله، وتبعاً لما تعارف عليه الناس في سير شؤون حياتهم تحظى الجماعة المعنية وحدها بحق الاستغلال والإقامة بالديار والرعيوالحرث بالبستان أو من رخصت له بذلك، ونجد من الأمثلة النموذجية الحية من واقع اعمار الناس للأرض وتعميرها بالإقليم تلك المخلفات من المنشآت المعمارية المدنية والاقتصادية والدفاعية منها على سبيل المثال قصبة أولاد حادقي وقصبة أولاد عزي وقصبة أولاد بلقاسم⁽¹⁾ ، وفقارة بابكر⁽²⁾ وفقارة الدغامشة⁽¹⁾ وفقارة الاعواوات⁽²⁾، واحة أفوغاس⁽³⁾ وواحة بن حيدي⁽⁴⁾.

(1) - نسبة إلى قبيلة أولاد حادقي بمقاطعة انغر وقبيلة أولاد عزي وقبيلة أولاد بلقاسم بمقاطعة عين صالح الذين وفدوا إلى هذا الإقليم ثم شيّدوا هذه القصبات وسكنوها .

(2) - نسبة إلى قبيلة أولاد بابكر التي عاشت في المنطقة وعمرتها واستخرجت هذه الفقارة إلى جانب البساتين.

01-5-2- الدين :

يعتبر الدين من العوامل المهمة في نشأة المدينة وتوجيهها منذ القدم بحسب الصبغة الدينية للجماعة، والدين عملية جماعية أدت في الغالب الى نشأة كثير من مراكز المدن خصصت لهذا الغرض في تاريخ الامم، فعند السومريين انشئت المدن للعبادة كمدينة نيور واريدو اللتان تميزتا بالقداسة عندهم ، وظهرت بنفس الصبغة الدينية عند البابليين والآشوريين والمصريين وعند اليونان⁽⁵⁾.

واستمر تاثير الدين في المدينة في العصور الوسطى حيث لعبت دورا هاما في نشر المسيحية وعمارة المدن ، وتكيف هذا التأثير مع العوامل البيئية والطبيعية الاخرى في تحديد مواقع المدن⁽⁶⁾.

وسار تخطيط المدن الاسلامية ومراحل انشاء تكويناتها المعمارية في توافق تام مع احكام البناء التي اقرها فقهاء المسلمين استنادا الى الكتاب والسنة. ومن مظاهر البناء الواجب انشاءه في المدينة كان من المساجد والاربطة والحصون والاسوار والجسور

(1)- نسبة إلى قبيلة الدغامشة البربرية التي عمرت بالإقليم وخلفت الى جانب ذلك بساتين وعمائر جنوب مقاطعة عين صالح.

(2)- نسبة إلى قبيلة الأعوايين التي انتشرت في الإقليم وخلفت بساتين في مختلف واحاته.

(3)- نسبة إلى قبيلة افوغاس البربرية التي عمرت بالإقليم وخلفت بساتين في واحات قصور الساهلة الواقعة شمال مقاطعة عين صالح.

(4)- نسبة إلى قبيلة بن حيدى التي عمرت بالإقليم وخلفت إلى جانب ذلك فقارات في واحات قصور الساهلة الواقعة شمال مقاطعة عين صالح.

⁵- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، دار الافاق العربية، الطبعة الاولى، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص109.

⁶- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، المرجع السابق، ص109-110.

والقناطر والسدود... ومنها المندوب كالمآذن والاسواق.. ومنها المباح كالمساكن والحوانيت.. ومنها المحظور مثل القبور والكنائس⁽¹⁾.

ومن توجيهات الدين الاسلامي هو التوسع في البناء والتطاول فيه وزخرفته، والتفاصيل التي تتعلق بتخطيط وإنشاء الوحدات المعمارية الدينية على وجه الخصوص، فضلا عن طهارة المواد الانشائية والاتقان في العمل⁽²⁾.

وفي سبيل عدم الاضرار بالآخرين كانت التوجيهات تحث الى عدم الارتفاع بالبناء على الجار، وعدم فتح نوافذ تكشف حريمهم، وبناء الافران والمصانع والمدابغ التي يتضرر منها المجتمع، وعدم منع الجار من وضع عروق البناء على بناءه، عليها وحكم اخراج الميازيب والشرفات الى الطريق وغيرها⁽³⁾.

ولما جاء الاسلام طور الفكرة الدينية المؤثرة في المدينة تطورا مرتبنا بطبيعة الدين الاسلامي الذي هو في اساسه دين يهتم بالجوانب الدينية والمدنية اهتماما متعادلا متكاملًا⁽⁴⁾.

وكانت الرؤية الاسلامية في تخطيط المدن مراعية لجوانب التخطيط المختلفة سواء كانت هذه الجوانب عمرانية أو اقتصادية او اجتماعية، ويبدأ ذلك في اختيار موقع المدينة وعلاقتها بما يحيط بها⁽⁵⁾.

وهكذا يكمن دور الدين الفعال في استجابة العمران التقليدي للتوجيهات النصية والتطبيقية التي وضحت السياق الأمثل في نمط التصميم للمنشآت الفردية والجماعية والمنشآت الخاصة والعامة.

1- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، نفسه، ص32.

2- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، نفسه، ص32-33.

3- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، نفسه، ص34.

4- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، نفسه، ص110.

5- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، نفسه، ص96.

وقد تجسد ذلك في أن المسكن التقليدي مثلاً يراعي دائماً أكبر قدر من الخصوصية للتوجيهات الإسلامية ، ولذلك وجدنا أن تخطيط المنزل التقليدي دائماً يفصل بين الغرف المخصصة لاستقبال الزوار والضيوف وبين بقية أجزاء المنزل، هذا فضلاً عن البساطة في التخطيط وفي المجال الفني وذلك استناداً إلى فكرة الوجدانية لله تعالى، فغابت رسومات الأشخاص وحضرت بعض الأشكال الفنية الهندسية تراها مزينة بداخل وخارج المبنى التقليدي. أما عن مستوى التخطيط الخارجي للمباني ، فنجد أن المسجد هو دائماً المركز الذي تتجمع حوله المساكن التقليدية، حيث سجل حضوره في كافة قصور الإقليم، وهذا بالنسبة لنا إشارة واضحة تدل على أن المجتمع مسلم، ومن ثمة فهو يشكل بيئة دينية تتطلب عمائر لبعث فكرة التعبد للخالق، وهكذا نجد أن العامل الديني في البيئة كان له أثره البارز في توجيه خطة المسكن التقليدي، فأحدث نمطاً خاصاً تميز بالتركيز نحو الداخل بدلاً من الخارج وذلك لأسباب دينية، وبهذا الكيفية يكون التصميم المبتكر قد وازن بين متطلبات الدين ومتطلبات البيئة فاستحدث الفناء الفسيح داخل المبنى التقليدي لأغراض دينية ووظيفية في نفس الوقت.

كما كان للدين أيضاً أثراً في ترتيب عناصر المنزل التقليدي وتخطيطه، مثل تصميم بناء الحمامات والمراحيض في أمكنة تكون متعامدة مع اتجاه القبلة، كما نجد كذلك تصميم مداخل بعض المنازل التقليدية أحياناً بشكل منكسري مستر من خلالها أهل البيت من أعين المارين ومن كل داخل إلى البيت وخارج منه، فيكون بواسطة هذا العنصر المعماري حجاباً وستراً لهم وأداة تمنع التعدي على حرمتهم.

وعلى العموم فإن التوجيهات الدينية بهذا الإقليم قد أثرت في الفرد وفي اجتماع الناس وفي صناعة الكتلة العمرانية كلها وترتيبها، حيث تجلّى ذلك في التخطيط العام الذي تميز بمسحة إسلامية تتوافق مع دواعي العوامل البيئية الأخرى ولا سيما منها العوامل الطبيعية وقد برز ذلك في تخطيط الوحدات وتعميم الشوارع والمساحات وتخصيص الأبنية والممرات.

01-5-3 - الأمن والحماية :

ويعتبر الأمن والحماية من الأهداف القديمة للسكن عبر التاريخ ، وصمم المسكن التقليدي في الإقليم منذ البداية لتحقيق هذا الهدف ، وهدف الحماية والأمن كان ضرورياً في الماضي في ظل الحروب القبلية وتأثيرات البيئة الجغرافية ، وقد ظهر ذلك في شكل البناء الكتلي السميك فلاحظنا أن بعض المنازل بالإقليم كانت تخصص للسكن وللدفاع وللاحتماء من الخصم والأعداء في الوقت نفسه ونشهد ذلك لما نقف متأملين في تفاصيل العناصر المعمارية التي ازدانت بهم قسبة أولاد الحاج وقسبة أولاد بلقاسم التي كانتا تخطيطهما يدل على الكن والاحتماء، وبالمقابل نلاحظ أن هناك نموذج آخر بعناصر معمارية بشكل يدل على وظيفة الاحتماء والدفاع وتمثله القسبة المحصنة (قسبة القصر الكبير)⁽¹⁾ الواقعة في وسط مقاطعة عين صالح.

ومن هنا نقول أن جانب الاحتماء والدفاع والأمن من الخصوم والأعداء كعامل اجتماعي ساهم إلى حد كبير في توجيه البناء التقليدي ليكون أكثر توافقاً مع ظروف البيئة الاجتماعية إلى جانب باقي العوامل البيئية المحلية، وكننتيجة لذلك فإن التصاميم والأشكال المنفذة في الوسط المحلي ومنها تلك العناصر المعمارية والزخرفية والوظيفية المنفذة بالإقليم تعدّ من تداعيات الظروف البيئية جمعاء آنذاك.

(1) - قسبة محصنة تتوسط قصر العرب وقصر المرابطين بعين صالح، تروى الذاكرة الشعبية بالإقليم أن بناءها اشترك فيه كافة قبائل الإقليم، واشرف على البناء قبيلة أولاد باجودة، وتعرف إلى اليوم بقسبة اولاد باجودة، وكانت هذه القسبة بمثابة مخزنا تجمع فيه غلة وخراج أهالي إقليم تيديكلت الشرقية، إلى أن بسط الاستعمار الفرنسي نفوذه على الإقليم، كما كانت بمثابة مركز المراقبة لحركة الخصوم والأعداء منجهة وحصن يتمي فيه المغلوبين على أمرم حين تعرض القصور إلى غارات مفاجئة.

02- تأثيرات العوامل البيئية على العمارة العمران المحلي

02-1-1- اثر العوامل البيئية وضوابطها في العمران الاسلامي:

ويأتي تأثير هذه العوامل البيئية والمناخية في تصميم المباني والفراغات الخارجية من اجل تهيئة وتوفير المناخ الانسب لراحة الانسان سواء داخل المباني او في الفراغات الخارجية من المحيط العمراني.

ولقد جاءت عدة اشارات في بعض آيات القرآن الكريم وهي تفيدنا الى ان التصميم البيئي الانسب الذي يسعى الانسان الى اختياره من أجل أن يحقق الراحة التي تتوافق ودواعي العوامل البيئية المحيطة، هو جدير بالاهتمام وبالأخذ به كأحد الحلول والمعالجات المناسبة في تصميم وتخطيط وتنفيذ العمران المحلي.

ولذلك يعتبر البعد البيئي أحد الضوابط التي يجب مراعاتها في العمران الاسلامي⁽¹⁾، فهو يهدف الى محاولة جعل درجات الحرارة داخل المباني أو في الفراغات الخارجية حولها في حدود معينة مضبوطة لا تقل أو تزيد عنها، وذلك باستخدام أساليب تصميمية معينة تحقق الغرض.

ونلمح الصورة البيانية للتصميم البيئي الانسب من معنى وتفسير الآية الكريمة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾⁽²⁾ ، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية القرآنية أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم، بل هو مزاج واحد دائم سرمدى ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَالًا﴾⁽³⁾ ، كما جاء في التفسير الميسر أن المقصود: "لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد"، والزمهرير في اللغة هو شدة البرد.

(1)- د يحيى وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، مجلة حراء ، العدد 24، تركيا، 2011، ص 39-43.

(2)- سورة الإنسان: الآية 13

(3)- (الكهف: الآية 108)

وتشير الآية الكريمة السابقة إلى الحالة التي سوف يكون عليها أهل الجنة حينذاك فليسوف يكونون في وضع متزن ليس عندهم حر مزعج أو برد مؤلم، وهو ما يتطابق مع تعريف مصطلح "الراحة الحرارية" الموجود في علم التصميم البيئي، والذي ينص على أن الراحة الحرارية هي حالة العقل التي يشعر فيها الإنسان بارتياح ورضا فيما يتعلق بالبيئة الحرارية الموجودة فيها. فكل إنسان عادي لا يشعر بالراحة في درجات الحرارة العالية، قلت درجة الحرارة عن حدود معينة، أي أنه لا يشعر بالراحة في درجات الحرارة العالية، كما لا يشعر بالراحة أيضاً في حالات البرودة الشديدة⁽¹⁾.

فإذا كانت درجة حرارة الهواء أعلى من درجة حرارة البشرة، فإن الحرارة المتولدة من الجسم تجد صعوبة في الخروج، وينتج عن ذلك ارتفاع في درجة حرارة البشرة ونشاط الغدد التي تفرز العرق، ويمكن أن يصل معدل إفراز العرق إلى أربع لترات/ساعة، وهو ما يسبب إرهاقاً لا يمكن احتمالته إلا لفترة قصيرة، أما في حالة انخفاض درجة حرارة البيئة المحيطة عن الحد المناسب، فإن الاستجابة الفسيولوجية الأولى لذلك، انقباض الشعيرات الدموية تحت الجلد، وبالتالي يقل اندفاع الدم إلى البشرة، وهو ما يؤدي إلى برودة الشعيرات وخاصة اليدين والقدمين، وتحدث رعشة لا إرادية في حالات البرد الشديد (الزمهرير)، ويزيد معدل الاحتراق إلى مرتين أو ثلاث مرات⁽²⁾.

وإذا كانت الجنة تمثل البيئة المثالية بكل ما فيها من متاع ونعيم مقيم، فإن الآية الكريمة تضيف متاع "الراحة الحرارية" أيضاً، أي لا يرى في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهرير، أي ولا برد مفرط. وفي الوقت نفسه فإن الآية الكريمة تلفت النظر وبشدة إلى أن الهدف النهائي هو توفير الراحة لأهل الجنة، وهو ما يلفت نظر المصممين إلى أهمية العمل على توفير هذه الراحة بقدر المستطاع في مباني أهل الأرض تأسيساً ببيئة الجنة المثالية التي هي فوق خيال البشر⁽³⁾.

(1) - يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، المرجع السابق، ص 39-43.

(2) - شفيق العوضي الوكيل، ومحمد عبد الله سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، القاهرة، 1985، ص: 166،

(3) - يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، نفسه.

ثم تأتي العديد من الآيات القرآنية الأخرى لتوضح وتبين للبشر كيف يمكن لهم أن يصلوا إلى هذه الغاية، وهي مراعاة العوامل البيئية في التصميم ووسائل تحقيق الراحة الحرارية، سواء في المباني أو الفراغات الخارجية وهو ما نسعى إلى توضيحه في المحاور التالية:

02-1-1-1- مراعاة اختيار مواقع التجمعات العمرانية :

لقد أشارت آيات من القرآن الكريم عن ضوابط العمران والبنيان، بطريق غير مباشر إلى علاقة وتأثير العوامل البيئية في اختيار مواقع المدن والتجمعات العمرانية، ونلمح ذلك منفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (1).

قال عبد الرحمن بن زيد في تفسير الآية الكريمة السابقة: "إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة قط، ولا ذباباً ولا برغوثاً ولا قملة ولا عقرباً ولا حية ولا غيرها من الهوام، وإذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب، فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب، وقيل بلدة طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها" (2).

إن الآية الكريمة تلفت النظر إلى أهمية اختيار مواقع المدن والتجمعات العمرانية من حيث المناخ الجيد والهواء الطيب، كما تلفت النظر إلى علاقة وجود الجنات الأرضية وتأثيرها على تحسين مناخ هذه التجمعات. فلقد أشارت الآية إلى وجود جنتين عن يمين وشمال مساكن بلدة سبأ، وهو مما يلفت نظر المصممين إلى أهمية تواجد الحدائق في التجمعات العمرانية كعنصر جمالي وبيئي في الوقت نفسه، كما يجب ألا نغفل دور إحاطة المساكن عن يمينها وشمالها بالحدائق، لأنه يحميها من الرياح المحملة بالرمال في حالة هبوبها على هذه التجمعات السكنية.

(1) سورة سبأ: الآية 15

(2) - انظر تفسير الآية: 15 من سورة سبأ في "الجامع لأحكام القرآن الكريم"، للإمام القرطبي.

وفي آية كريمة أخرى، يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أهمية دراسة الموقع قبل بناء المبنى، وذلك للاستفادة من ظروف البيئة، ونلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾⁽¹⁾، أي اتخذت من جانب الشرق وهو المكان الذي تشرق الشمس، وإنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق من حيث تطلع الأنوار، وكانت الجهات الشرقية من كل شيء أفضل من سواها.

إن عملية تحديد علاقة الأماكن أو الفراغات العمرانية والمعمارية بالجهات الأصلية لها أهمية قصوى، لأن ذلك سوف يؤثر على الأسلوب الذي تتعرض له هذه الأماكن للإشعاع الشمسي أو الرياح السائدة بكل منطقة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة بطريق غير مباشر حيث أوضحت أن مريم انتبذت مكاناً شرقياً من حيث تطلع الأنوار في الصباح، وكما نعرف الآن فإنه ينصح بالتعرض للشمس عند طلوعها قبل أن ترتفع في السماء وتشتد أشعتها لما في هذا التعرض من فوائد صحية جمة⁽²⁾.

لقد أراد القرآن الكريم أن ينبه إلى أهمية وعلاقة التجمعات العمرانية أو المباني بالبيئة، سواء كان ذلك في أسلوب اختيار أماكنها أو في علاقتها بالجهات الأصلية، وهي أشياء توضح اهتمام الإسلام بالبعد البيئي عند إقامة التجمعات العمرانية.

02-1-2- أهمية الظلال كأحد وسائل تحقيق الراحة الحرارية:

إن نماذج الآيات القرآنية، تؤكد أن القرآن الكريم قد أوضح أهمية أخذ العوامل البيئية في الاعتبار عند تصميم المباني أو على مستوى التجمعات العمرانية، وهو ما يعني أن أخذ البعد البيئي في الاعتبار يعتبر من ضوابط العمران والبنيان التي أكد عليها القرآن الكريم.

(1) - سورة مريم: الآية 16.

(2) - يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، المرجع السابق، ص 39-43.

ورجوعا الى ما أشرنا إليه سابقا أن الهدف الأساسي لعلوم التصميم البيئي، هو تحقيق الراحة الحرارية في المباني أو في الفراغات الخارجية، وتوجد وسائل وإستراتيجيات تصميمية متعددة لتحقيق هذا الهدف، ومن أهم هذه الوسائل وأنجحها توفير الظلال.

وبدراسة الآيات القرآنية التي تحدثت عن الظلال، نجد أن القرآن الكريم ينهج نهجاً رائعاً في لفت النظر إلى أهمية الظلال، ففي البداية نرى أن الله يلفت نظر عباده إلى الظل كظاهرة طبيعية مشاهدة، لها خصائص معينة، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾⁽¹⁾.

إن الآية الكريمة توضح بعض خصائص الظل في الامتداد والانقباض، وعلاقة هذا بانخفاض الشمس أو ارتفاعها في السماء على مدار اليوم، إن مراد الآية الكريمة لفت الأنظار إلى ظاهرة الظلال كظاهرة طبيعية تستحق التدبر والدراسة. والظل في اللغة نقيض الضح (بالكسر)، أو هو الفيء، أو هو بالغداة والفيء بالعشي، ومكان ظليل ذو ظل، والظلة شيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد، والظلال والمظلة (بالكسر والفتح) الكبير من الأخبية، والظليلة مستنقع الماء في أسفل مسيل الوادي والروضة الكثيرة الحرجات، والظلل؛ الماء تحت الشجر لا تصيبه الشمس. وفي معجم الوجيز؛ الظل هو ضوء الشمس إذا استترت عنك بحاجز، والظليل ذو الظل، ويقال: ظل ظليل أي دائم.

وفي آية أخرى يوضح القرآن أن الظلال هي إحدى نعم الله سبحانه وتعالى للبشر، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾.

⁽¹⁾ -سورة الفرقان: الآية 45 - 46

⁽²⁾ -سورة النحل: الآية 81.

أورد الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة ما يلي: "لما كانت بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم إلى الظل كبيرة، فقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن الظلال إحدى نعمه التي من بها على بني البشر، فالله سبحانه وتعالى قد خلق للبشر الأشجار التي توفر الظلال كما جعل من الجبال مواضع للسكنى كالكهوف - كما في كهف أهل الكهف- يلجأ إليها الإنسان طلباً للظل والحماية، كما ألهمهم اتخاذ الأبنية حماية لهم من الحر والبرد وطلباً للظل". أما الإمام ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾، فقد أورد في تفسير الآية الكريمة ما يلي: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ قال قتادة: يعني الشجر، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ أي حصوناً ومعاقل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ كالدرع من الحديد المصفح والزرذ وغير ذلك، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذه السورة تسمى سورة النعم. وقال عطاء الخراساني: إنما أنزل القرآن على قدر معرفة العرب، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وما جعل من السهل أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب الجبال، ألا ترى في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ وما جعل لهم من غير ذلك أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ وما بقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر.

ثم تأتي آية كريمة أخرى، لتوضح بأسلوب واضح مباشر أهمية الظلال من ناحية توفير الراحة الحرارية، لأن الظل لا يستوى والحر، فيقول جل في علاه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾⁽²⁾، إن الآية الكريمة

⁽¹⁾ - ابن كثير (الحافظ عماد الدين) تفسير القرآن الكريم، المجلد الثاني، مؤسسة المعارف، بيروت لبنان، 2003،

ص: 755-756.

⁽²⁾ - سورة فاطر: الآية 19 - 21

تؤكد وتنبه على حقيقة يلمسها جميع البشر، حيث يشعرون بالفرق الكبير بين الأماكن المظلة والأماكن المعرضة للشمس والحر.

وفي آية قرآنية أخرى يتم التنبيه على الأهمية القصوى للظلال، لدرجة أنها تصبح إحدى المتع التي أعدها الله لعباده الصالحين بالجنة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾⁽¹⁾

قال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر⁽²⁾.

وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. وفي الصحيحين أيضاً، من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها"⁽³⁾.

ومن اللافت للنظر أن الآية الكريمة قد ربطت ما بين الظل الدائم ووجود الماء الجاري، وهو ما يؤدي إلى زيادة التقليل في درجات الحرارة وهو ما أثبتته العديد من التجارب العلمية الحديثة. لقد أعطت الآية الكريمة نموذجاً مثالياً للتصميم البيئي حيث الجمع بين الظلال والماء، وهو ما يفسر حرص المسلمين الأوائل على وجود النوافير والبحيرات المائية داخل أفنية المباني والبيوت الإسلامية، وفي الحدائق الخارجية المحيطة بها، يهدف خفض درجات الحرارة، إلى جانب تحقيق العامل الجمالي أيضاً⁽⁴⁾.

(1) -سورة الواقعة: الآية 27 - 31

(2) -ابن كثير، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 368-369.

(3) -ابن كثير، نفسه.

(4) - يحيى وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، المرجع السابق، ص 39-43

إن حرص القرآن الكريم على لفت الأنظار إلى أهمية الظلال في عمليات التصميم البيئي، له شقان: الأول منهما يؤكد على أهمية العلاقة بين العوامل البيئية والعمران والبنيان الإسلامي، والثاني يوضح أن هذا التأكيد والحرص على أهمية الظلال، يتفق مع القياسات العلمية الحديثة التي توضح أثر توفير الظلال في خفض درجات الحرارة داخل المباني والفراغات الخارجية المكشوفة⁽¹⁾.

02-1-3- فكرة التصميم البيئي في القرآن:

إن المتمعن في آيات القرآن الكريم التي تشير الى التصميم والعموان، يلحظ انها تشير أهمية البعد البيئي في العمران والبنيان، فهناك من الأمثلة المهمة التي توضح أحد جوانب الفكر البيئي في التصميم المعماري، ونقصد هنا تحديداً الوصف الوارد بسورة الكهف لعلاقة حركة الشمس بالكهف الذي لجأ إليه الفتيّة المؤمنون، فيصف لنا سبحانه وتعالى هذه العلاقة في قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾⁽²⁾.

يقول ابن كثير رحمه الله في شرح الآية الكريمة: "إن هذا دليل على أن باب هذا الكهف المذكور كان من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾، أي يتقلص الفياء يمنا كما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة ﴿تَزَاوَرُ﴾، أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾، أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق، فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية المشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة -يقصد الجنوب- لما

(1)- يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، نفسه.

(2)- سورة الكهف : الآية 17

دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالًا، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تنزل فيه إلى الغروب، فتعين ما ذكرناه والله الحمد⁽¹⁾.

وقال مالك عن زيد بن أسلم: تميل ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾، أي في متسع منه داخلا بحيث لا تصيبهم، إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم، قاله ابن عباس: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والرياح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية الكريمة: "للمفسرين في تفسير هذه الآية قولان: الأول؛ أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحًا واسعًا في ظل جميع نهارهم، ولا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها، لأن الله حببها عنهم. والثاني: أن باب الكهف كان مفتوحًا جهة الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره"⁽²⁾.

إن الشاهد من الآية الكريمة السابقة أنها تلفت النظر إلى علاقة حركة الشمس بكهف الفتية المؤمنين، وهي بذلك تلفت النظر بطريقة غير مباشرة إلى أهمية دراسة العلاقة بين توجيه المبنى والإشعاع الشمسي الواصل إليه، لما في ذلك من تأثير كبير على تعرض واجهات المباني من الخارج لهذا الإشعاع على مدار العام، وهو ما يؤثر على فراغات المبنى من الداخل عن طريق دخول الإشعاع الشمسي من فتحات المبنى الخارجية.

لقد أوضح المفسرون أهمية توجيه فتحة الكهف، بحيث لا يتعرض من بداخله للإشعاع الشمسي المباشر، بل يكون في الظل أغلب الوقت، وهذا الهدف هو أحد أهداف عملية التصميم البيئي خاصة في المناطق الحارة والتي تركز على إستراتيجيتين أساسيتين بالنسبة إلى علاقة المبنى بالإشعاع الشمسي وهما: في الصيف: تقليل التعرض

(1) - يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، المرجع السابق، ص 39-43

(2) - انظر تفسير الآية: 17 من سورة الكهف في كتاب "فتح القدير"، للإمام الشوكاني.

للإشعاع الشمسي. وفي الشتاء: العمل على زيادة اكتساب الإشعاع الشمسي. وفي دراسة ميدانية للمؤلف على أحد الكهوف الموجودة في الأردن بمنطقة تسمى "الرقيم"، تقع على بعد حوالي 13 كم جنوب شرق العاصمة الأردنية عمان، رجح أن هذا هو الكهف الذي ورد ذكره في سورة الكهف، لوجود العديد من الأدلة التاريخية والأثرية إلى جانب إثبات المؤلف لتطابق علاقة حركة الشمس مع هذا الكهف، كما ورد في الآية السابعة عشرة من سورة الكهف، وأن فتحة باب الكهف موجهة تمامًا إلى جهة الجنوب الغربي⁽¹⁾.

إن نماذج الآيات القرآنية التي أوردناها في هذا المقال، تؤكد أن القرآن الكريم قد أوضح أهمية أخذ العوامل البيئية في الاعتبار عند تصميم المباني أو على مستوى التجمعات العمرانية، وهو ما يعني أن أخذ البعد البيئي في الاعتبار، يعتبر من ضوابط العمران والبنين التي أكد عليها القرآن الكريم.

إن هذا الضابط الذي ألمح إليه القرآن الكريم، يجب أن يؤخذ في اعتبار القائمين على تعمير المدن والمجتمعات العمرانية في الدول الإسلامية، بحيث لا يكون الاعتماد فقط على الوسائل والتقنيات الحديثة كأجهزة التكييف وما شابه، لما لها من أضرار صحية إلى جانب أعبائها الاقتصادية الكبيرة التي ربما تتفق مع الظروف الحالية لبعض المجتمعات العربية، ولكنها من جانب آخر لا تتفق مع الظروف الاقتصادية السائدة في الكثير من المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى⁽²⁾.

02-2- اثر العوامل البيئية في اختيار العناصر والمعالجات التصميمية:

لقد كان للظروف القاسية التي تطبع الصحراء الكبرى عامة وصحراء الجزائر خاصة أثرها البالغ على الكائنات الحية ومنها الانسان وهو ما كان له دور كبير في الاهتداء إلى بعض الحلول والمعالجات التقليدية التي مكنت الإنسان من التأقلم في

(1)- يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، المرجع السابق، ص 39-43
(2)- يحي وزيري، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، نفسه.

وسطه البيئي معتمدا في ذلك على الموجودات البيئية المحيطة به حيث ساعد ذلك على إيجاد نمط خاص في العمارة والعمران تتميز به مختلف أقاليم الصحراء عن غيرها من المناطق الواقعة إلى شمالها أو جنوبها.

فترى بعض الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع⁽¹⁾ بأن تقليل غيظ الحرارة دعا الناس للجوء إلى مجموعة من الحلول والمعالجات العملية المناسبة التي توفر لهم سبل الراحة التي يبحثون عنها، منها إطالة جدران البيوت الخارجية وتغطية دروب وأزقة القصر بالأقباة أو بواسطة خشب النخيل أو بناء ما يعرف بالممرات المسقوفة⁽²⁾ التي تربط بين دارين أو جدارين وهي ظاهرة عرفت أيضا في بعض المدن الإسلامية كسقيفة رضوان في القاهرة كل ذلك ليتمكن من الحصول على نسبة عالية من الظل، تسمح للسائر عبر دروبه من التنقل من حي إلى آخر دون أن يحس بأشعة الشمس اللافتة، وزودت بأفنية يكمن دورها ليلا في إعادة إشعاع كميات الطاقة الشمسية التي اختزنتها طوال النهار إلى السماء مرة أخرى ليتم تخزين الهواء البارد والاستفادة منه في اليوم الموالي.

وقد شمل تأثير البيئة في اختيار العناصر والمعالجات التصميمية في العمارة والعمران بالمواطن الصحراوية الحارة، مواد البناء المستعملة في عملية التشييد، حيث تظهر المباني في مجملها وهي مشيدة بمواد موحدة من ذات البيئة المحلية والتي توجد بكثرة وتتمثل في التربة الطينية والحجارة والخشب⁽³⁾.

(1) - علي حملاوي، (البيئة الصحراوية وأثرها على العمارة والعمران)، آثار (عدد خاص)، العدد 7، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر 2008، ص 61.

(2) - تعرف في بعض المدن الإسلامية بالساباط مثل الممرات المسقوفة التي لوحظت في قصر اصفهان، والتي لوحظت أيضا بين مسجد قرطبة والقصر المجاور له، وكذلك في جامع القصبية باشبيلية، وجامع الكتبية بمراكش. - للإطلاع أكثر انظر: السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والإسلام، القسم 02،

دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1992، ص 344.

(3) - علي حملاوي، مرجع سابق، ص 61.

وعلى هذا الأساس أخذ البنّاءون بهذه الأقاليم الحارة جملة من التدابير العملية التي سهروا على تنفيذها من أجل تسخير البيئة وإمكانياتها لهم، وذلك ليتمكنوا من العيش في وسطها، كاستغلال العناصر الموجودة بها، وابتكارهم لبعض الحلول المعمارية التي توفر لهم سبل الراحة ومن خلالها يتم الوقوف على أهم المفردات التصميمية وذلك بهدف تقليل تعرض النسيج العمراني للظروف المناخية الخارجية، ومنها الأفنية الداخلية والساحات العامة والنوافذ والفتحات للتهوية وكذلك الأسطح المستوية وارتفاع جدرانها المحيطة بالبنية.

02-2-1. عناصر البناء المتاحة:

تعتبر مواد البناء والتشييد من العوامل الهامة التي تشترك مع العوامل البيئية الأخرى على تأكيد قدرة الأبنية في الاحتفاظ بالحرارة أو منع اكتسابها من البيئة المحلية المحيطة. ففي هذه المواد الانشائية من الخواص الحرارية التي تعوق أو تؤخر وصول الحرارة من الخارج إلى الداخل وهذا يعتمد على بنية مكوناتها الأصلية وسمك صناعة بنيانها المتقن ، بالإضافة إلى جمالية الفن في عناصرها وشكلها وملامس سطحها واللون الذي يتوافق مع طبيعة بيئتها.

فالسطح الخشن له من الخصائص التي تساعد على رد جزء من الأشعة الحرارية الساقطة بفعل أشعة الشمس والجزء الآخر يمتص داخل المادة. مثلما للصقل الاسطح من الخصائص التي تسهم في صلابة السطح وتمنع تسرب المياه حين تساقط الامطار، ويكون المبنى ايضا ذو خصوصية في صد لفح اشعة حرارة الشمس حينما يزين المبنى بألوان طبيعية تعكس اثر عامل حرارة الشمس.

ولعبت مواد البناء المحلية دوراً أساسياً وبارزاً في عمران وعمارة الأقليم بصفة عامة وكان ذلك نتيجة لوفرته وسهولة الحصول عليها من مطامرها التي يزرع بها الأقليم وقد عمل الناس بها وفضلوها على غيرها في غالب الأحيان نظراً لوفرته وسهولة

الحصول عليها، وتوافقا مع الدواعي المناخية التي تطلبت ذلك وكذلك الظروف الاجتماعية المتباينة بين أطراف ومستويات الناس كسبب آخر، ففي هذا الصدد يشير ابن خلدون إلى أن الاختلاف في احوال البناء ((... إنما يكون بسبب الاختلاف في المدن على حسب ما يتعارف ويصطلح الناس عليه ويناسب مزاج هوائهم وتباين احوالهم في الغنى والفقير . فالأمراء ومن في معانهم يتخذون القصور والمصانع العظيمة الساحلة المشتملة على عدد من البيوت والغرف لكثرة الولد وكثرة التابع والحاشية. وبينون الجدار بالحجارة ويلحمون بينها بالكس وبيالغون في التجديد والتنسيق وتزيين الجدران بالنقش على الجص والصبغة إظهارا للبسطة بالعناية في شأن المأوى وهناك من يقتصر على بناء سكن لنفسه وولده ولا ينبغي ما وراء ذلك لقصور حاله...))⁽¹⁾.

وتتمثل هذه العناصر الانشائية المؤثرة على العمران المحلي في مواد البناء المختلفة التي تزخر بها نواح عديدة من الاقليم ، وقد استغلت هذه المواد منذ أن استقر الانسان بالمنطقة وياشر في اعمارها ، فمنها من كان الانسان سبب في وجودها كالمواد المستغلة من شجر النخيل ومنها ما وجدها متاحة فجلبها من مطامرها او من محاجرها او الاماكن التي نمت او توضع فيه كالحجارة والأشجار وأنواع التربة وغيرها. وتم استغلاله هذه المواد بشكل كبير في تنفيذ جميع أشكال وأنواع العمائر التقليدية القديمة إلى جانب مراحل وأساليب بنائها، ويعود سبب ذلك إلى بيئية ووفرة هذه المواد بالمنطقة وبنية تركيبها إلى جانب الخصوصية التي تحققها حين الأخذ بها تماشيا كما اشرنا مع الظروف المناخية التي تميز المنطقة بطابع خاص، وذلك ما جعل اختيارها من قبل الناس بشكل تقليدي رتيب ينجر عنه الوحدة في مواد الانشاء العمراني، كما كان لها الاثر البليغ كذلك في فكر البناء من خلال تعامله مع جزئياتها كمواد خام اساسية وضرورية لصناعة العمران بالإقليم ، و تتمثل على العموم هذه المواد الانشائية كما ذكرنا سابقاً في الطين والجير والخشب والحجارة.

(1)- ابن خلدون(عبد الرحمن): المقدمة مصدر سابق، ص510-511.

02-1-1-2-1- الطين:

وتعتبر أحد العناصر الرئيسية والهامة لتشييد العماثر القديمة، فمنه يصنع اللبن والطوب المجفف وتبليط و تلبيس المباني ،وهو مؤنة البناء ، ومادة التشطيب والتلبيس.

وتأتي مادة الطين في المرتبة الأولى من ضمن مواد البناء الأخرى ويعود ذلك إلى هذه المادة نفسها حيث توجد بوفرة وبألوان مختلفة مثلما هي سهلة التشكيل والإتقان والتفنن في الاستخراج ، فهي كما يقول حسن فتحي:"وان كانت تفرض في تشييد الجدران أو السقوف أحجاماً ونسباً عامة ، فإنها بالمقابل تعطي حرية كبيرة للمهندس المعماري في تشكيل الفراغ عبر البناء واختراع أحجام ونسب جديدة تعيد الاعتبار للمقياس الإنساني الذي هو في النهاية العامل الرئيسي الذي يفرض أن يحدد المادة وكيفية استخدامها ، هذا فضلا عن العنصر الجمالي الذي تتميز به هذه المادة بالذات⁽¹⁾.

وكنتيجة لذلك كان انتشار استعمال الطين في مختلف البلدان والأمصار وفي البوادي والاسقاع بشكل كبير وعلى نطاق واسع لكونها تتلاءم والظروف الاقتصادية والمناخية في كل زمان ومكان. فنجد ان الشعوب القديمة قد جسدت فنونها بأشكال مختلفة وبديعة منها الاكواخ التي شيدها خلال العصر الحجري الوسيط وهي مغطاة بأغصان الاشجار والطين⁽²⁾.

ولما كانت الطين سهلة الاستعمال والتشكيل فان استغلالها قد شمل مختلف المجالات وذلك مثلا في بناء الجدران وتغطية السقوف والقباب وفي عمليات التبليط والتلميط والقولبة وفي تحضير عجينة البناء بإضافة عناصر أخرى وتحول في مكوناتها الفيزيائية

⁽¹⁾ - Fathi(Hassan) : Construire avec le Peuple,Paris, Sindibad,collection Hommes et Sociétés, édition 2éme ,traduit de l anglais par Yana Kormel 1970, p36

⁽²⁾ - خزام(عهد عفيف): تاريخ العمارة الطينية في سوريا، منطقة القلمون نموذجا، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، الرباط، جامعة محمد الخامس،كلية الآداب والعلوم والإنسانية ص 17-18.

لضمان استقرار المادة عبر خلطها بمواد نباتية او معدنية، يساعد على متانة وصلابة المادة⁽¹⁾.

وتكمن عملية التمليط بالطين التي يسميها ابن الرامي بالتلبيس، في تغطية الجدران بطبقة من الملاط، يسهم ذلك في تقويتها وحمايتها من الأمطار ويوفر سطحاً أملساً للجدران يمكن زخرفته وتزيينه اذا ما رغب في ذلك⁽²⁾.

وقد كان لتوفر هذه المواد البنائية وسهولة الحصول عليها وتلاؤمها مع مناخ المنطقة، أثره المباشر في شيوع استخدامها، حيث أن التربة الطينية أكثر مواد البناء توفراً في بلاد الواحات الصحراوية وكذلك لكونها تتوافق وطبيعة المناخ بها فقد كانت هي المادة الإنشائية الرئيسية منذ آلاف السنين⁽³⁾، ولعل من ابرز أمثلة ذلك قسبة القصر الكبير بوسط عين صالح وحي أغرم ومسجده العتيق ب اقسطن.

ومن خصائص مادة الطين أنها تميزت بارتباطها بالإنسان منذ استقراره مع حلول العصر الحجري الحديث فضلاً عن سهولة استعمالها في صناعة الطوب وتشيد العمائر، وذلك بعد خلطها مع الرمل الناعم البعيد عن مياه الرشح والخالي من الأملاح وذلك وقاية من حدوث الرشح بالطوب Cracks⁽⁴⁾.

وتحضر هذه المادة بطريقة سهلة حيث يقوم الحرفي بعد جلبها من مطامرها بتنقيتها من الحصى ثم تخلط مع الرمال بنسب تقريبية ويضاف إليها التبن من بقايا زرع الحبوب ومنها القمح والشعير والخرطان، وهو مصدر عيش حال أهل هذه البلاد، وذلك ليزيدها تماسكاً وصلابةً، ثم تترك في مدد من الأيام لتزداد تحللاً، وبعد ذلك تصبح جاهزة لتحول إلى طوب ذي حجم موحد بعد صبه في قوالب معدة لذلك ، أو

(1) - Bazzana(André) : L'architecture de terre au moyen-âge, considérations générales et exemples andalous, Colloque International sur Architectures de terre en Méditerranée, Histoire et perspectives 1996,pp.178-179.

(2) - ابن الرامي، الإعلان باحكام البنين، المرجع السابق، ص 208-209.

(3) - سعد عبد الكريم شهاب، بلدة القصر وآثارها الإسلامية، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة

1421هـ/ 2001م، ص 42

(4) - علي لبيب محمد، تأصيل القيم المعمارية الإسلامية في عمارة الصحراء بمصر، رسالة ماجستير غير

منشورة، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة 1987، ص 118

تكون بأحجام متقاربة وذلك بتحويلها بواسطة اليدين لتأخذ شكلاً ذو ثلاث أوجه (وجه قاعدي . ووجهان جانبيان)، و يترك الطوب في كلا الحالتين أياما ليجف حسب طبيعة حرارة الشمس الصيفية أو الشتوية، ثم يجمع بعد ذلك ويستخدم في البناء (انظر اللوحة رقم: 04/أ).

وقد بدا واضحا أن الطين هي أفضل الخامات الطبيعية التي تتناسب ومناخ بلدان العالم الإسلامي عامة وبلدان الصحراء الإفريقية على وجه الخصوص حسبما بينته لنا دراسات متأخرة، فقد قام بعض الباحثين في هذا المجال⁽¹⁾ بالعديد من التجارب لتحديد الفترة الزمنية التي تستغرقها الحرارة للانتقال إلى الداخل مستخدمين في ذلك أجهزة قياس درجة الحرارة Globe Thermometer وتمت بواسطته قياس درجة حرارة السطح الداخلية والخارجية وكانت النتائج كالتالي:

الطوب اللبن 50سم حوالي 20 ساعة

الطوب الحجري 60سم حوالي من 12 إلى 16 ساعة

الخرسانة المسلحة 01 متر و50سم حوالي من 04 إلى 05 ساعات

وتكشف هذه الأرقام عن طول الفترة الزمنية التي تستغرقها الحرارة للمرور خلال الطوب اللبن أو الحجر الجيري وهذا ما يوضح لنا بصفة جلية مدى الاحتفاظ بدرجة الحرارة منخفضة داخل الأبنية المشيدة بالطوب اللبن عكس الخرسانة المسلحة.

ومن خلال فحص نتيجة الاستجابة الحرارية للطين نجدها بحدود 48 ساعة بينما المواد الأخرى بحدود 14 ساعة، أي بمعنى أن الطين يعطي الفراغ استجابة للحرارة الخارجية قبل 48 ساعة بينما المواد السابقة تعطي استجابة بحدود 14 ساعة فقط⁽²⁾.

- الخواص الفيزيائية والكيميائية للطين

وتدخل الطين ضمن مجموعة الصخور الرسوبية ذات الذرات الدقيقة وتحتوي

هذه المادة على 50% من المواد الطينية أهمها الكاولين والكاسلين والميكا والرمل.

(1) - محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 386، 387.

(2) - محمد بن عبد الله بن صالح، الطين كمادة منظمة لانتقال الحرارة، بحث مقدم لكلية العمارة والتخطيط، قسم

العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، شعبان 1408هـ، ص 04، 08

ومن أهم الخصائص الفيزيائية لمادة الطين هو اختلاف ألوانها من بني واحمر و بني وبنفسجي وأصفر صاخب، إضافة إلى سهولة انكسارها وتشبعها بالمياه حيث يبلغ قطر جزيئاتها بـ 0,002% وتمتاز بضعف مقاومتها لحت الريح وكذلك للحرارة والبرودة كمادة عازلة.

وتتمثل المكونات الكيميائية التي تؤهلها لكي تكون صالحة للاستعمال نبينها في الجدول التالي⁽¹⁾:

اسم المادة	الرمز الكيميائي	النسبة
أكسيد السلس	Sio2	35% - 85%
الألمنيوم	AL2 O3	09% - 25%
المنغنيزيوم	Mgo	00% - 05%
أكسيد قلوي	K2O + N O2	01% - 05%
أكسيد الحديد	FC2 O3	03% - 09%
أكسيد الكالسيوم(الجير)	C0O	00% - 25%
أكسيد التيتان	Ti O2	0,3% - 02%
اندريد كبريتي	SO3	00% - 03%
ثاني أكسيد الكربون	CO2	00% - 13%
الماء	H2O	05% - 11%

ومن أشهر الصناعات القائمة على الطين فيما يخص العمارة التقليدية القديمة هي الطوب.

02-2-1-2- الطوب: (adobe باللاتينية)

(1) CONRAD (L),L évolution continentale post hercynienne du Sahara -
algérien(Saoura, erg chech ,tanzroufet, ahnet, mouidir)Edition de centre national
de la recherche scientifique, Paris 1862,P 31

استعملت هذه المادة بكثرة في العمائر القديمة في حضارة وادي الرافدين والمصريين القدامى⁽¹⁾، وفي وقت لاحق استعملها الرومان وشعوب الشرق الأوسط، ويعد المسجد النبوي من أوائل المباني الإسلامية التي استعمل في بناء حوائطه الطوب اللبن ومن بعده مختلف مباني العالم الإسلامي⁽²⁾، ولا زالت هذه المادة مستعملة إلى اليوم و خاصة في العمائر الصحراوية والمناطق الجنوبية التي تتميز بالحرارة وقلة التساقط مثل الصحراء الجزائرية التي منها أقاليم توات ، ذلك أن مادة الطوب تتلاءم وظروف الطقس القاسي حيث أن الطوب عازل حراري جيد وهذا ما يفسر سرّ اختيار المعماري له واستعماله في هذه المناطق الحارة، إضافة إلى هذا يعتبر الطوب سهل التصنيع والاستعمال في التشييد فهو مريح للوقت وللمال ولا يشكل الحرج أو التكديس بعد التهديم والانهيال، بل يسهل تدويره وإعادة استعماله مرة أخرى إذا ما دعت الحاجة لإعادة استغلاله.

وعرف استعمال هذه المادة في المغرب الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري حيث كانت صنعة يقات منها أحد الصناعات بالقيروان وكان قد صنع منه أثاثا في بيته⁽³⁾. ويعد الطوب بالأقاليم الصحراوية من أشهر الصناعات التي كانت تعتمد على الطين، وقد نفذت صناعته بتقنية خاصة تميزت بها هذه المناطق ولا سيما على مستوى أقاليم توات، حيث كانوا يفرغون التربة المناسبة (التربة الطينية الحمراء أو الزرقاء) داخل أحواض دائرية محفورة في الأرض ، ذات مقاسات مختلفة يبلغ متوسط قطرها (04متر) ويعمق (0,40م) تقريبا ، ويطلق على هذا الحوض (العجنة) ، بعد أن يقوم (العجان) بتنظيف التربة من الأحجار الكبيرة والشوائب ، ثم يعجن الطين بالماء حتى يصبح متجانساً ، ثم يأتي بالتربة النقية ويضع عليها الطين الجاهز للتصنيع ، وقد تضاف مادة التبن أو القش إلى كمية الطين لزيادة تماسك قوالب الطين (الطوب)، ثم

(1) - CARATINIR.R ,(construction et industrie du bâtiment) , Inbordas ecylopedie, n° 63 /69,technique et métiers, bordas,Paris, 1975, P 158

(2) - وزير ي يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، المرجع السابق، ص 106.

(3) - أبو العراب ابن احمد بن تميم التميمي، كتاب طبقات علماء افريقية، نشره الشيخ حمد ابن شنب بالمدرسة الثعالبية، الجزائر، 1914، ص 115.

يأتي بقالب من الخشب خاص بصنع الطوب ، فيملأه بالطين تماماً ثم يضغط عليه ويساوي سطحه ، ثم يرفع القالب فتنشك قوالب الطين في الأرض على شكل قطع متساوية ، ويكرر العملية بعد غمس القالب في التربة المليئة الماء وتنظيفه باستمرار لضمان تماسك الطين داخل القالب ، ثم يترك حتى يجف ويصبح جاهزاً للبناء ، (انظر اللوحة رقم: 04/أ وب وج).

ولهذا اللبن مقاسات مختلفة منها الصغير وهو ذو مقاس (0,20م × 0,12م) وارتفاع 0,8م ومنها الكبير والأكثر استخداماً يقدر بحوالي 0,30م × 0,15م وارتفاع 0,8م.

02-1-3- الخشب:

يعتبر الخشب من المواد الأولية الهامة والنادرة في معظم أراضي العالم الإسلامي⁽¹⁾، فقد حرص الصناع على استغلالها إلى أقصى حد ممكن بنوعيتها من خشب الأشجار ومن خشب النخيل.

فاستخدمت هذه المادة في عمل الأسقف المستوية، وفي إنشاء بعض القباب، ويرجع سبب استغلالها إلى الميزة التي تتوفر في مادة الخشب ذلك أنها مادة عازلة للحرارة ولا سيما حينما تستغل في الأسقف بالمناطق الحارة.

يعتبر الخشب من مواد البناء الأساسية في العمارة والعمران المحلي، ويعتمد في توفيره على اشجار الغابات المنتشرة محليا سواء كانت من اشجار الاكاسيا وشجر الأثل او من شجر النخيل التي تكون في الغالب بمناطق الواحات. واعتبارا لأهمية ذلك فيبدو أن الإنسان كان حريصا في اختيار المواد التي يستعملها في بناء مساكنه وتشبيد باقي منشآته المعمارية كي لا يخل بالتوازن البيئي.

ولقد حظي الخشب باهتمام سكان اقليم تيديكلت الخاصة منهم والعامه وعملوا به كغيرهم من القارين في مناطق الواحات فداوموا على غرسه وفلحه والاعتناء به ليكون المادة الخام التي تستغل بأنامل الحرفيين وذلك بعد تحويلها وتصنيعها بأساليب فنية بسيطة إلى تحف مختلفة في العمران.

(1) - وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، المرجع السابق، ص 108.

وبهذا يعد الخشب مادة مرغوبة في محيط الإنسان باعتباره مادة أولية متاحة وسهلة المنال حيث تمكنه من تحويلها إلى عناصر إنشائية تضاف إلى جملة العناصر المعمارية، وكذلك إلى توفير حاجياته من الأثاث داخل المسكن. ويعتبر خشب النخيل أكثر الأخشاب استعمالاً في مجال البناء بإقليم تيديكلت وهو مصنف إلى عدة أنواع حسب نوع الشجر و صلابته ومقاومته للعوامل الطبيعية وتوافقه مع المناخ حيث نجد استخدامه في تشييد السقوف والقباب والدعائم والعوارض والأبواب والنوافذ والسلالم وغيرها.

فمن نوع الخشب الكبير ما استغل كعوارض في البناء توضع بين حائطين لتحمل الخشب الصغير وباقي عناصر التسقيف ويطلق عليها "البغل"، وقد شاع استخدام هذه التقنية في جنوب بلاد المغرب الإسلامي ولا سيما منه مناطق الواحات وكان يطلق عليها مصطلح "الجائز" في العمارة المغربية والأندلسية، وجاء وصفها في كتاب الاعلان بإحكام البنيان، بان هذا النوع من تقنية التثقيب تكون غالباً كتلة من الخشب قطاعها مربع يمتد أفقياً من جانبي السقف لتحمل باقي مكونات السقف، وتستند هذه الجائزة في الغالب إلى ركائز وكعوب خشبية⁽¹⁾.

وباعتبار المناطق الصحراوية تمتاز بغاباتها النخيلية فقد لجأ صناع الخشب إلى استغلال شجر النخيل منذ سنين مبكرة، نظراً لميزتها التي تتناسب والبيئة المحلية، فهي تتناسب والمناخ الحار من حيث امتصاصه الحرارة بنسبة كبيرة إلى جانب قابليته لامتصاص أو فقدان ما به من رطوبة لمساميته، هذا فضلاً عن سهولة تشغيله وتشكيله سواء بالخرط أو الحفر إلى جانب ما يتمتع به من قوة وخفة ووزن.

واعتباراً لهذه الميزات وغيرها، فقد اختارها البناء في هذا الإقليم وجعلها من العناصر الهامة والمتممة لتشييد العمائر، وذلك تماشياً مع بنية مادة البناء وهي التربة الطينية التي تمتاز بالهشاشة وقلة الصلابة أمام فعل عاديات الزمن، حيث تحتاج إلى عناصر تدعيمية تزيد من بقاءها شامخة مع تداعيات الظروف البيئية، وذلكما جعل

(1) - السيد عبد العزيز سالم: بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، عدد 1-2، إسبانيا 1377هـ/1957م، ص 246-247..

البناء ينظر بعين الاعتبار إلى تلك الخصائص التي يمتاز بها الخشب من سهولة التصنيع وخفة الوزن وعزلة لتسرب الحرارة وغيرها من الخصائص.

ولتحقيق الغرض استغل المعماريون في هذا الإقليم هذه المادة المحلية المتوفرة بالإقليم استغلالاً واسعاً منها وقوداً للنار وعصياً للاتكاء ودعائماً للحيطان وأعمدةً وأوتاداً للخيام كما استغلت أيضاً كأوتار للتسقيف، وتحديد الفتحات ووضع الأحكام وسلالماً للصعود والنزول من أسطح المنازل، إضافة إلى صناعة الأبواب والكراسي والنوافذ والخزائن. ويشير ابن خلدون إلى أهمية الخشب في حياة الناس حيث يقول: (... فهو يتخذ كوقود للنار ودعائم لما يخشى ميله من الأثقال، ويتخذ كأوتاد وأعمدة لخيام البدو الرحل وأما أهل الحضر فيستخدمونه في تسقيف بيوتهم ولإغلاق أبوابهم...)⁽¹⁾

ويعتمد في انجاز هذه الصنائع على النجارة التي هي من ضرورات العمران ومادتها الخشب ووسيلة الإعداد، حسب وصف العلامة ابن خلدون، فصاحبها يحتاج إلى تفصيل الخشب وإعداده حتى يصير في الشكل المطلوب والمخصوص بفضل أنامل النجار حيث يعتبر العنصر البارز والهام في صناعة العمران⁽²⁾.

ويظهر أن البناء في منطقة الصحراء استغل هذه المادة في عمارته منذ سنين طويلة وذلك في إنتاجه لعوارض التسقيف من الخشب والأبواب الخشبية والمقافل اليدوية المصنوعة من الخشب⁽³⁾

ونجد الصناعة الخشبية في حدود إقليم تيديكلت لا تختلف عن مثيلاتها في حدود صحراء الواحات، فقد عمد الفنان في هذه الديار على استغلال شجرة النخلة بأكملها فأنتج منها الأعمدة والأوتار والدعامات الخشبية والأبواب والنوافذ والخزائن، وتم ذلك وفق مقاييس محددة مما كان له الأثر في تحديد مقاسات المباني القديمة من غرف البيوت أو أروقة المساجد والمدارس القرآنية أو الأزقة والممرات المغطاة حيث لا تزال الآثار المادية تشهد على ذلك في المباني التي عايناها بالإقليم (انظر اللوحة رقم: 05).

(1) - ابن خلدون، العبر، ص 730.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ص 493 - 495.

(3) - ODAR(c), L Oasis Moderne, Essais Urbanismes Saharien maison de livre, Alger, 1954, P 61.

ويتم اختيار الخشب لتصنيعه وإعداده للاستغلال في تشييد العمار من بين النخيل التي تجاوزت ستة أمتار أو التي عمرت في أرضها وشهقت في طولها وكبرت في جذعها وقل إنتاجها، وصعب الصعود إليها، إضافة إلى نخيل اللونة⁽¹⁾ وما لا يستفاد منه أو الساقط بسبب العوامل المناخية، فتخصص للاستعمال وتقطع إلى أنصاف وأطوال متساوية تتراوح بين (02 م إلى 05,2م)، وقطر يتراوح بين (0,10م إلى 0,15م)، ثم تعدل وتهذب جيداً وتترك في مكان عار معرضة لأشعة الشمس لعدة أيام تتجاوز الأسبوع في الفصول الحارة، وإلى أكثر من أسبوعين في الأشهر المعتدلة، حتى تزداد صلابة ومقاومة حينها توجه إلى الاستعمال التي خصصت إليه⁽²⁾.

وللنخيل في قصور ووحدات تيديكلت أنواع كثيرة تتباين في ما بينها حسب نوعية إنتاجها والبيئة التي تعيش فيها، ويبلغ عددها حسب الإحصائيات الأخيرة إلى ستة عشرة نوع، فمنها ما تميز بجودة ثمره كنخيل أفاز وتين ورقلية وتاقربوشت وأغرس وأحمرطان... الخ، ومنها ما تميز بقوة جريده وجذوعها الدكار⁽³⁾ وتقازة، وعليه يُعتمد بشكل كبير في إقامة وصناعة أسقف البناء التقليدي.

وكانوا يستخدمون في قطع جذوع النخل الفؤوس والأوتاد، ثم يزيلون بالمنجل الكرانيفوالليف، ويبقون على جذع النخلة فقط، ويتركونه حتى يجف، ثم يدهنونه بالصبر أو الحلتيت لحمايته من الحشرات، فإن كان الجذع كبيراً فإنهم يقسمونه إلى أنصاف رباعية أو سداسية أو ثمانية. وأهم مجالات الاستخدام:

- صناعة الأسقف: استخدموا في إنشائها أخشاب النخيل ومشتقاتها المختلفة كما تقدم، فقامت الجذوع بدور (الكمرات) الحاملة للأسقف، والتي تؤدي إلى توزيع الثقل على حوائط الارتكاز الجانبية، ووضعوا فوقها الجريد الذي قام بدور الأعصاب التي تنقل الأحمال من السقف وحتى الجذوع المجاورة عند نقطتي ارتكازها، ووضعوا فوق الجريد

(1) - هو النخل الذي ينمو تلقائياً من العلف الساقط.

(2) - SUTER(K), Etude sur la population et L habitat d une région du Sahara ; le touât, Revue geog alpine grenoble, T.XII,1953, P457.

(3) - ويقصد به فحول النخل بحيث يكون معدل الفحول في البستان الواحد في العادة لا يتعدى أكثر من اثنين.

الألياف و السعف والتبن ، ثم تغطى بطبقة من طين التي تقوم بدور بلاطة السقف الأساسية.

-بناء (آمنار): وقد اهتمدى النجارون في صناعة هذه العناصر نوعا خاصا من النخيل وهي من بين النخيل التي تتميز بالصلابة وقوة تحمل الأثقال الواقعة عليها ، وتقوم هذه الأعتاب بدورها في توزيع الثقل على حوائط الارتكاز الجانبية للفتحات والمداخل. -صنع مزاريب للأسطح:ويقصد بذلك بوسيلة صرف المياه من على السطح حيث اختار النجار لهذا العنصر أيضا نوعا من خشب النخيل لأعداده كقناة تقوم بالوظيفة المعدة لها خصيصا، فكان النجارون يقطعون الجذع إلى قطع مستقيمة يتراوح طول القطعة بين متر ونصف إلى مترين ، ثم يشقونها فلتتين، ثم يفرغونها ، فيتم بذلك الحصول على مزارب خشبي ذو قطاع هلالى ، ثم يثبتونه عند أقل منسوب السطح انخفاضاً لیساعد على تصريف المياه إلى خارج السطح.

02-1-2-4- الحجارة:

جمع حجر وهي من أهم المواد البنائية التي استعان بها الأقدمون في تشييد العماير المختلفة دينية كانت أو عسكرية أو مدنية. وكان استخدامه في العادة بسمك كبير، مما يوفر عزلا حراريا جيدا للفراغات الداخلية للمبنى. وبدأ استخدام الحجر في تشييد مختلف العماير الإسلامية مبكرا من خلال مباني العصر الأموي، مثلما ظهر في مسجد حماة وفي المسجد الكبير بقرطبة، وقد أصبح فيما بعد البناء بالحجر إحدى مميزات العصر المملوكي والعثماني أيضا⁽¹⁾. و استخدمت الحجارة في إقليم تيديكلت بنسب قليلة نظرا لبعدها عن المحاجر التي تجلب منها، من الجبال المتواجدة على أطراف الإقليم، وحينما تصل إلى موقع البناء يقوم البناؤ بإعدادها للبناء.

وعمد الناس في بناء عمائرهم إلى استخدام الحجارة الهشة والصلبة نظرا لوفرتهما بمختلف مناطق الإقليم، وهي من التقاليد المعمارية التي عمل بها سكان المناطق

(1)- وزيرى يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، المرجع السابق ص 108.

الصحراوية حيث ساعد ذلك وجود طبقات كلسيه تعود إلى الفترة الكريتاسية التي تمتد من منطقة وادي ميزاب إلى منطقة تيديكت، إضافة إلى منطقة بسكرة ووادي سوف ومنطقة وادي ريغ⁽¹⁾.

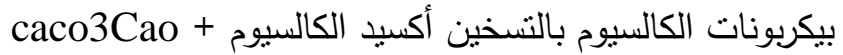
وقد شغلت الحجارة المعدة للبناء بعض أسس المباني تقاديا لانتشار الرطوبة عند وضع الطوب الطيني على الأرضية مباشرة ولا سيما في المباني التي تقع بجوار البساتين، وهو ما يلاحظ في قصور انغر والبركة والساهلة. ونجد استعمال الحجارة أيضا في ربط وتمتين وتثبيت الأبواب وعوارض خشب التسقيف، وركائز الصعود لقباب الأضرحة (اللوحة رقم 07/ج)، هذا فضلا عن استعمال الحجارة في ربط السواقي (اللوحة رقم 10/ج) والآبار والفقاقير وبناء القبور وتغطيتها.

02-2-1-5- الجير:

أ- الجير الحي (النورة الساخنة) :

وتعرف كيميائياً (بأكسيد الكالسيوم) (cao) وهي مادة صلبة بيضاء⁽²⁾ على شكل كتل مختلفة الأحجام من الحجر الجيري ، يتم فصله من الجير الناعم بعد عملية الحريق مباشرة ، ثم يعبأ في أكياس تزن نصف قنطار ، ويحفظ أكسيد الكالسيوم بعيداً عن الرطوبة وذلك لتعطشه الشديد للماء ، وخشية من تحوله إلى جير مطفاً.

ويمثل هذا النوع من الجير كيميائياً بالمعادلة الآتية:



يستخدم الجير الحي في طلاء الجدران من الداخل والخارج بعد اللياسة، أي كمادة بياض ،حيث يوضع داخل براميل، يضاف إليها الماء بحذرويتترك الجير مغموراً داخل الماء لمدة يوم أو يومين ثم يخلط ويضاف إليه كمية أخرى من الماء حتى يصبح سائلا خفيف القوام صالحا للطلاء.

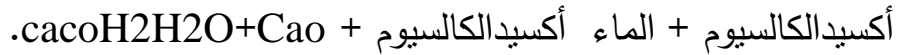
⁽¹⁾ - ANDRE(C), Reconnaissance géographique dans L'erg d'ou bain et la hamada

zeher (Fezzan), T. I. R. S, tom 6, 1950, pp 69 72

⁽²⁾ - إذا صب عليها الماء تنتفخ ثم تتفتت مكونة بذلك الجير المطفاً (cacoh2) (هيدروكسيد الكالسيوم) .

ب- الجير المطفأ (النورة الباردة)⁽¹⁾:

وتعرف بنورة البناء ، وكيميائياً بـ(هيدروكسيد الكالسيوم) (caco2) وهي في الأصل جير حي (أكسيد الكالسيوم) (cao) على شكل مسحوق ناعم ، يوضع في أحواض عميقة ، ثم يضاف إليها الماء فيؤدي إلى تفاعل شديد ينتج عنه كمية كبيرة من الحرارة ثم يترك هذا الجير حتى يبرد ، ثم يعبأ في أكياس وينقل إلى المواقع العمل، ويمثل هذا النوع كيميائياً بالمعادلة الآتية:



ويعتبر الجير من المواد اللاحمة التي تساعد على تماسك مكونات الملاط، وتضمن الترابط الصلب بين جزيئاته، وقد استعملت هذه المادة منذ القديم ، فبينت الحفريات المقامة بمصر ، أن الفراعنة استعملوها منذ أكثر من ستة آلاف سنة⁽²⁾.

يتم الحصول على المادة من محاجر خاصة وذلك باستعمال المعاول، ثم توجه إلى الأفران لتحرق وتطفأ وتصبح جاهزة للاستعمال في عملية الكساء والتلبيس المختلفة، حيث تخلط مع الرمل ويضاف إليها الماء وتترك في حوض التخمر لمدة من الأيام، ويصف لنا ابن خلدون هذه عملية إطفاء الجير قائلاً: (...يحل بالماء ويخمر أسبوعاً أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن إفراط النارية المفسدة للإلحام...)⁽³⁾.

وظهرت مادة الجير في بناء مختلف العمائر الصحراوية في مواضع مختلفة حيث نجدها في تشكيل ملاط الأسس أو الجدران، أو السقوف أو تستعمل لطلاء الجدران كالجير المطفأ الذي ظلّ منذ القدم يدخل في العوائد والتقاليد، حيث تطلى به المزارات الدينية من أضرحة ومقامات وقباب.

ونجد مثل هذه العادات في مختلف أقاليم الصحراء الجزائرية ومنها بالخصوص أقاليم توات الكبرى والتي منها تيديكلت الشرقية (انظر اللوحة رقم: 04/د ورقم: 07).

(1) - الجير هو الجص، فإذا خلط بالنورة فهو الجير وقيل الجيار هو النورة وحدها. انظر - ابن منظور، مصدر سابق، المجلد 04، ص 157.

(2) - MEUNIER. A, Technologie professionnelle de construction, Les matériaux de construction, édition foucher, Paris, 1970, p 57

(3) - ابن خلدون، العبر، (المقدمة) دار الكتاب اللبناني، بيروت 1967، ص 727.

ويرى بعض الباحثين أن هذه العملية تعد من الوسائل التي تساعد على تمتين المبنى⁽¹⁾، كما تعد تغطية الحوائط الطينية بالجص أنها طبقة عازلة بينها وبين المطر مثلما تعمل أيضا على تقوية الجدران وعزلها مما يقلل من عوامل التفسخ والانهيار⁽²⁾. فيظهر أن المادة المعدة للاستعمال تتمكن من التغلغل بين جزيئات المبنى وهو ما يعطيها ويزيدها صلابة وتماسكا وتمتينا.

كما يعتبر لونها الأبيض من العوامل الوقائية أيضا للمبنى، حيث يعكس هذا اللون إشعاعات الشمس المحرقة، ومن ثمة يقلل من نفوذ الحرارة إلى داخل المبنى.

2-2-02. الفناء الداخلي

عرف الفناء الداخلي على أنه⁽³⁾: (حوش داخلي أو منور يترك في وسط مسطح المبنى لإضاءة وتهوية وحدات المبنى الداخلية، وقد يكون المنور محاطا بوحدات المبنى من أربعة جوانب (منور مغلق)، أو من ثلاثة جوانب أو جانبين (منور مفتوح). ويقصد بالفناء غالبا⁽⁴⁾ - وجمعه أفنية وفنى - بأنه باحة أو ساحة ما اتسع أمام الدار أو القصر.

أما الصحن⁽⁵⁾ وجمعه صحن فيأتي بمعنى الفناء أيضا، وهو عبارة عن مساحة مكشوفة مسورة ويطلق على فناء المسجد.

ويعتبر الفناء الداخلي كأحد أهم الحلول والمعالجات المناخية الثابتة التي وجدت باستمرار في مختلف العمار الإسلامية سواء كانت مدنية أو دينية أو دفاعية أو تجارية، فقد كان الفناء يمثل في كل بيت أو مبنى معماري الفراغ الجوهرى الذي تنطلق منه العمارة وتنشأ حوله. فهو بمثابة وعاء يختزن به الهواء البارد أثناء ليالي

(1) - LIZINE. A, Notes sur la consolidations des monument historiques de Tunisie, Imprimerie officielle de la Tunisie, Tunis, 1953, p 8

(2) - وزيرى يحيى، مرجع سابق، ص 110.

(3) - نفسه، ص 111.

(4) - ابن منظور، مصدر سابق، المجلد 02، ص 240.

(5) - ابن منظور، مصدر سابق، المجلد 13، ص 244.

الصيف الحارة والهواء الدافئ في ليالي الشتاء الباردة، ويساعد على إمداد الغرف بالنور والهواء، كما يساعد على تلطيف الجو بداخلها عندما تشتد الحرارة الخارجية⁽¹⁾. وفي هذا الصدد أشارت أبحاثا إلى هذه الخاصية التي تميز بها المنزل الإسلامي في نشأته من فراغ أصبح في ما بعد عنصرا محوريا في المباني المعمارية سواء كانت بيتا أو قصرا أو كتلة معمارية، فقد كانت المباني تقوم حول هذا الفراغ المركزي الذي يؤلف فناء البيت أو يهوي غرف ملتصقة تطل أبوابها وفتحاتها عليه⁽²⁾. وتجدر الإشارة هنا أن نشير إلى فوائد جدّ هامة نجنيها من خلال استعمال هذا العنصر المعماري الهام في مختلف المباني:

- فهو يساعد على خفض درجة الحرارة وخلق جو مناسب لراحة الإنسان داخل المبنى.
- ومنها ما تعلق بصحن المسجد الذي يستغل في أوقات الحر في هذه المواطن الصحراوية ، زيادة عن دوره في احتواء المصلين عند امتلاء بيت الصلاة ولاسيما في أيام الأعياد والمناسبات، فتظهر لنا المخططات القديمة لمساجد المنطقة على احتواءها للصحن في مؤخرة المساجد دون وجود أروقة جانبية (انظر المخطط رقم:06).
- ومنها ما يرتبط أساسا بإيجاد الخصوصية داخل المنازل مع توفير الهدوء والبعد عن ضوضاء الشارع وفضول المارة والجيران باعتباره المتنفس لأهل الدار بكل حرية في حركاتهم وسكناتهم، و استغلاله في إعداد وظائف منزلية مختلفة.
- يحسن من البيئة المناخية الداخلية للفراغات المطلّة عليه.
- يقوم الفناء الداخلي بدور ميزان المعادلة المناخية، حيث يعتبر الفناء منظماً حرارياً يعمل على تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى فيقوم ليلا بإعادة إشعاع الطاقة الشمسية التي اختزنها طوال النهار في حوائطه وأرضيته إلى السماء مرة أخرى

(1) - علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، مرجع سابق، ص 246.

(2) - وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص 111.

في حين يتم تخزين الهواء البارد ليتم الاستفادة من برودة الفناء نهار اليوم الموالي⁽¹⁾ (انظر المخطط رقم: 02).

ويظهر أن أقاليم صحاري الواحات ومنها صحراء تيديكلت الشرقية، قد استفادت من هذا الاختلاف الحراري، فنفذ ذلك في وضع مخططات البيوت مع تماشيه والظروف المناخية، فظهرت لنا مخططات البيوت أنها مبنية حول فناء داخلي تطل عليه الغرف والسقائف من خلال فتحات ونوافذ ، ليتم من خلالها عملية المعادلة المناخية، فعندما يتعرض الفناء لأشعة الشمس يقل وزن الهواء الساخن ويرتفع إلى أعلى الفناء المفتوح، وفي هذه الحالة يسحب الهواء البارد من خلال الفتحات والنوافذ ليحل محل الهواء الساخن

وبهذه الكيفية فان دور الفناء يقلل من شدة الحرارة بالداخل قياسا مع حرارة السطح أو خارج المنازل، ويتضح هذا الدور من خلال الدراسات التي أقيمت على أفنية منازل في الصحاري المصرية، فبينت أن درجة حرارة الهواء داخل الأفنية أقل من درجة الهواء الخارجي صيفا كما توصلت إلى أنه توجد علاقة بين زيادة احتواء الفناء وكفاءته كمخزن للهواء البارد⁽²⁾.

3-2-02. السطح :

ويقصد به ذلك الفضاء الواسع والفسيح الذي يعوض الجزء السفلي من الأرضية المغطاة، ويصعد إليه بواسطة سلالم، تكمن وظيفته في استخدامه كمكان للراحة والنوم ولأغراض منزلية أخرى ويحتوى أحيانا على غرفة تستغل أثناء تغير الأحوال الجوية في فصل الصيف.

اهتدى إليه البناء في صناعته بهذا الشكل تماشيا مع الظروف والوسط البيئي المؤثر من حرارة وبرد وتساقط وهبوب رياح وأعراف اجتماعية وتشريعات إسلامية، وتم ذلك لأغراض مجملة في:

(1)- وزيرى يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص 111.

(2)- وزيرى يحيى، نفسه، ص 113.

- الحاجة إلى فضاء مفتوح على السماء للاستجمام فيه ليلاً بديلاً عن الغرف والقاعات.
- مكان لتجمع أفراد الأسرة واستراحتهم وللنوم في الأوقات الحارة تحت ظل السماء وبين ستر الجدران عن رؤى الغرباء والجيران.
- يتحول ليلاً أيضاً لأداء العبادات بالنسبة لأسطح المساجد

02-3- اثر العوامل البيئية في التجانس المعماري

يعد التجانس المعماري للمباني التقليدية القديمة في تديكلت الشرقية أحد الضوابط والمعايير الأساسية لإقامة هذه المباني، فلانكادنجد مبنى يخل بهذه المعايير الهامة ويمكن أن نحدد المظاهر الأساسية لذلك التجانس في العناصر التالية:

02-3-1- التجانس بين عناصر البيوت التقليدية.

إن اعتماد أهل الإقليم على عناصر البيئة المحيطة في استخراج مواد البناء، وعلى عاداتهم وتقاليدهم المستمدة من الشريعة الإسلامية في وضع مسقط البيوت ومخططاتها، وعلى أبناء المجتمع في أساليب بنائها، أحدثت تجانساً جميلاً بين وحدات البيت الواحد من جهة وبينه وبين البيوت الأخرى والممرات الرئيسة والأزقة المحيطة به من جهة ثانية، حيث يتجلى في هذا التجانس العلاقات الوظيفية بين العناصر الداخلية المكونة لأشكال وأحجام المسقط وهي تتمثل في:

02-3-1-1- مخطط البيت المحلي حيث نلاحظ أن مخطط البيت في هذه الديار مكرر أي أن بيوت العامة التقليدية تشابهت في مخططها العام وكأنّ معمارياً واحداً هو الذي صممها.

02-3-1-2- السقائف : فنلاحظ بأنّ تصميمها جاء بدوره موحدًا وبمقاسات متساوية نسبياً، حيث روعي في ذلك :

- دواعي الظروف المناخية، فصممت لهذا الغرض سقائف متعامدة بغرض تلاقي تيارات هوائية لإحداث نوعاً من الجو الملطف، ويمثل هذا النموذج سقيفة مدخل

الدار (سقيفة الباب) مع التي تتعامد معها وهي سقيفة الرحبة أي سقيفة صحن وسط الدار وتشكلان بذلك الحرف اللاتيني (t) - الحاجة الوظيفية، وهذا النموذج من السقائف تشكل لنا الغرف المحيطة بصحن وسط الدار بعضها مغطاة بسقف والأخرى مفتوحة على الفضاء الخارجي أي أنها صممت حسب الحاجة التي شيدت من أجلها. - دافع خصائص المواد الإنشائية، ونلاحظ في هذا الجانب ان الغرف جاءت جميعها بمقاسات متقاربة نسبياً حيث تحكم في ذلك خشب التسقيف التي تتطلب خصائصه التكوينية عدم تجاوز أطوال تتراوح بين (02م الى 2,5م)، لأن ذلك يقلل من عمر السقف لمدة زمنية أطول.

02-3-1-3-02 فناء مركزي داخلي: ونلاحظ ذلك في كافة التشكيلات المعمارية بقصور ووحدات الإقليم حيث نجدها تتوسط المبنى كما هو الشأن في مباني البيوت العامة، أو في مقدمة أو مؤخرة المبنى مثلما تلاحظ في مباني المساجد والمدارس القرآنية أو نجد الصحن على أحد الأطراف في المبنى وهذا ما نجده بصفة عامة في عمائر مختلف القصبات بهذه الديار. أما إلحاق عنصر الصحن بهذه الوحدات المعمارية فهو بلا شك للحاجة الملحة من جراء ظروف البيئة الصحراوية التي تتطلب مثل هذه الفضاء لاستغلاله في مختلف الأنشطة اليومية في حياة الإنسان، هذا فضلا عن تلطيف الجو وكمتمفس جديد لأهل البيت المسلم بديلا عن الوسط الخارجي.

02-4-1-3-02 السلم: فنلاحظ احتواء مختلف العمائر على هذا العنصر المعماري الهام كوسيلة للصعود إلى سطح المباني ليلا باعتبار السطح أحد الفضاءات البديلة عن الغرف الداخلية ولا سيما في الأوقات الحارة، ولذلك ما خلا بيت من بيوت المنطقة من سلم يؤدي إلى السطح وهو مبني من مادة محلية حيث تشترك فيه مادة التربة الطينية وخشب النخيل، ويأخذ السلم مكانه في أحد أطراف الصحن المركزي.

02-3-2- التجانس العام بين واجهات المباني بعناصرها الجمالية.

تعد الواجهات إحدى مظاهر التجانس بين المباني التقليدية في تيديكلت الشرقية، كما يعد التجانس العام بين واجهات المباني في هذه الديار أهم المصطلحات المعمارية والجمالية المؤثرة في تصميم المباني، و لهذه الواجهات أهمية كبرى وذلك في إبراز أهم أشكال وتكوينات العناصر المعمارية والجمالية المشتركة بين المباني . وتتمثل أهم المصطلحات المعمارية والجمالية المؤثرة في تصميم واجهات المباني في مداخل المباني وأشكال تنويج المباني وتبليطها.

02-3-2-1- المداخل البارزة في الواجهة:

وتعتبر المداخل الرئيسية للواجهات من أهم المصطلحات والعناصر المعمارية الهامة التي كان لها الدور الكبير في تميز الواجهات الرئيسية وتحديد واجهاتها، فقد تنوعت أشكال وأحجام هذه المداخل وذلك توازنا مع نوع المباني ووظائفها المنوط بها. فهناك من المداخل التقليدية السكنية التي نفذ تصميمها على شكل مستطيل وهذا النوع من المداخل هو الغالب والسائد في تصميم المداخل الرئيسية للمباني التقليدية السكنية بهذا الإقليم (انظر الشكل رقم: 05/ب).

وهناك نوع آخر من المداخل وهو ذو حجم كبير ينتهي علوه في الغالب بعقد نصف دائري ، تم تشييده من مادة محلية بحتة تتمثل في التربة الطينية والتربة الجيرية وأحيانا يستعمل الحجر والجير المحروق كما نجد بعض المداخل في حالات نادرة مفتوحة في أعلاها (انظر الشكل رقم: 09 + 10).

02-3-2-2- تنويج المباني:

وهي عبارة عن أشكال زخرفية وهندسية تنهى بها المباني وتزينها وتتمثل على العموم في [تيجان، قباب وقبيبات] و شرفات [أشكال مثلثات]. ونجد هذه أشكال الزخرفة في تنويج المباني سواء كانت ذات الأسوار المرتفعة أو في المباني الأقل ارتفاعاً، وتظهر الزخارف الهندسية بشكل بارز على مستوى المباني سواء كانت مدنية أو دينية أو عسكرية.

وتتكون أشكال الزخرفة في الغالب بتكرار وحدة زخرفيه هندسية معينة من مستوى أفقي واحد أو عدة مستويات وتتم بتكرار الشكل الهندسي الرباعي أو الثلاثي ويختلف تكوينها باختلاف الشكل واتجاهه. كما يظهر تكرار هذه الزخارف المفرغة باستمرار في الأجزاء العليا من المبنى حيث تظهر على هيئة وحدات متماثلة ومرتبطة بشكل هندسي (انظر الشكل رقم: 05). وأحيانا تزدان بمجموعة أخرى من الأشكال الهندسية المفرغة على هيئة شريط زخرفي مقلوب تتضمن مجموعة من العناصر المترابطة والمتماثلة يعطي ذلك كله شكلا هندسيا يزين المبنى ويميزه. وفي بعض المباني يضاف على تلك الأشكال الهندسية وحدة من الأشكال الهندسية تكون بمجملها الجزء العلوي، وتعد بمثابة تاج المبنى ونجد هذا النماذج بصفة عامة في مباني القصبات المحصنة (انظر اللوحة رقم: 09 والشكل رقم: 07).

ونسجل أيضا في هذا المجال وضمن تنويع المباني استعمال عنصر القبيبات بشكل تقليدي في تنويع المزارات الدينية المعروفة محليا بضريح القبة أو الروضة، فيلاحظ أن كافة هذه الروضات ينتهي علوها بقبة أو اثنتان صغيرتان متراكبتان تتوجا المزار (انظر اللوحة رقم: 08/ب، ج، د).

كما نجد هذا التقليد أيضا مكررا بين المباني السكنية حيث تنتهي بعضها بقبة تعلو كل ركن من الأركان الأربعة للمبنى السكني (انظر الشكل رقم: 07/أ، ب). ولهذا التقليد أيضا دورا هاما في التجانس العام بين واجهات المباني بعناصرها المعمارية.

02-3-2-3- طلاء المباني:

و يعتبر طلاء العماثر هو أحد العناصر البارزة في هذا المجال بخصوص التجانس العام لواجهات المباني بالإقليم وذلك من خلال ترك آثار جرّ أصابع الأيدي بشكل عمودي على المبنى حيث شملت هذه العملية نسبة كبيرة من العماثر والتي أعطت في ما بعد تجانسا معماريا وفنيا وذلك في تناسق الجانب الخارجي للمبنى من جهة وفي لمسة فنية مكررة على المنشآت المعمارية بمختلف أحجامها ووظائفها من جهة ثانية (انظر اللوحة رقم: 08/ 1، 2، 3).

كما كان لاستعمال مادة الجير والطين البيضاء دورا هو الآخر في تجانس الواجهات المعمارية وذلك في تبييض الواجهات أحيانا وفي تبييض المباني أحيانا أخرى. فكان استعمال مادة الجير كمظهر من مظاهر التجانس ممثلاً في اختياره إلى جانب مادة الطين في تبييض بعض المباني ولا سيما منشآت المزارع الدينية وذلك بشكلٍ دوري وزمني رتيب أي حين موعد مناسبة ذكرى وعدة الأولياء الصالحين (اللوحة رقم: 07).

02-4- اثر العوامل البيئية في تصميم وتنفيذ مخططات العمارة والعمران المحلي

لقد تميزت المدن الإسلامية المشيدة وخاصة تلك التي تقع في المناطق الحارة بالتشابه والتماثل في الخصائص التخطيطية والحلول البيئية المتبعة في تصميمها، حيث كان تخطيط المدينة يجري وفق مستويين⁽¹⁾: أحدهما التخطيط الواعي ، وكان منصبا على التخطيط العام للمدينة ويشمل أسوارها وأبوابها وشوارعها الرئيسية التي كانت تتجه إلى قلب المدينة حيث المسجد الجامع ودار الإمارة.

والمستوى الثاني يشمل الطرق الفرعية والمسكن المتكاثرة على مرّ الزمن، الذي هو محكوم بعامل العرف الاجتماعي والتخطيط والعمارة معا طبقا لظروف ما قد يتحدث من مبان.

ونظرا لوقوع معظم المدن الإسلامية في مناطق صحراوية حارة ، كما أشرنا سابقا، فقد لجأ المعمارون إلياتباع معالجات تخطيطية عدة بعد استيفاء شروط اختيار مواقع المدن، وذلك لمجابهة قسوة المناخ والظروف البيئية ، ونوجز ذلك في ما يلي:
-مراعاة الجوانب الصحية والأمنية من دفع المضار وجلب المنافع كالتحصين وجلب الماء الشروب.

إتباع الحل المتضام للمباني أي النظام المتضام للمباني

- تضييق الشوارع وتعرجها

- تسقيف الشوارع وبروز الواجهات

(1)- وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ، ص 93.

02-4-1- توفير الماء الشروب (طريقة استخراج الماء)

لقد كانت تغذية المدن الإسلامية بالمياه في مقدمة المرافق التي عني بها التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية، فلقد عمل الحكام قديما بتسهيل وصول الماء إلى التكوينات المعمارية المختلفة وارتبط ذلك بنظام تخطيط الشوارع والطرق.

وتشير بعض المصادر التراثية والآثار الباقية إشارات واضحة إلى نماذج عديدة رائعة لشبكات المياه التي كانت تغذي الكتل المعمارية في المدن الإسلامية، ومن أمثلة اهتمام المسلمين بهذا المرفق الهام من المرافق الاجتماعية في العمارة الإسلامية هو تلك الأعمال الجليلة التي قام به السلطان قلاوون في القاهرة وتتمثل في الآبار والسواقي المشيدة لتزويد العمائر المختلفة من المدارس ووحدها والبيمارستان ووحدهاته بماء الشرب⁽¹⁾ ونلاحظ استعمال هذا الأسلوب كثيرا في تخطيط عمران إقليم تيديكلت الشرقية مثلما تبينه (اللوحة رقم : 10 + 17).

فقد أنشئت المجموعات المعمارية شبكات تغذي وحدتها المختلفة بالماء من مصادر مختلفة، ولعل أبرزها الفقاقير التي ابتكرها المعماري بهذه المواطن الصحراوية من أقاليم توات الكبرى منذ أمد قديم، واستطاع الإنسان أن يستخرج الماء من باطن الأرض إلى سطحها بشكل غريب ، ولقد أشار إلى هذا الأسلوب في استخراج المياه العلامة ابن خلدون في تاريخه حينما قال: (...وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه... الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة... فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا... وهذه الغريبة موجودة في قصور توات...)⁽²⁾.
وأما نظام تخطيطها فكانت بنية سطح الأرض تتحكم فيه، حيث كان يتم من مستوى أعلى إلى مستوى أقل، ليسهل ذلك تدفق الماء على وجه الأرض.

(1) - وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة ، مرجع سابق، ص 103.

(2) - ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، طبعة 1959، المجلد 7، ص 118.

وابتكر الناس إلى جانب الفقارة بهذه الديار نظام الناعورة التي تحفر لها بئر خاصة وأنشئت لها سواقي خاصة تجري فيها المياه نحو المباني المعمارية وإلى الحدائق والبساتين.

ونجد بين المنازل آبارا للمياه حفرت لتزويد منازل الحي بماء الشرب، وغالبا ما تكون ملكا لفرد أو قبيلة أو من الآبار الموقوفة في سبيل الله.

ويجد بنا أن نشير في هذا الجانب إلى بعض مصادر المياه الشهيرة التي بعثت الحياة في المنطقة وجلبت الاستقرار بها على مدد من السنين، نذكر منها: فقارة بابكر التي تزود مياهها القصر الكبير وبساتينه ، وفقارة الاعاوات نسبة لقبيلة الاعاويين التي سكنت المنطقة منذ بداية الاستقرار بها، وخلفوا القصور والواحات ومصادر سقيها من الآبار والفقارات وذلك في قصور اقسطن والسهلة الشرقية والغربية... وفقارة هنو نسبة إلى قصور وواحات قرية هنو الحالية التي تقيم بها قبيلة يعود لها الفضل في إنشاء هذه الفقارة... وفقارة سيدي باسه نسبة إلى الولي الصالح سيدي باسه دفين قرية الساهلة الغربية حيث كانت تخرج مياهها بجانب قسبة ومزار الولي الصالح... وحاسي القسبة ويقع بين منازل القصر لكبير بعين صالح وهو مشترك بين أهالي الحي، وحاسي الزاوية ويقصد بذلك زاوية سيدي الحاج بلقاسم دفين قرية الزاوية بـ 03 كم شمال عين صالح، ويعتبر من الآبار الموقوفة للزاوية ويستفيد منه الناس جميعا.

وعلى العموم نشير أن قصور تيديكلت الشرقية اشتملت جميعها على الفقاقير والآبار ولا زال البعض منها تسري فيه الحياة ولا سيما الفقارة ومنها نذكر: فقارة مليانة إلى الشمال من قرية السهلة بعين صالح فمياهها تجري وتستغل في ريّ الواحات، وكذلك فقاقير منطقة انغر التي تمتاز بوفرة مياهها منذ القدم ولا زالت مصدراً لريّ الواحات.

02-4-2- إتياع الحل المتضام للمباني :

يقصد بإتياع الحل المتضام في جميع المدينة هو تقارب مباني المدينة بعضها من بعض بحيث تتكامل وتتراص في صفوف متلاصقة لمنع تعرض واجهاتها للعوامل الجوية مثل أشعة الشمس المباشرة والرياح المحملة بالرمال، التي تؤدي إلى رفع درجة

الحرارة داخل المباني، كما أن اختلاف ارتفاع المباني المتجاورة يؤدي إلى تظليل أجزاء كثيرة من أسقف هذه المباني وحمايتها من أشعة الشمس وما ينتج عنها من طاقة حرارية ضاغطة خلال ساعات النهار⁽¹⁾.

وقد أدى إتباع الحل المتضام في المدينة الإسلامية إلى اللجوء للشوارع الضيقة وتقليص مساحة الفراغات الخارجية المكشوفة، فحينما نقوم بمقارنة بسيطة للنسب المئوية للفراغات والمساحات الكلية لبعض المدن عبر التاريخ القديم، فبلا شك أن نتيجة نسبها تكون مختلفة، فقد تبين من خلال الدراسات أن نسبتها في المدينة الإسلامية حوالي 11%، وفي المدينة الإغريقية حوالي 27% وفي المدينة الرومانية 31%⁽²⁾.

ونلاحظ أن إتباع الحل المتضام قد يساعد إلى درجة كبيرة من التقليل من تأثيرات العوامل البيئية على الناس والأماكن والأرزاق، كما يسهل على العيش داخل هذه المباني المنجزة وفق نظام بيئي مناسب.

ولذلك لم يكن هذا الإقليم وغيره من الأقاليم المجاورة في هذه البيئة الصحراوية بعيدا عن التأثير المعماري الذي تتحكم فيه الظروف البيئية المختلفة سواء كانت طبيعية أو بشرية أو حضارية.

وقد اهتم الفن المعماري في هذه الديار لإتباع هذا الأسلوب الذي يتلاءم مع ظروف البيئة المحلية، وتمثل هذا الأسلوب في تفرغ كتلة المباني بصفة عامة عن طريق الأحواش والأفنية الداخلية التي كان يتم عن طريقها توفير التهوية والإضاءة الطبيعية للمباني ونلاحظ استعمال هذا الأسلوب في الكتلة المعمارية بحي تغرمت بإقطن والكتلة المعمارية بحي زاوية سيدي الحاج بلقاسم والكتلة المعمارية بحي قسبة القصر الكبير بعين صالح والكتلة المعمارية بحي الشويطر بإنغر (اللوحة رقم: 09)

(1) - الريحاوي (عبد القادر)، العمارة العربية السورية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، ص ب.

(2) - وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق ص 96.

02-4-3- تضيق الشوارع وتعرجها:

لقد أدى اللجوء إلى الحل المتضام في النسيج العمراني للمدينة الإسلامية لان تكون شوارعها ضيقة وهو ما كان له الأثر في تقليل الإشعاع الشمسي المباشر، وتناسبه مع وسائل النقل المتاحة في ذلك الوقت من الدواب والعربات المجرورة، فكانت لا تتطلب شوارع متسعة أكثر من الحد الذي ظهرت به في المدن الإسلامية القديمة.⁽¹⁾ وقد ظهر هذا الأسلوب في شوارع القاهرة في أيام الفاطميين⁽²⁾.

وتميزت الشوارع الضيقة المتعرجة بدورها بانفتاحها على بعض الأماكن الواسعة قليلا ذات نهايات مغلقة تقوم بنفس الوظيفة المنوط بالأفنية، فهي تعمل على تخزين الهواء المعتدل البرودة في الليل وتمنع تسربه مع أول هبوب للريح⁽³⁾ ومن هنا نرى أن أسلوب تخطيط الشوارع تميز بمظهرين أساسيين هما: الشوارع الضيقة والأفنية الداخلية المكشوفة، وهما يعملان على توفير الظلال والحماية من الأشعة الشمسية.

ومن فوائد الشوارع الضيقة والمتعرجة هو قيامها بأداء وظيفة بيئية أخرى تتمثل في تجنبها بأن تكون أنفاقا للرياح الموسمية في ظل هذا التخطيط المتعرج الضيق، لأن الالتواءات والتعرجات تضعف وتمنع ذلك.

ونلمس فوائد أخرى من هذا الأسلوب المعماري من خلال الاستفادة من الأجزاء المظلمة خلال مدد من ساعات النهار هذا فضلا عن كسر الملل والتأمل الهادئ، وهذا ما يؤكد لنا بأن المعالجات البيئية لها دور هام في توجيه العمارة المحلية، وخاصة حينما نشاهد هذا الأسلوب الذي نفذه البناء المعماري في ديار تيديكلت الشرقية ويظهر لنا واضحا في قصبة القصر الكبير بعين صالح، وفي قصر زاوية سدي الحاج بلقاسم ، وفي قصر تغرم باقسطونوفي قصر الشويطر بانغرم.

(1)-وزيري يحيى، مرجع سابق، ص 96.

(2)- حماد محمد، الطرز المعمارية والفنيول، القاهرة، 1973، ص 11.

(3)- علام نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في الصور الإسلامية، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1977،

02-4-4-4- تغطية الشوارع:

لقد لعبت الدروب والأزقة منذ القدم دورا أساسيا في ربط الأحياء السكنية في المبنى العام (القصر - القصبة) بالمراكز الرئيسية كالمسجد والسوق والساحات العامة، وكان ذلك بسبب دواعي الظروف المناخية واحتياج السكان للأمان بغرض الاحتماء من المؤثرات البيئية بصفة عامة.

وحيثما تأثرت التكوينات العمرانية في المدينة بعامل المناخ انعكس ذلك على الشوارع التي هي بمثابة الشرايين التي تصل بين هذه التكوينات، إذ يعتبر ذلك أحد المعالجات التي توصل إليها سكان هذه المواطن الحارة.

ولترتيب أوضاع التكوينات المعمارية بطريقة متجاوزة عكف المعماريون على التفكير في إيجاد الحلول والمعالجات التصميمية بغرض التقليل من حرارة الجو وشمسه الساطعة، وذلك لراحة الناس وباقي الأحياء حين تنقلاتهم في شوارع وممرات النسيج العمراني فكان منها " تحقيق ظل ذاتي نتج من استغلال تظليل المباني المتجاورة كوسيلة طبيعية لعزل الواجهات الخارجية للمباني، وكذلك كل الشوارع وممرات المشاة، وقد حتمت تلك الرغبة توجيه التكوينات المعمارية بالأوضاع التي تحقق ذلك وتهيئها بصورة طبيعية تحقق بعضها من السيطرة على مختلف الظروف المناخية العامة"⁽¹⁾.

وقد ظهرت هذه الخصوصية المعمارية في تشييد مباني إقليم تيديكلت وذلك في ترتيب ووضع تكويناتها المعمارية، فقد انتهج السكان نظاما خاصا في بناء الممرات وتوجيهها من حيث تفرعها إلى أزقة ثانوية تؤدي إلى بيوت مخصصة لقبيلة أو لفرع منها، وهذه الدروب غالبا ما تكون مسقوفة وضيقة وغير نافذة.

وكان هذا التسقيف هدفه الحماية من العوامل الجوية كالمطر والشمس، ولذلك اعتبر تظليل الشوارع من الأساليب التي تساهم في خفض درجة حرارة الهواء، ولهذا كان الحرص شديدا منذ القديم في مجال العمارة الإسلامية على توفير الظلال في شوارع ودروب مدننا إما بتسقيفها وإما بتغطية أجزاء منها.

(1) احمد محمد عبد الله، المناخ والعمارة، دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، ص 217.

وربما كان الداعي لتسقيف بعض الطرقات لأهداف دفاعية منها أن العدو الراكب إذا تمكن من دخول المدينة فإنه لا يستطيع الوصول إلى المسجد قلبها ومقر القيادة فيها ومستودع الذخيرة والمؤن إلا بصعوبة، كما أن بواسطة هذه التسقيف يمكن لأهل المدينة التنقل على السطوح من حي إلى حي دون اللجوء إلى الأزقة⁽¹⁾.

ونجد هذا الأسلوب في حواضر المغرب الإسلامي منذ سنين، وكان استعماله نتيجة لجملة من الأهداف والدوافع والمتطلبات اقتضتها الظروف البيئية وحاجة الأهالي لها ومنها نذكر⁽²⁾:

1. إن لاستعمال أساليب التغطية في الشوارع والأزقة مردودات ايجابية من تأثير المناخ والبيئة ويحدث تلاعبا بالظل والضوء مما يحسن من خواصها البصرية. وذلك حين مروره عبر ممر مكشوف إلى آخر مسقوف ومنه إلى الخارج حيث يجعله في تغير طبيعي كما لو انه يعيش الليل والنهار في وقت واحد.
2. الحاجة إلى فضاء إضافي ضمن الأبنية السكنية بشكل خاص، حيث يغطي الزقاق أو الطريق بفضاء يمتد من إحدى الكتلتين الواقعتين على جانبي الزقاق، أو من كليهما ويمكن أن يتكرر ذلك بشكل متعاقب، وكونه غطاء وممر مستمر يضيف عليه الشعور بالانطلاق.
3. إن تضيق الممرات وتسقيف البعض منها تقي الناس من الحرارة والبرد الشديدين مع الاحتفاظ بجو منعش في مثل هذه الأزقة البديعة. ويتجلى ذلك بشكل واضح في محاور الأسواق الرئيسية حيث العقود والسقوف المائلة هي الطريق السائدة.
4. إن ظلمة الأزقة واعوجاجها تجعل الغريب يتردد في الدخول إلى هذه الديار إلا بإذن مسبق من قبل مستقبله من السكان.
5. الحاجة إلى إسناد الجدران المتقابلة.

(1) - يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص 114.

(2) - للإطلاع أكثر انظر:

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع العوامل البيئية وأثرها على العمارة والعمران في منطقة تيديكالت الشرقية تبيننا لنا مجموعة من المعطيات التي كنا نجهلها ولم تشر إليها الدراسات التي مست جوانب من الإقليم.

فجاءت دراسة هذا الموضوع لتعرفنا بالعوامل البيئية بمفهومها الواسع من جهة وعن علاقة الانسان التفاعلية مع الظروف والعوامل الطبيعية والحضارية من جهة ثانية وكذلك عن نمط العمران التقليدي بالإقليم ، الذي كان نتيجة للمعالجات والحلول الممكنة لراحة الأحياء في مثل هذه المواطن التي تقع في الصحراء الكبرى.

وكانت هذه الدراسة فرصة للتعريف بالإقليم وأهميته التاريخية والجغرافية والحضارية، ورصد أهم التطورات التي مرّ بها من النواحي الجيولوجية والمناخية والاجتماعية، ومجال لتتبع اهم المراحل التاريخية والحضارية المتعاقبة منذ أقدم العصور من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة التاريخية.

وحاولنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة فهم ذلك الزخم الكبير من التراث المعماري المتنوع الذي كان لافتا للانتباه بالنسبة للدارسين وللمختصين في المجال بفضل الفكرة الممنهجة والمهجنة وبأثر من دواعي الظروف والعوامل البيئية الطبيعية والحضارية وما توفره من مواد انشائية متاحة.

وافرزت هذه الدراسة على ان الإقليم احتضن نماذج هامة من المنشآت المعمارية، ابرز فيها المعماري المحلي قدراته الإبداعية تماشيا مع ما تفرضه عليه دواعي البيئة من واقع طبوغرافية الأرض وتحديات المناخ ووفرة المواد الانشائية المحلية إلى جانب توجيهات النصوص الشرعية والأعراف الاجتماعية والأطر الثقافية إضافة إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها من العوامل البيئية العديدة.

ولقد تجلّى ذلك في أساليب تصميم المخططات وتنفيذ الخامات في مختلف الحلول والمعالجات المعمارية التي دأب عليها الفنان البناء مرغماً على ذلك ومستجيباً لدواعي عوامل البيئة المحلية.

فلاحظنا من خلال دراسة ابتكار التصاميم وتنفيذها بأن هناك علاقة قوية بين العوامل البيئية والعمران التقليدي ظهر في الشكل العام وفي استغلال المواد الانشائية ، حيث

أن البيئة وبمختلف جوانبها ودوافعها سواء كانت طبيعية وما تشتمل عليه من عوامل جغرافية وجيولوجية ومناخية، أو كانت بيئة حضارية وما تشتمل عليه من عوامل دينية واجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، تفرض ظروفًا معينة ترغم الناس على ضرورة التكيف معها وهو ما كان منعكسا في تلك الأشكال والنماذج والمخططات المختلفة.

كما اتضح من خلال استعراض خصائص موقع الإقليم البيئي، أن هناك نمطا معينًا من العمران التقليدي سواء على مستوى تخطيط الكتلة المعمارية أو تصميم وبناء الوحدات الفردية أو الجماعية شأنها في ذلك شأن الأقاليم الصحراوية المجاورة.

إن آثار العوامل البيئية على عمارة وعمران الإقليم ظهرت واضحة وجلية في مناحي هامة نلخصها في التخطيط والتصميم ووحدة مواد الإنشاء وفي هوية الإقليم، وانعكس ذلك على المنطلقات الفكرية والسلوكيات الجماعية وفي السمات العمرانية.

فنلاحظ من خلال المشهد العام بأن توزيع المصمم لعمارة الإقليم جاءت ممنهجة وفق طبوغرافية المكان و متطلبات الإنسان، حيث نجد أن نفس التصميم منفذ بشكل متكرر حسب اتجاه الطبوغرافيا للأرض أي تكون بداية تأسيس القصر أو المدينة انطلاقًا من أعلى مستوى للتربة نحو المستوى المنخفض من الأرض حتى تحقق الغرض الأمني والدفاعي.. ولذلك نجد جل القصور تسبقها في الإنشاء عمران المياه ثم تليها عمارة المباني ثم عمارة الواحات لتنتهي بمصب المياه الفائضة.

و بالنسبة لعمران المباني، ف جاء ترتيبها بداية من عمارة المسكن ذر السقيفة الواحدة ثم عمارة المسكن المكون من مجموعة من السقائف يتوسطها فناء، ثم عمارة مجموعة المباني المتضامة التي تشكل القصبية أو القصبية المحصنة ثم يأتي القصر الصحراوي الذي يشكل لنا القرية أو المدينة الصحراوية.

وبالنسبة لعمارة المساجد فقد جاءت عمارتها أيضا رتيبة وحسب الحاجة، فبدايتها من سقيفة مخصصة للذكر والعبادة لتتعدد الى سقائف بنفس المقاسات مع الحاق صحن بها في مؤخرة المبنى.

ونلاحظ من خلال تأثير مواد الإنشاء في تسقيف وتظليل المباني أنها تحكمت في حجم غرفها، فكانت في العمران المبكر بالمنطقة عبارة عن سقائف طولية ثم توسعت في العمران المتأخر باستحداث الأعمدة والعوارض الحاملة للسقف إلى غرف ذات طول وعرض هامين.

ويستخلص من عمران موارد المياه وتوفيرها إلى الكتل المعمارية انها جاءت برتبة هامة في التسلسل التاريخي حيث استحدثت الآبار أولاً ثم نظام الفقارة ثانياً ومن بعدهما اهتدى المعماري المحلي الى توريد المياه بالنواعير الى اقسام الكتلة المعمارية.

ومما نلاحظه من تأثير عامل المناخ على العمارة والعمران بشكل ملفت للانتباه هو ترسيم مخطط كرهه المعماري المحلي في تصاميم مختلف المرافق المعمارية، فقد ظهر فيها صحن أو فناء أو رحبة داخلية مركزية فرضتها الظروف المناخية القاسية فأصبح من العناصر الرئيسية التي توضع في رسم تخطيط المباني المعمارية في هذا الإقليم. كما نلمس أيضاً من نتيجة تأثيرات البيئة الصحراوية السائدة في الإقليم ممثلة في الدواعي المناخية، هو تشكيل الكتل المعمارية بتصميم خاص تكرر تنفيذه في بناء قصر أو قصبة جديدة، وجاء ذلك في إطار الحلول المناسبة لهذه البيئة حيث أعطى نمطاً خاصاً لهذا الإقليم وغيره من الأقاليم المجاورة وهو يتمثل في شكل المباني المتضامة مع ندرة الفراغات الكبيرة داخل هذه الكتل المعمارية .

وقد اثرت المواد الانشائية المحلية المشكلة من أنواع التربة والحجر والخشب المتاح بروز غرف وسقائف المساكن وهي منفذة بمقاسات تقليدية تحكمت فيها إلى درجة كبيرة تركيبية مواد بناءها، فضلاً عن الوحدة في الجانب الجمالي لها من حيث تكسيته ومنظر لونها الموحد.

ويستنتج من دواعي الظروف الدفاعية التي حلت بالمنطقة هو أن احتوى كل قصر على قصبة محصنة بالأسوار العالية ومتوجة بأبراج في الزوايا الأربعة وبفضاء وقائي يوجد بين السور الخارجي والسكنات وبمورد لماء الشرب، غير أن المرافق الضرورية الأخرى تغيب في هذا التخطيط في هذا الإقليم، ونعني بذلك المرافق الاجتماعية والدينية والعلمية، والتي منها المساجد والمدارس التي بنيت خارج القصبات، حيث أعطى هذا التوزيع والتخطيط نمطاً خاصاً وموحداً لهذه القصبات الموزعة على مختلف قصور تيديكلت الشرقية، ويظهر لنا أنها بهذا الشكل جاءت تخالف نموذج مثيلاتها من القصبات في باقي أقاليم توات الكبرى.

وكان لأثر العوامل الدينية هو تكوين الهوية الدينية أو الانتماء الديني حيث تركز في تكوين الخصوصية الاجتماعية والثقافية والفكرية للمجتمع بالإقليم، وتمثل في بروز

معالم الدين الاسلامي الذي كان اثره طيبا في العمران المحلي بهدف تحقيق غاية الدين، واتضح ذلك في تنفيذ العمران الديني والمدني والاقتصادي والدفاعي، فوجد اثره في بناء المساجد والجوامع ومآذنها العالية والمدارس القرانية والزوايا والاضرحة، ووجد ايضا تأثر المساكن بالقيم الدينية من حيث التخطيط والتنفيذ ومواد الانشاء وتوزيع البناء وجماليته.

وبصفة عامة كان من نتيجة تأثير الظروف البشرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية عامة في توجيه العمران التقليدي بهذا الإقليم، هو التقيد باحتكام العرف والنص الشرعي وفق قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وبرز ذلك واضحا من خلال تنفيذ المباني وتمثل فيالتجاور:

- بمراعاة رابطة القرابة حرصا من نشوب الخصومات والفتن وذلك على مستوى القصور والقصبات والبيوت السكنية
- استحداث عنصر الساباطات وذلك بتسقيف اجزاء من بعض الأزقة لتعديل حرارة المناخ.
- تعاقب فتحات المداخل تجنباً لكشف حرمة بيت الجار مع جاره
- إرفاق الجدار الساتر بالسطح المستغل مراعاة لحرمة الجيران في ما بينهم
- التساوي في ارتفاع المباني حفاظا على حرمة الجار وعدم الحاق الضرر به
- الاشتراك في الجدار الواحد وذلك ما يحقق التكافل الاجتماعي
- المحافظة على الساحات العامة والمسالك الرئيسية في الكتلة المعمارية
- ربط المرافق العامة للحياة في القصر من المسجد والمدرسة والسوق التجارية والمسكن والأراضي المفلحة بمسالك رئيسية
- تشكيل الفراغ في وسط الكتلة المعمارية والحفاظ عليه للاستغلال الجماعي والفردى وقت الحاجة ومنها مثلا تلك التي تحتلها السوق التجارية وتنتجه نحوه المسالك من البيوت السكنية
- تخطيط إقامة المساكن بالقرب من الأراضي المفلحة وهو ما كان له الأثر في تحديد الطرقات والبوابات التي تصل الديار بالواحات.

- توجيه عامة الناس كعروش وقبائل وأجناس إلى التمرکز والتكتل في جهة معينة حيث أعطى ذلك توزيعاً للتركيبية الاجتماعية وتقسيماً عرفياً لخريطة الوضع والاستقرار الاجتماعي بالإقليم وقد برز ذلك في:

1- التمرکز في جهة أو ناحية معينة ومثالنا عن ذلك هو قصر العرب وقصر المرابطين بمقاطعة عين صالح، فقارة الزوى فقارة العرب بمقاطعة الفقارة.

2- تشييد المباني الخاصة بالقبيلة أو العرش ومنها على سبيل المثال قسبة أولاد الحاج، قسبة الجديد، قسبة أولاد حادقي، قسبة أولاد عززي، قسبة الساهلة.

3- تشييد موارد مائية خاصة: فقارة بابكر، فقارة هنو فقارة الاعاوات، فقارة الدغامشة.

4- تحديد وتخصيص الأراضي المفلحة (بساتين): ونذكر منها على سبيل المثال جنة (بساتين) افوغاس، جنة بن حيدي، جنة الاعاوات.

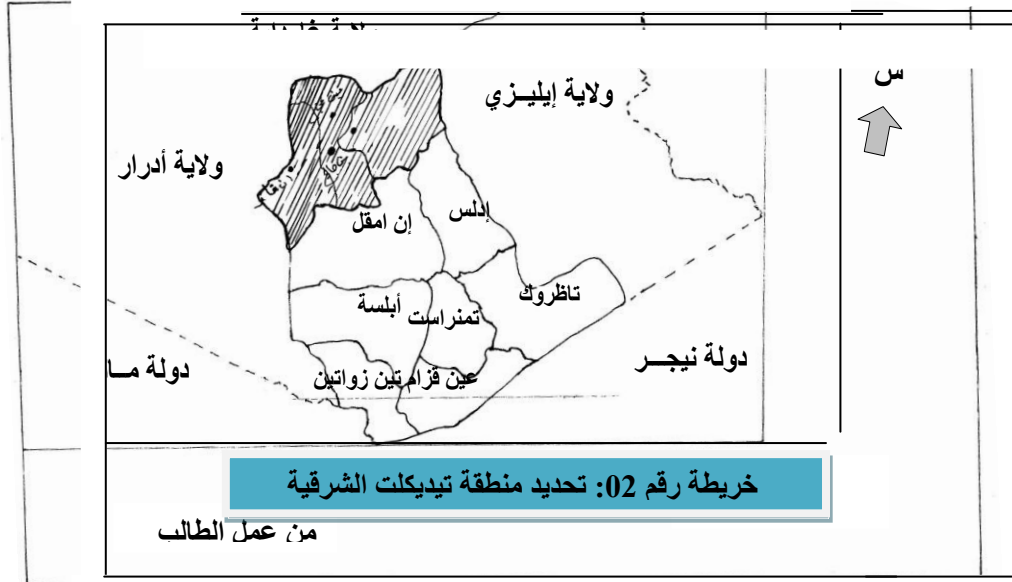
وقد نتج عن استغلال مادة البناء المتاحة هو ذلك التجانس والبساطة في تشييد كافة المباني من مدنية ودينية ودفاعية، سواء من حيث مادة البناء أو الشكل فليس هناك تطاول أو تفاخر في البناء مما يوضح التقارب والتلاحم الحميم وقوة العلاقات الاجتماعية بين السكان في الكتل المعمارية بالإقليم، وقد ظهر ذلك بشكل أوضح من خلال تنفيذ وتكرار الجانب الفني الجمالي البسيط وذلك في جدران الواجهات الخارجية وفي تنويع المباني القصيرة والعالية وفي تزيين الجدران بخطوط طولية وبترك اثر أصابع الأيدي، وبصورة أعم ما يلاحظ من المباني المتوجة بقباب أو قبيبات أو أشكال المثلاث للملاحظ العام والخاص.

وعموماً يجدر بنا أن نشير في مجال هذه الدراسة من خلال الزيارات المتكررة لمختلف القصور بهذا القسم من إقليم تيديكت الشرقية بأن أغلب هذه الخصائص والمميزات السالفة الذكر تشترك فيها مع جل القصور بالاقاليم التواتية، و هي المميزات التي نجدها في أغلب القصور الصحراوية عامة.

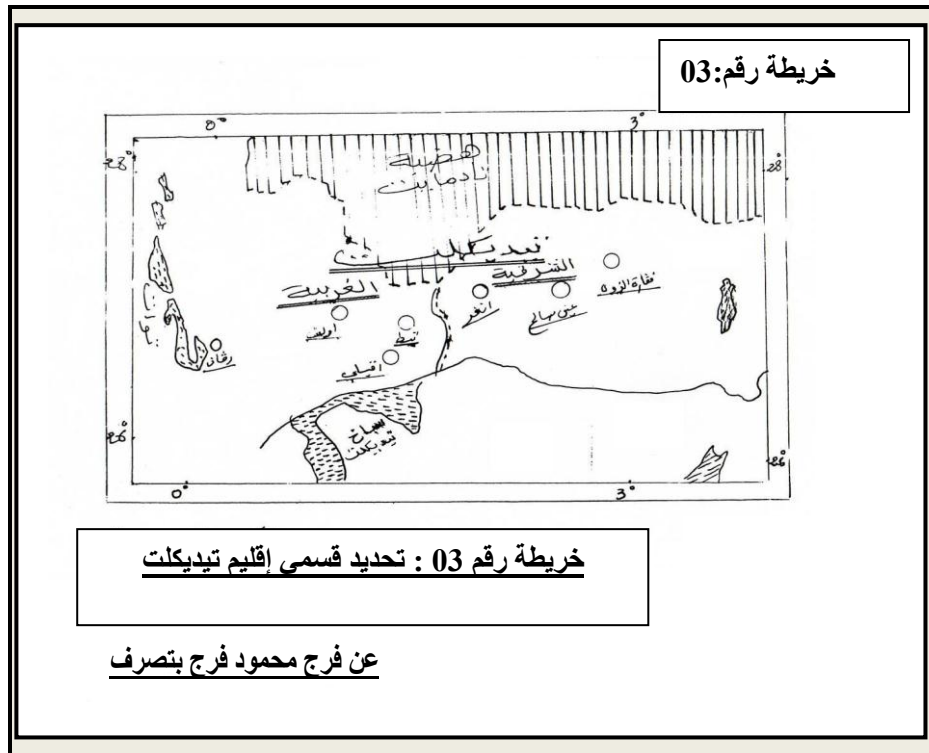
الملاحق

- ملحق الخرائط
- ملحق الاشكال والمخططات
- ملحق اللوحات
- ملحق المخطوطات
- ملحق الجداول

ملحق الخرائط



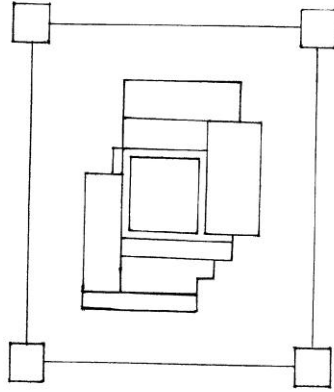
40



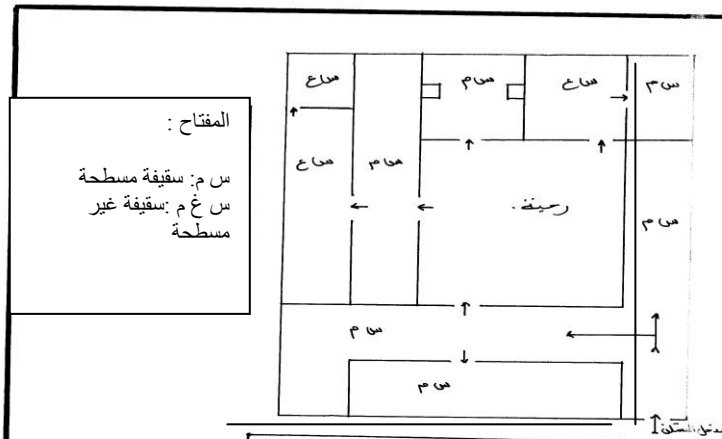


خريطة رقم 04: مناطق التجمعات السكنية بإقليم تيدكلت الشرقية من القمر الصناعي

ملحق الأشكال والمخططات



مخطط للقصبية المحصنة من عمل الطالب



مخطط رقم (2) كروكي نموذجي للمسكن التقليدي
تيدكلت الشرقية (عمل الباحث)

مخطط للبيت التقليدي بتيدكلت الشرقية من عمل الطالب

المخطط رقم: 03

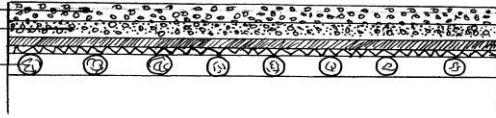
Lakhchab الخشب

Kerref الكرناف

Djerrid + Léfdem الجريد + لفدام

Tine التين

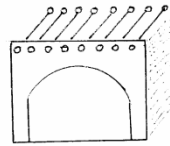
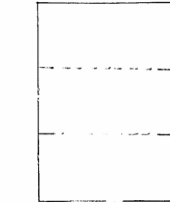
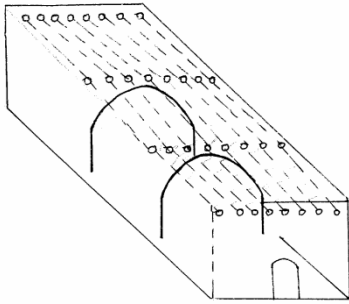
ELbāLée البالجي



مخطط رقم (03) طريقة التسقيف التقليدية مقطع شاقولي
تيدكلت الشرقية

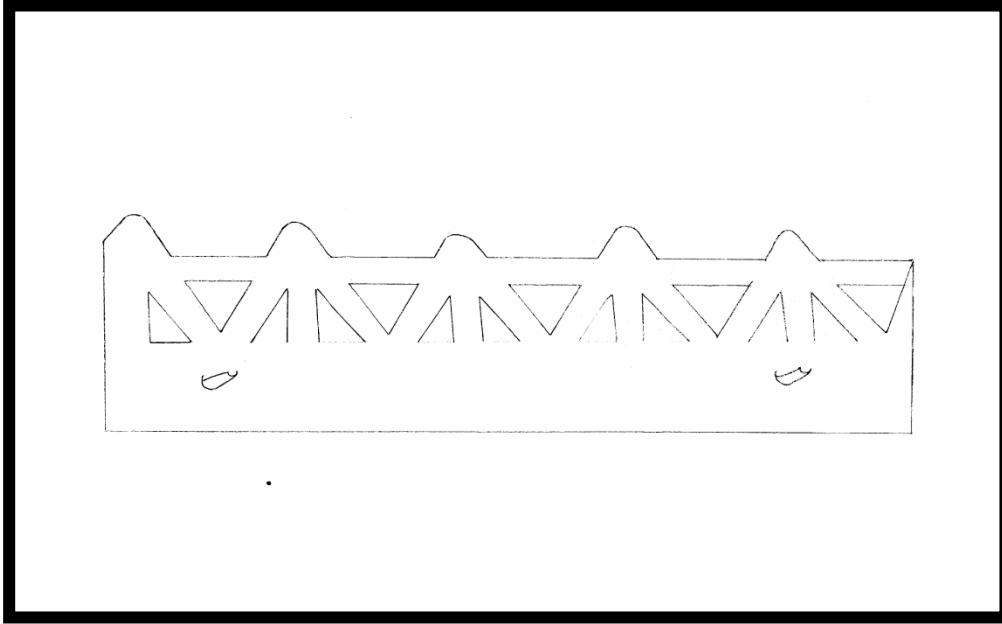
من عمل الطالب

المخطط رقم: 04

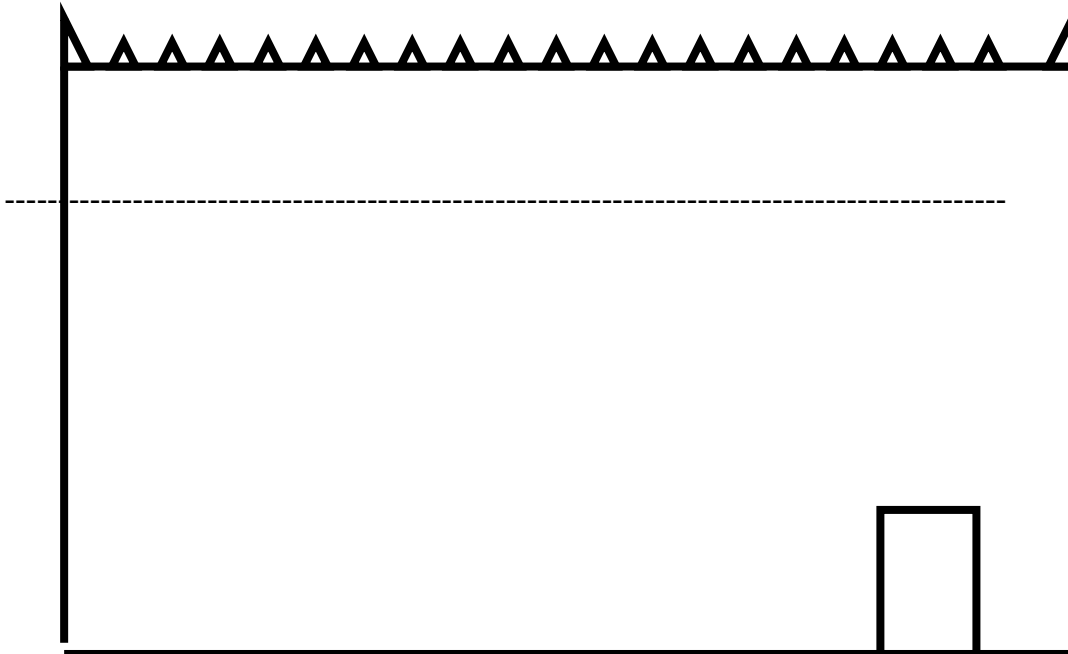


نموذج توضيحي لسقيفة مرفوعة بالأقواس تيدكلت
الشرقية (السواري)

من عمل الطالب

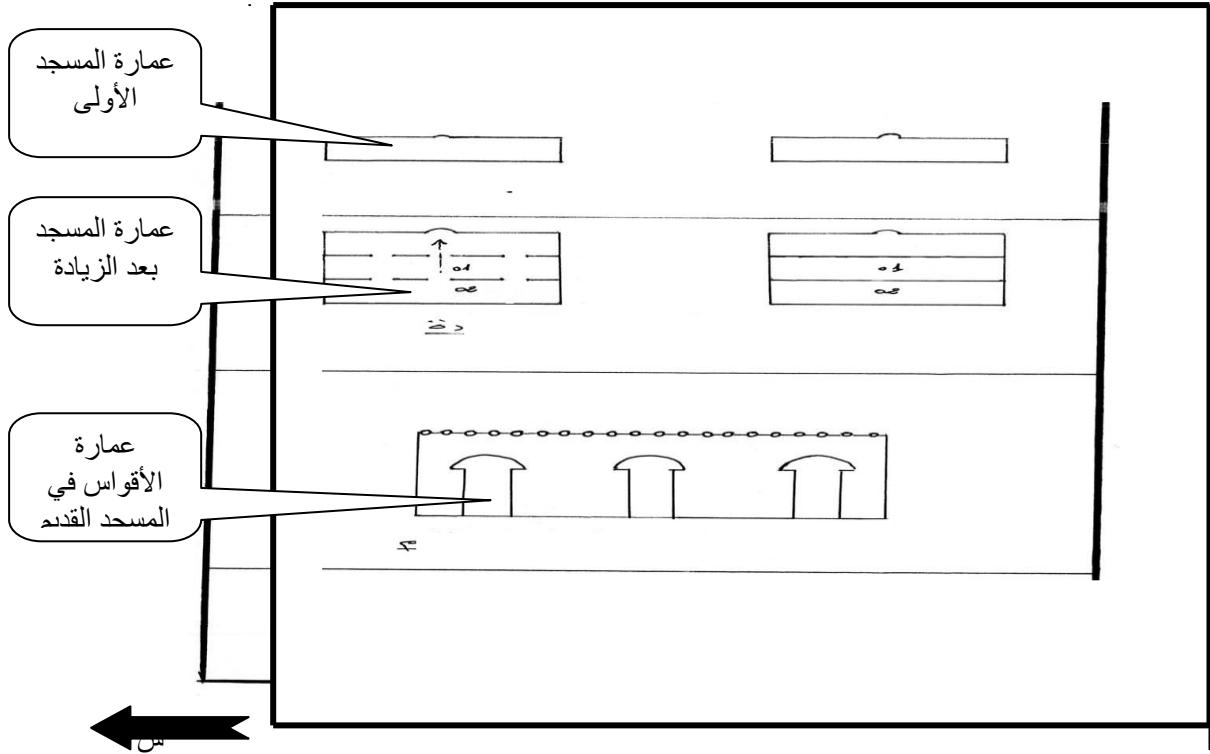


شكل 05/أ: نموذج تتويج المباني بالشرفات و بروز ميازيب تصريف المياه

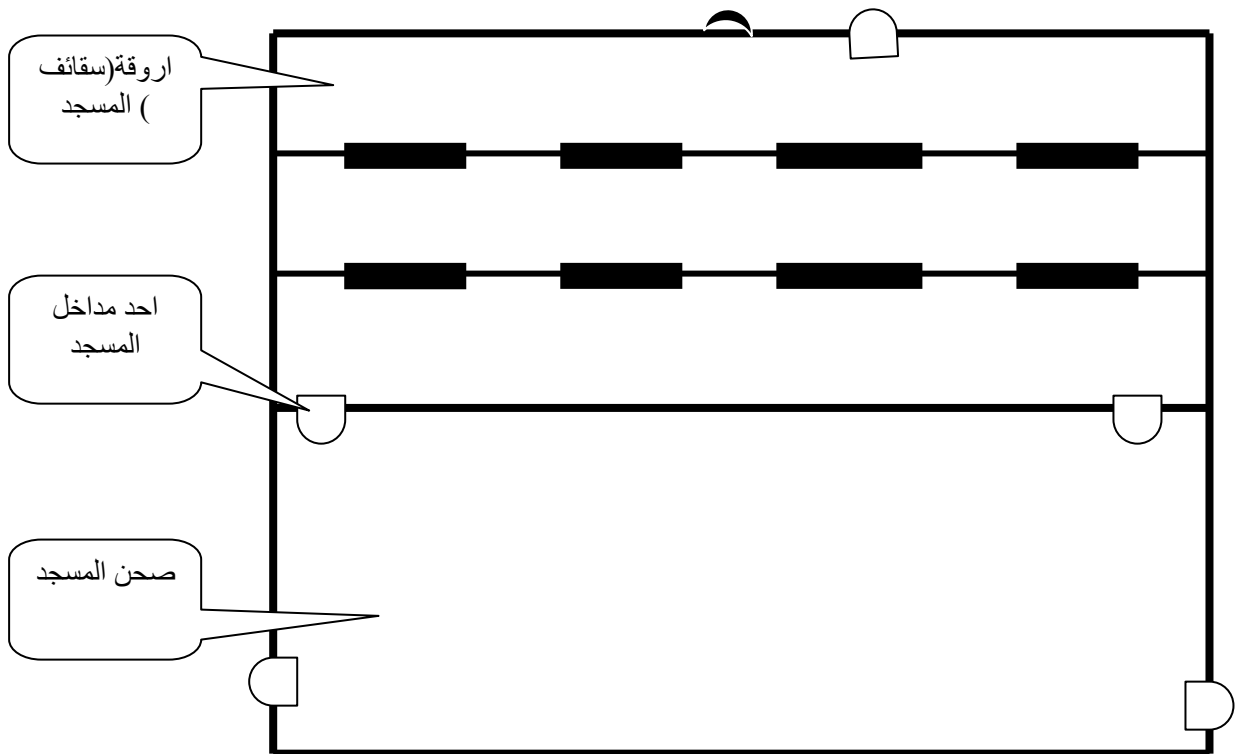


شكل 05/ب: نموذج لمبنى متوج سورته الخارجي بمثلثات مكررة

نموذج من واجهات المباني المتوجة بأشكال هندسية مكررة



مخطط رقم 06 أ: عمارة المساجد القديمة بالاقليم (بيت الصلاة)

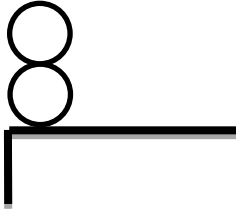


مخطط رقم 06 ب: عمارة المساجد القديمة بالاقليم (بيت الصلاة + الصحن)

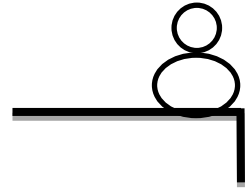
مخطط عمارة المسجد القديم بتيديكلت الشرقية.



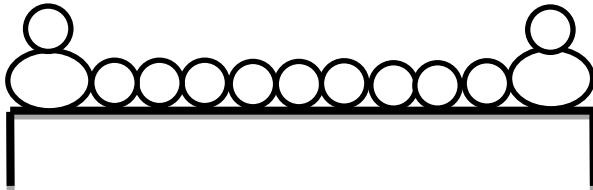
شكل 07/أ: نموذج لتتويج المباني بالقباب



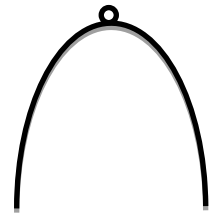
ب/02: نموذج لقباب متساوية في اركان



ب/01: نموذج لقباب مختلفة في اركان المبنى
المبنى



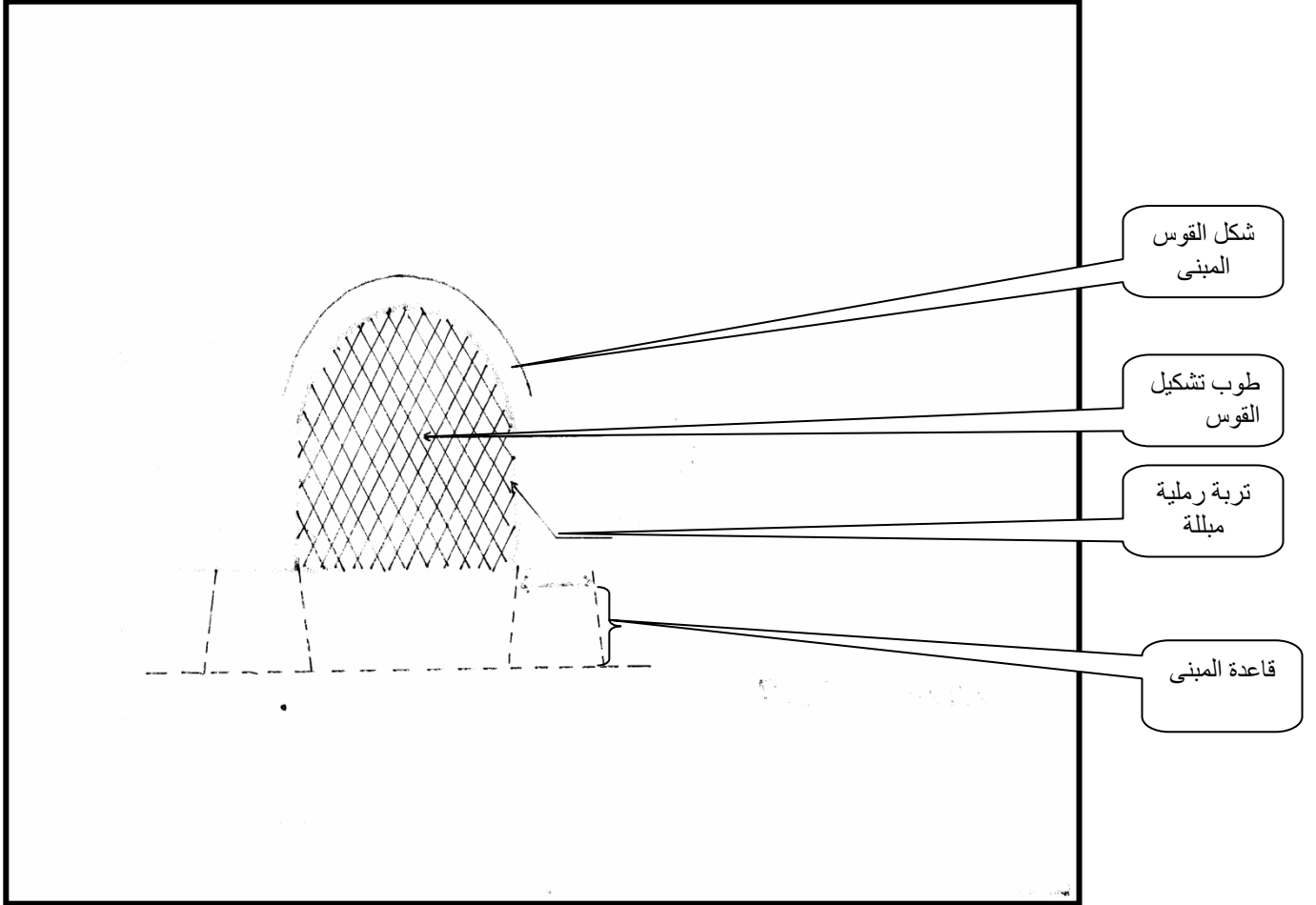
ب/04: نموذج لقبة تعلو اخرى في اركان المبنى



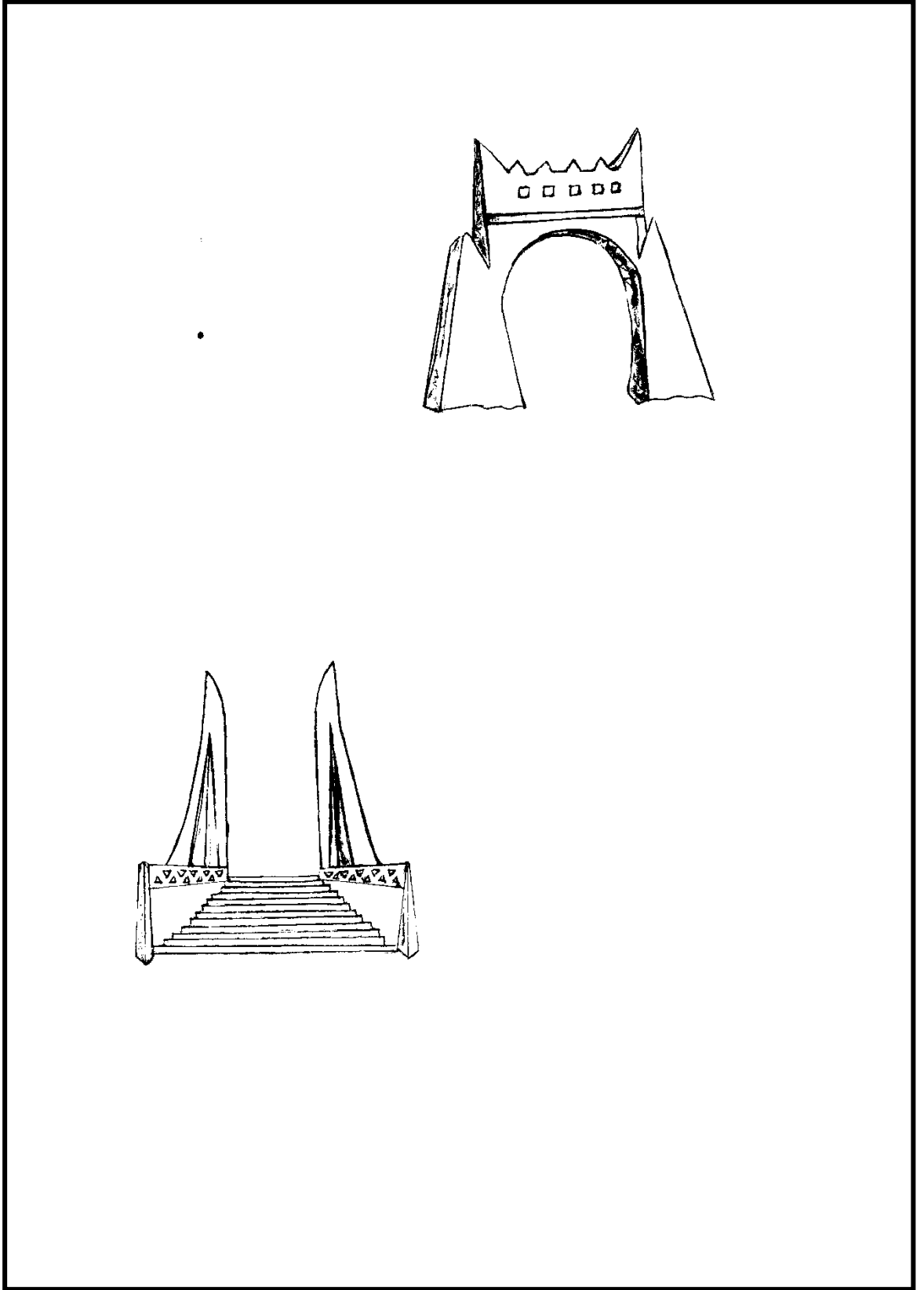
ب/03: نموذج لقبة تعلو قبة ضريح

الشكل 07/ب: نماذج من اشكال القباب

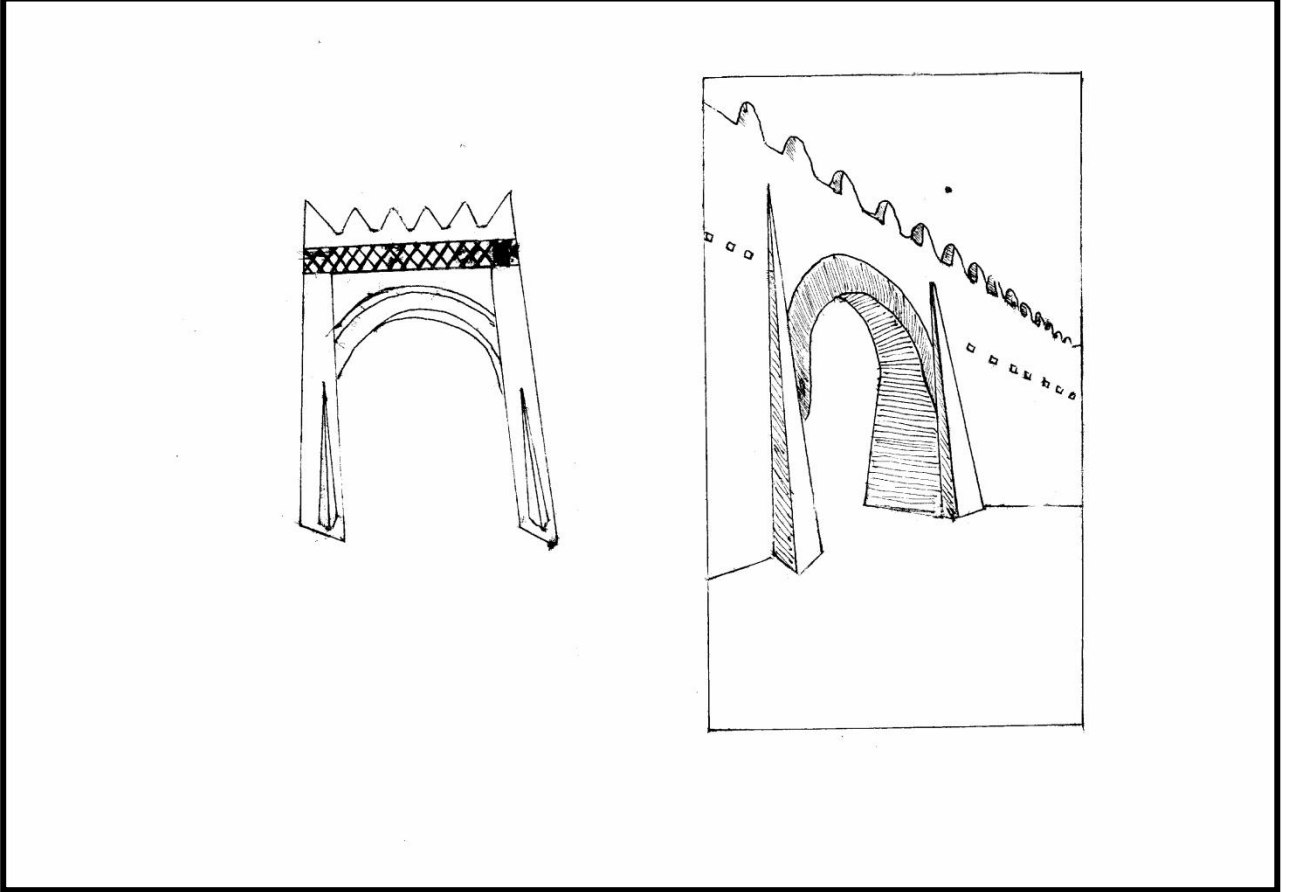
نماذج من تتويج المباني المعمارية بالقباب بتيديكلت الشرقية



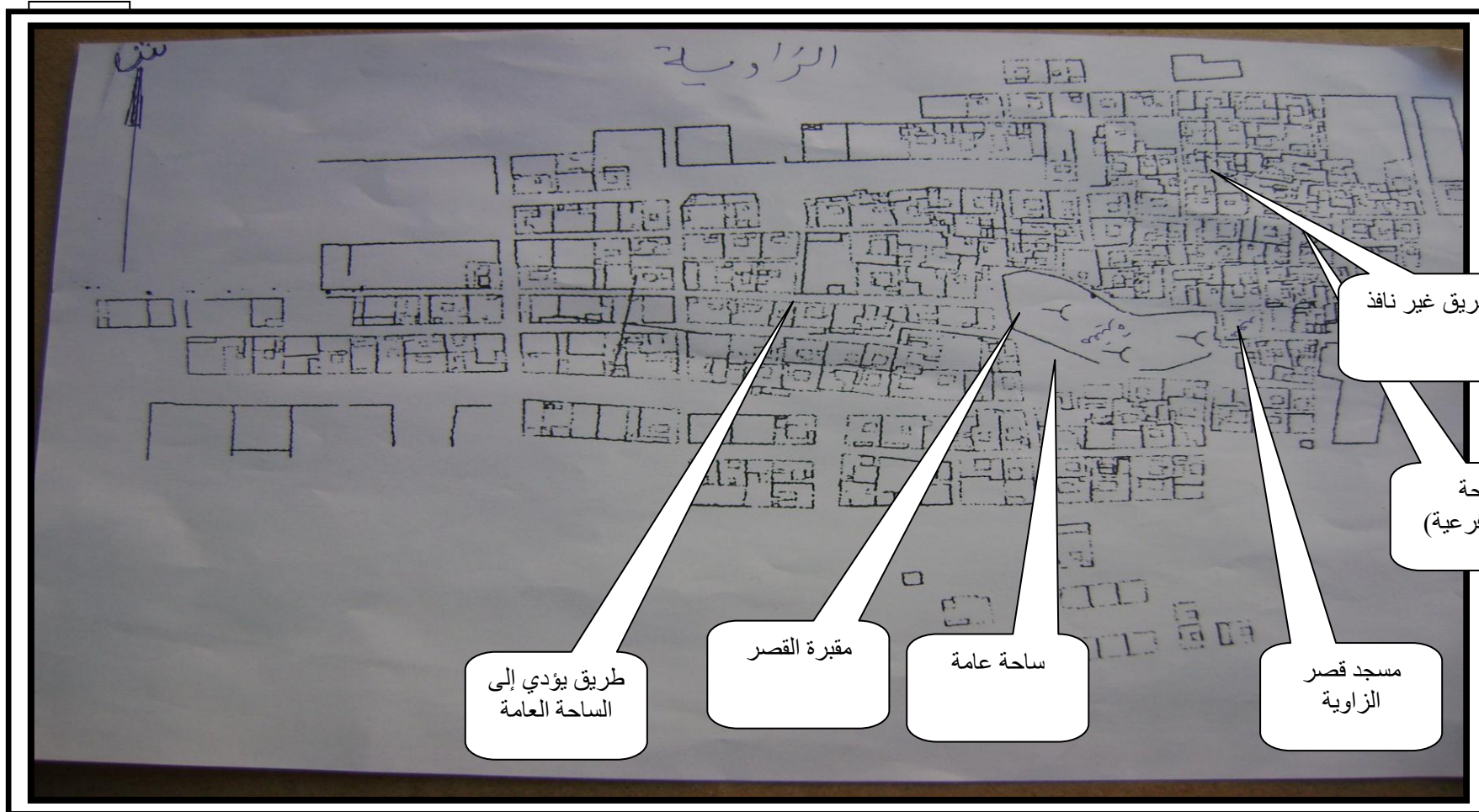
نموذج لطريقة بناء العقود (الأقواس) بالإقليم



نموذج من المداخل الرئيسية بالاقليم



نماذج من المداخل الرئيسية للمباني المحصنة بالأقليم



المخطط رقم: 12

مخطط يحدد القصبة العتيقة بالقصر الكبير بعين صالح - عن أرشيف مديرية مسح الأراضي بعين صالح (بتصرف)

ش



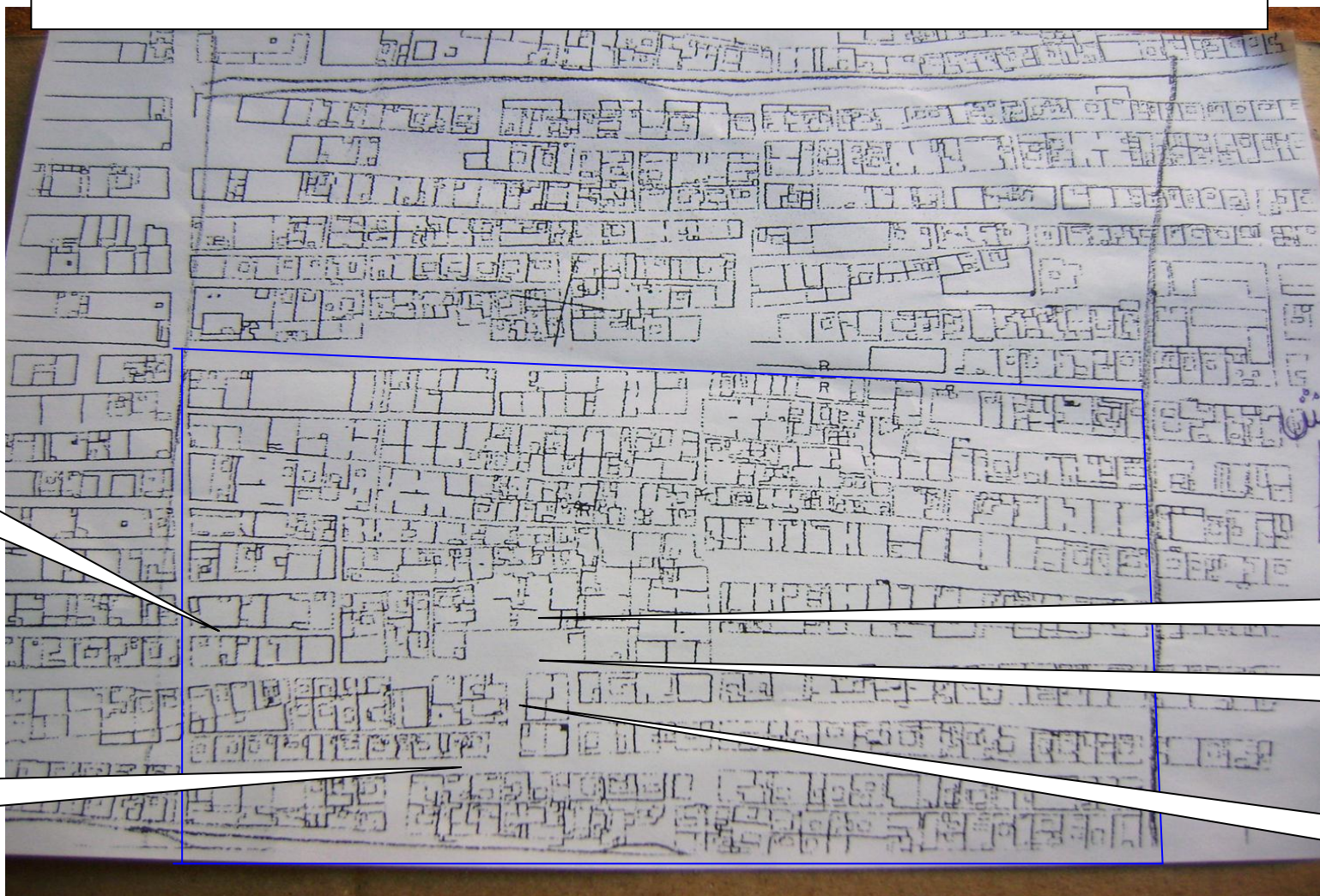
أزقة ضيقة

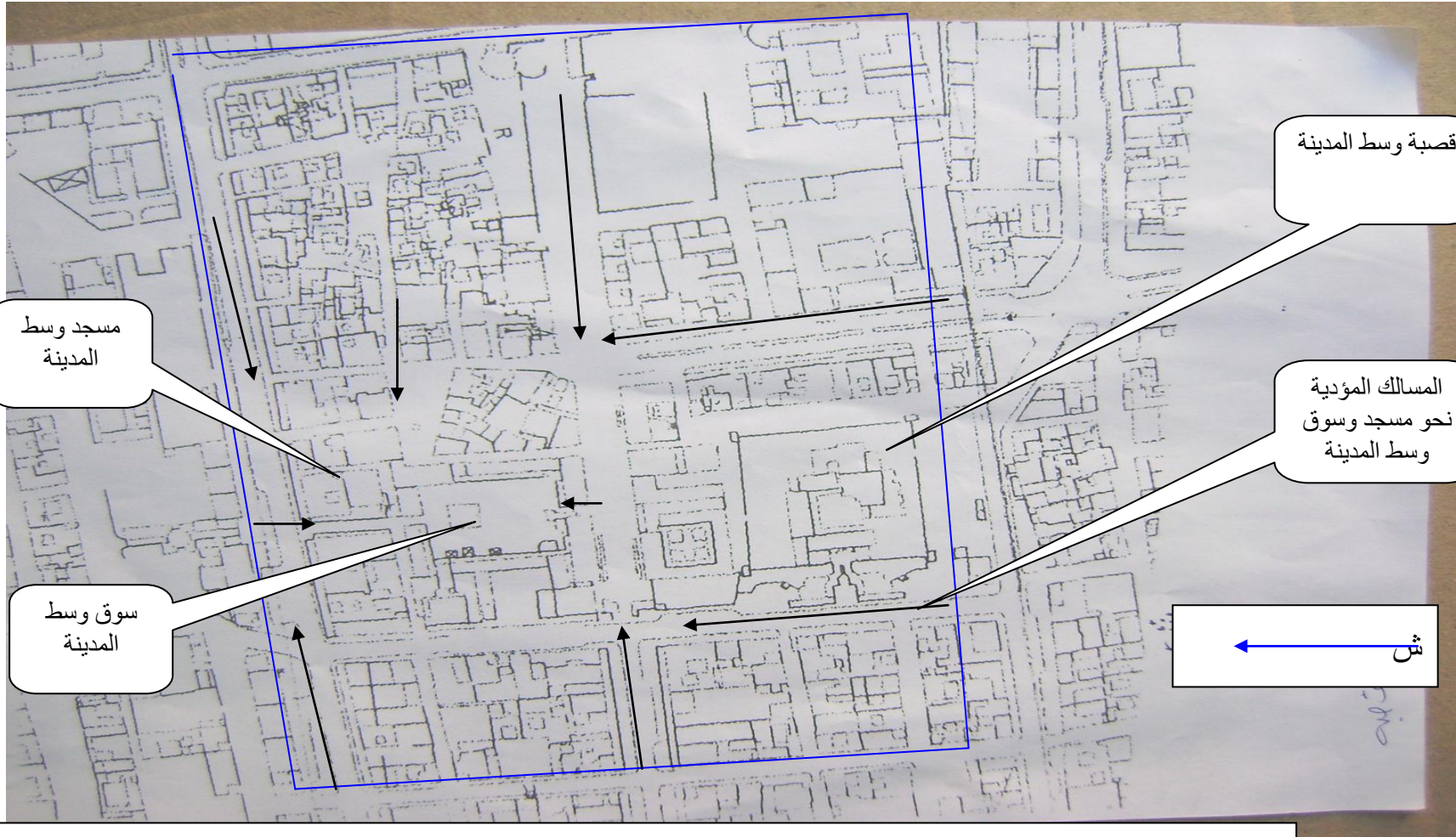
مسجد قصبة
القصر الكبير

ساحة عامة
بالقصبة

مسلك يؤدي إلى
الساحة العامة

شوارع عامة
بالقصبة

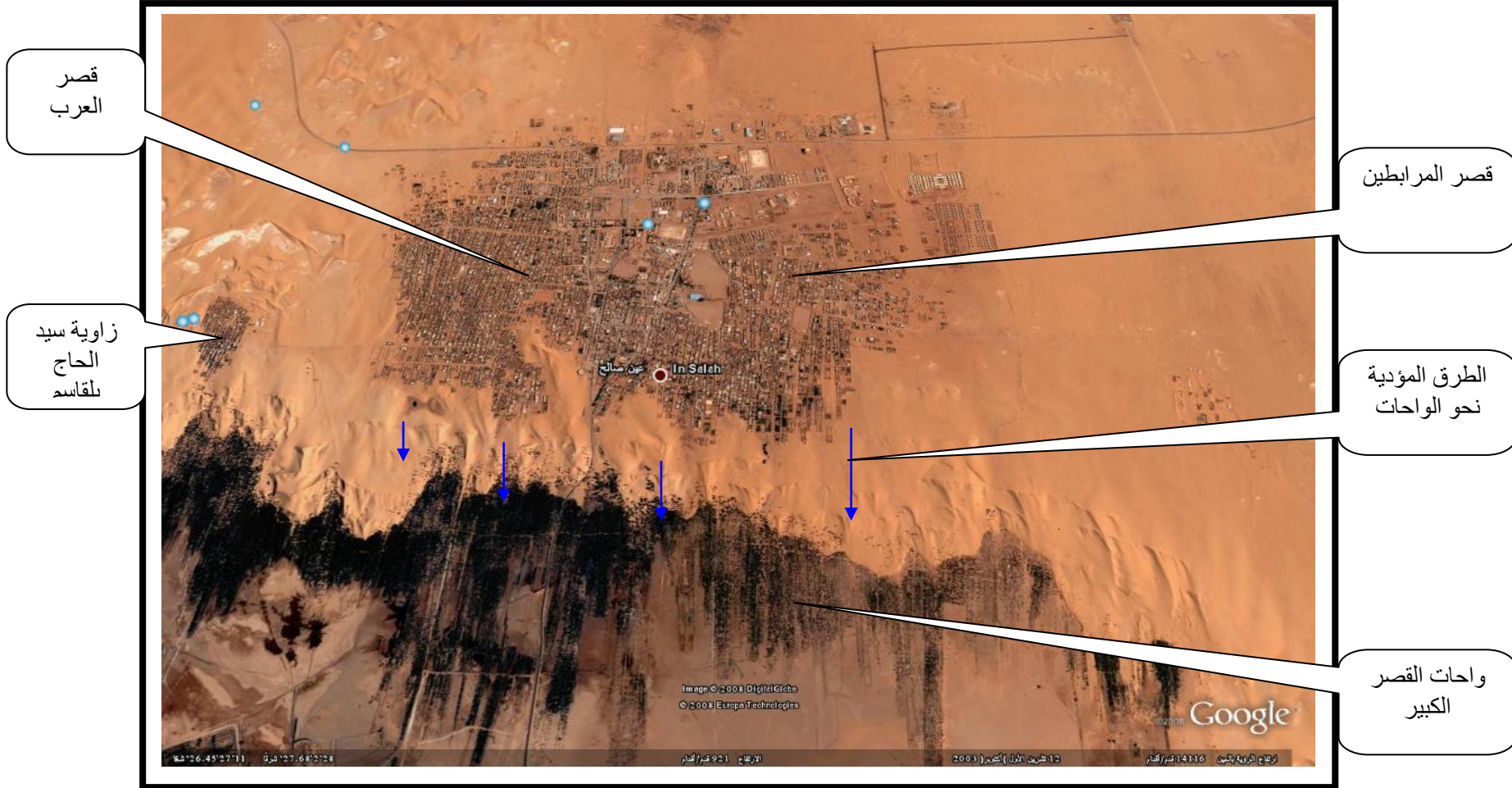




مخطط يبين موقع المرافق المركزية بوسط مدينة عين صالح - عن أرشيف مديرية مسح الأراضي بعين صالح (بتصرف)

ملحق اللوحات (الصور)

اللوحة رقم 01



صورة تحدد الطرقات التي تصل التجمعات السكانية بالواحات (قصور عين صالح) عن موقع google بتصريف.



02/ أ- منظر عام لقصبة باجودة (وسط المدينة)



2/ ب- منظر عام لقصبة أولاد الحاج قصر المرابطين



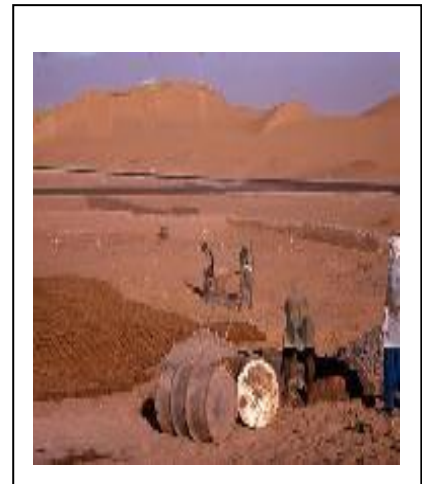
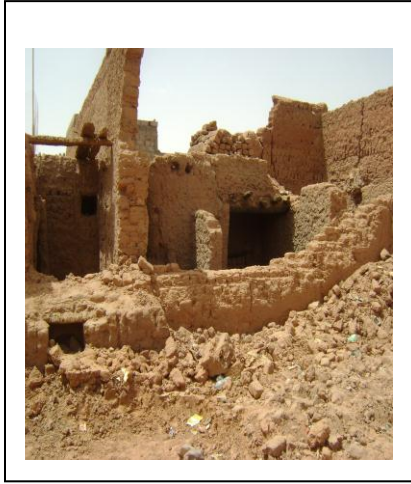
03/ أ- صورة جوية تبرز تخطيط العمارة الدفاعية (قصة باجودة)

عن موقع google (بتصرف)



03/ ب- صورة تبرز مخطط البيت القديم (اقسطن)

من عمل الطالب



04/ أ- تحضير الطوب

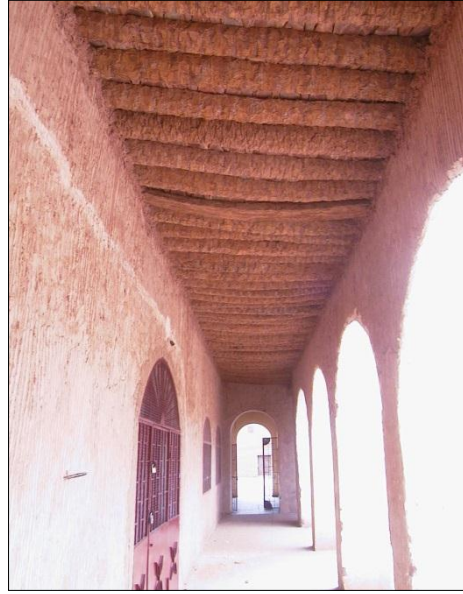
04/ ب- البناء بالقوالب المربعة



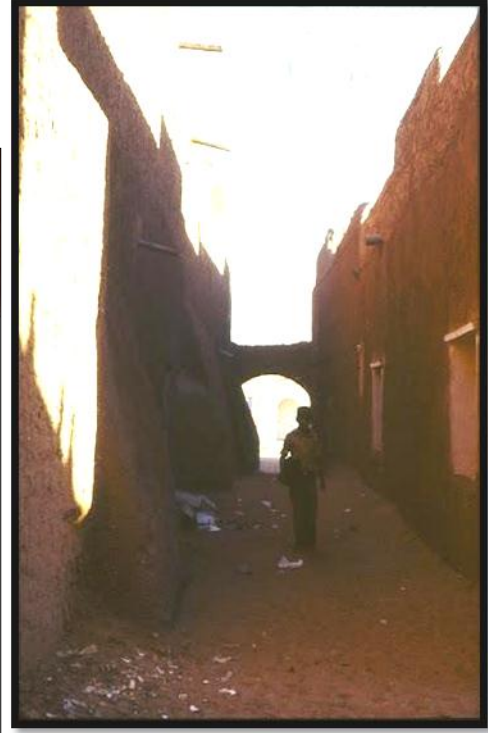
04/ ج - البناء بالطوب ثلاثي الأوجه

04/ د- البناء بالحجر الجيري

لوحة توضح عملية تحضير الطوب المجفف واستعماله في البناء المحلي



05/ب - نموذج من تظليل الأروقة



05/أ- نموذج من تضيق تظليل الأزقة



05/د - نموذج من تغطية الغرف (السقائف)



05/ج - نموذج من تغطية السواري (السقائف الموسعة)

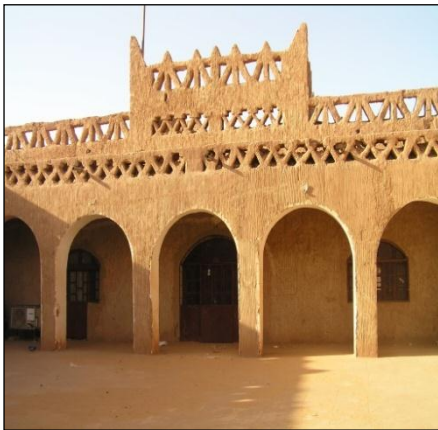
تضييق وتسقيف وتظليل المباني بتيديكلت الشرقية



06/ب- دعامات لتوسعة الغرف (السواري) ورفع السقف



06/ا- دعامات لتقوية أسوار المبنى



06/د- دعامات مربعة لرفع الأقواس



06/ج- دعامات دائرية لرفع الأقواس

نماذج من استعمال الدعامات الطينية بتديكلت الشرقية



07/ ب- قبة بوياء الفلاني وسط عين صالح



07/ أ ضريح سيدي علاء بقصر المرابطين



07/ ث- ضريح الشيخ الطالب اعلي (اقسطن)



07/ ت- قبة سيدي باسة الساهلة الغربية

نماذج من العمائر الطينية (عمارة الأضرحة والقباب الدينية بتيديكلت الشرقية)



نموذج 02



نموذج 01



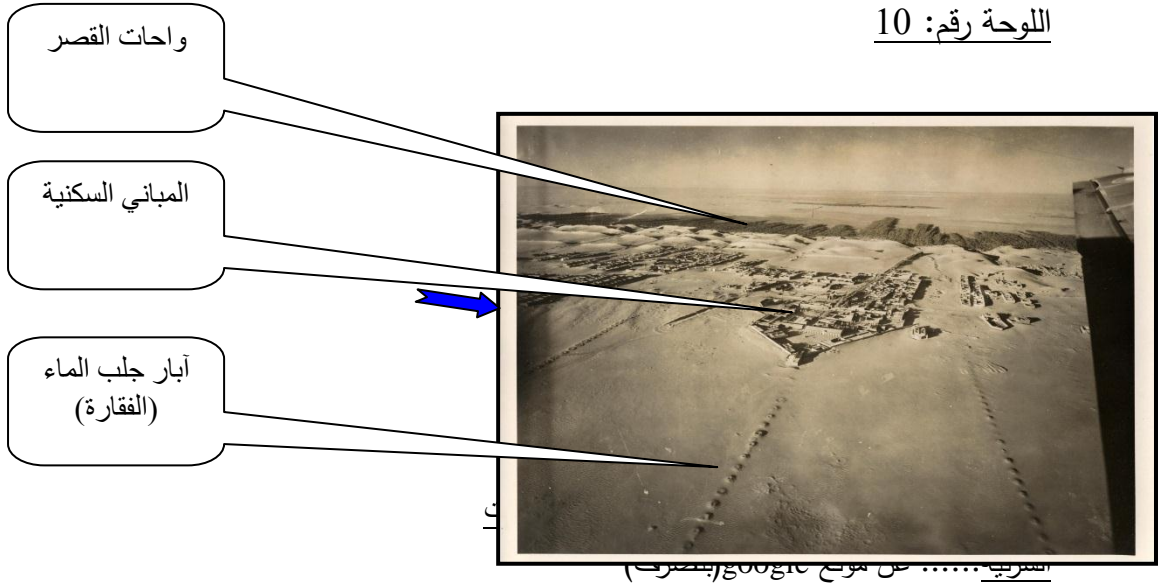
نموذج 03

نماذج من تنويع العمارة الطينية بتيديكلت الشرقية



نماذج من تفرغ كتل المباني المحلية (زاوية الحاج بلقاسم)

عن موقع google

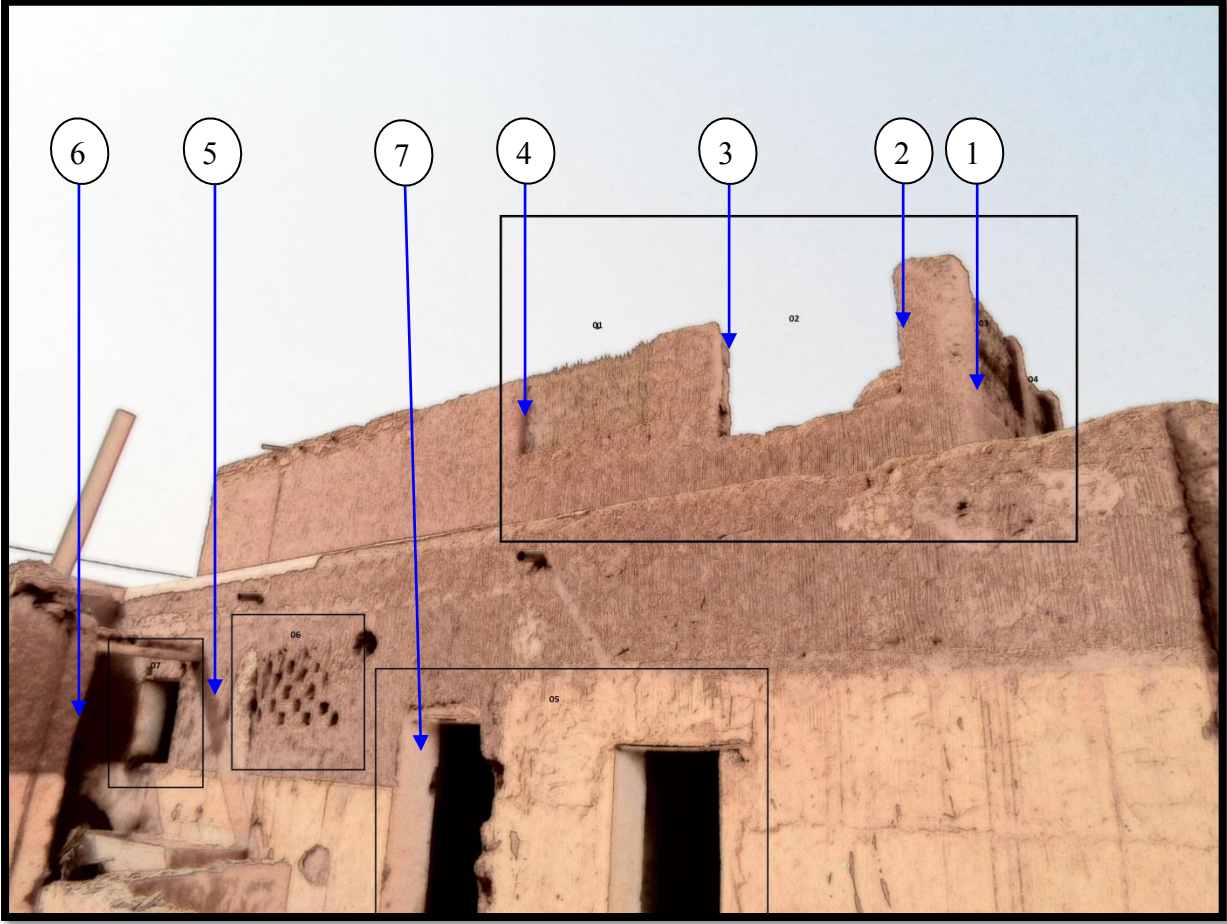


10/ ب- صورة تبين آبار الفقارة بين الأحياء (من عمل الطالب)



ج- صورة تبين طريقة توزيع الماء بين الناس

شبكات توصيل المياه إلى التكوينات المعمارية المختلفة بالإقليم



نماذج من فتحات التهوية والإضاءة في العمارة المحلية

- 01 و 03 و 04 فتحات تطل على السطح مسدودة بشباك تقليدي من جريد النخيل.
- 02 فتحة تطل على السطح شباكها أتت عليه العوامل الطبيعية.
- 05 نافذة للتهوية والإضاءة بشكل نصف قوس لسقيفة تطل على فناء البيت بشباك من مادة اللبن المحلي
- 06 نافذة للتهوية والإضاءة لسقيفة تطل على فناء البيت.
- 07 مداخل إلى سقائف المبنى .



12/أ: بقايا من العمران تبين فناء مسكن قديم والسقائف المحيطة به (بالساهلة الغربية)



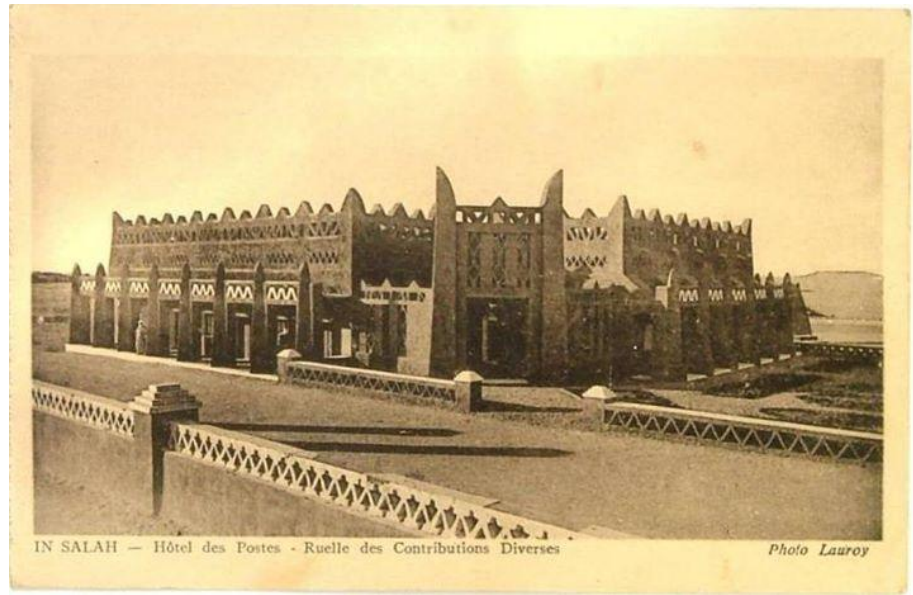
12/ب: بقايا من العمران تبين تفاصيل لعناصر معمارية لمسكن تقليدي (بالبركة)



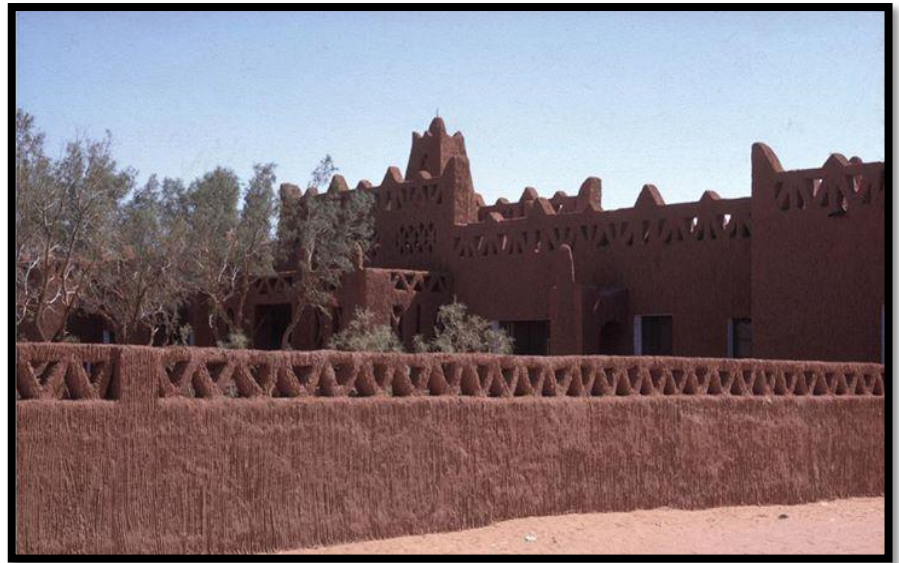
13/أ: خرائب من العمران تبين تفاصيل لعناصر زخرفية معمارية وتقسيمات المسكن التقليدي



13/ب- خرائب من العمران تبين تشكيل المباني من طابقين في المساكن التقليدية
خرائب من عمران المسكن التقليدي



أ/14: نموذج منتز بين الواجهات بعناصر الزخرفة المعمارية (مقر البريد القديم قبل هدمه)
عن موقع google



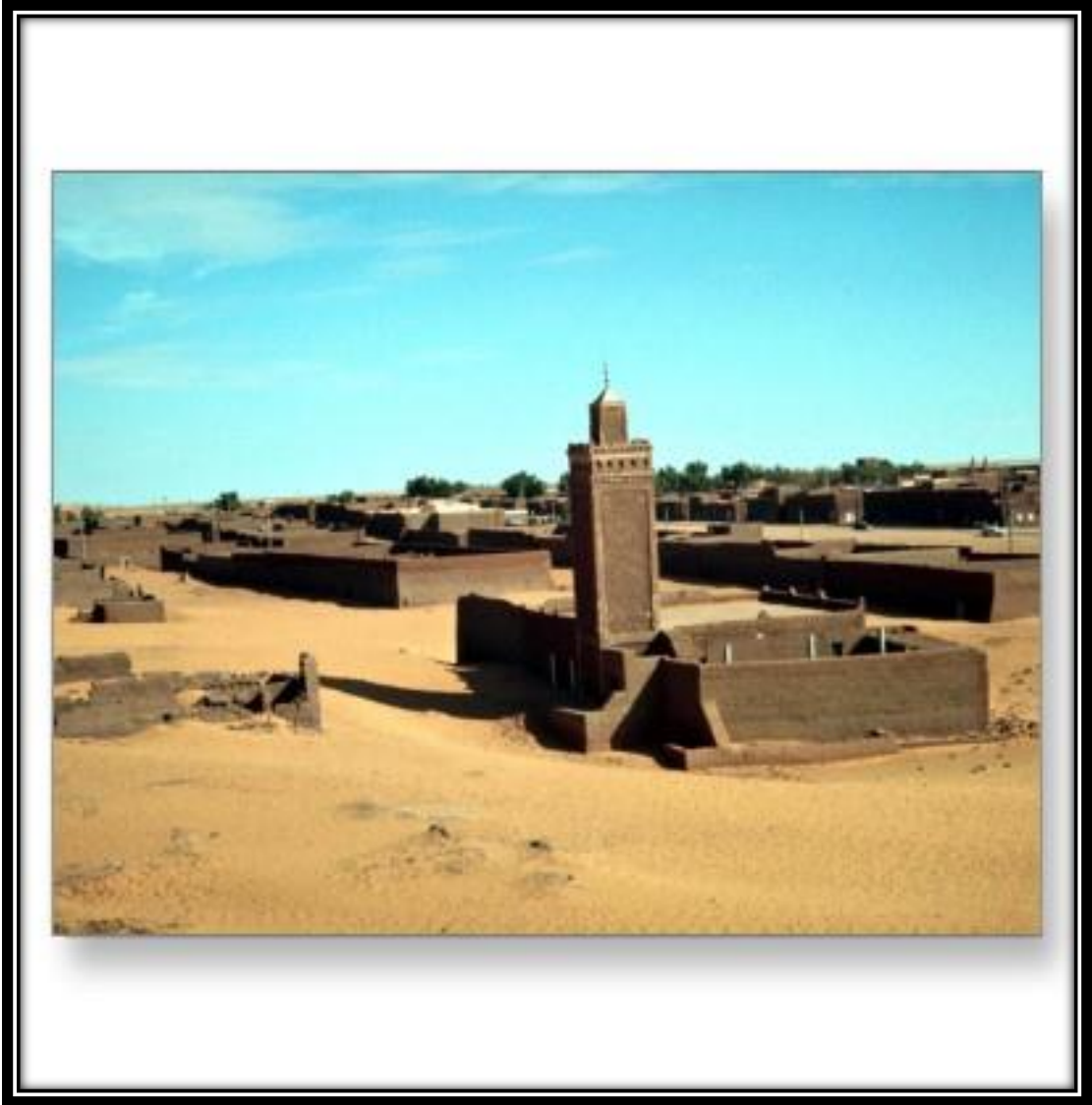
ب/14: نموذج منتز بين الواجهات بعناصر الزخرفة المعمارية (مقر الدائرة القديم قبل تهديمه)
عن موقع google



اللوحة التأسيسية لجامع اسول باقسطن
(نسخة منقولة عن الاصلية بعد ترميم الجامع وتوسعته)..

يعد هذا المسجد أول بيت وضع للناس بدائرة عين صالح مباركا وهدى للزائرين.
 اسسه العالم الطالب اعلي وابنه وجماعة من المسلمين. وقد تم بناءه عام 651 هجرية.
 وقد اقيمت أول صلاة جمعة فيه في شهر رمضان المعظم عام 674 هجرية على ايدي
 14 فقيها

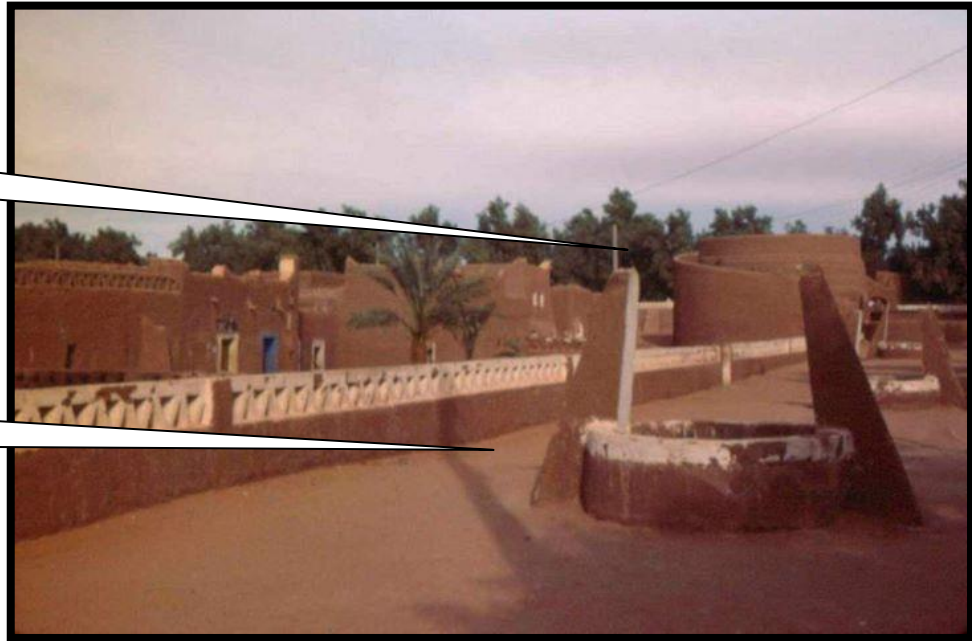
وجدت هذه التواريخ منقوشة على جدار المسجد القديم قبل اجراء عمليات الترميم.
 ملاحظة: وقد قام بتسجيل تلك البيانات المؤرخ المهدي التلمساني رحمه الله أمين



لوحة تبين شكل المآذن وموقعها في عمارة المسجد بالاقليم (جامع الشيخ السنوسي بوسط مدينة عين صالح)
عن ارشيف الحضيرة الثقافية للاهقار



أ. فوهات لأبار الفقارة (باقسطن)



الناعورة
(الخطارة بالاقليم)

نموذج بناء بئر
فقارة

ب. تطور عمارة الفقارة بعين صالح

آثار من عمران الفقارة

ملحق المخطوطات

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 بعد ذلك نسخته بعد نسخة من اطلالها المكونة من اذاعت
 انما اهلها وندانا كما المسار عندها ونصها
 هذا عفره من خمسة التركة الزايفة الحاح اجريه
 الكمال ما يخرج من سيرة محمد الله من الصالحين
 على ابناءه وبناته ارادته كما وجد الله العباد ونبيه
 الكريم للابناء والاشقياء والايدي والايدي والايدي
 المذمومين والبركة فيروا فيه الحاح اجريه الحاح كثره
 الفلاح والحاح انهم يسرعوا والحيث والحيث
 مريم وام الزارويان في اعداء ابيوراعفان اعفا
 بيقوم ما شاء منكم او انتم في جردتهم وليس
 لا والله البنات فيه فنه فاذا ما كانت تلمذت
 الاستقام منه في الاماضا من الصالحين
 في ابيور ومن كان منكم في البلاد ياكل منه من خرج
 فندهم من البلاد او على ان نصيبه فلا يخرجه
 كذا ببعض الخصال في حقه من الصالحين
 في الدارة وقد حيسه وهو على
 حيسه هو يدور في حلاله حيسه وجه الله
 العاشم لا يتغير ولا يبدل حتى ينزل الله الارض
 ويرسلها وها هو خير الموارث من سعة نبيك
 فاذكر او تغيره فانه حيسه وصالحه ووطيس
 الله تضر جنار الجديدة ونهايته انت اعشى فاطورا
 وعاجده سبيل منه جنار من الطابا احمد
 وابر النعم من جهة بلقاء الارض البيضاء
 ومن اعلى الكوفة في كتيب الرطوب من الاسفل
 والشمال في رتبة او ابل رجب الهوي من عام
 سبعة وثم ما بين وما بين والقعيد به اجر
 بن محمد بن محمد بن محمد
 وشرب اشهر به الشاهد على الصالحين

ظهر عليه اسوره مطابقة للاصل
 من صالح 10 DEC 1994
 المكتبة العامة
 جامعة القاهرة

نموذج من عقود حبوس الجنان (البساتين) في سبيل الله

ملحق الجداول

جدول رقم: 01

أسماء المواقع والأماكن القديمة بالإقليم

المعنى	اسم الموقع أو المكان	
وتعني بلغة البربر كف أو راحة اليد، ويقصد بها جميع المناطق الواقعة أسفل هضبة تادميت على السهل الفسيح من حدود اولف غربا الى فقارة الزوى شرقا سميت بذلك نتيجة للشبه القائم بين التكوين الطبيعي للمنطقة وبين كف اليد	تيديكلت TIDIKELT	01
وتعني بلغة البربر حاجب العين وهي ثاني أكبر تجمع عمراني بالإقليم يقع على بعد 75 كلم غرب عين صالح سمي بذلك نتيجة للشبه القائم بين العين وحاجبها وبين التكوين الطبيعي للمنطقة.	انغر IN GAR	02
وتعني بلغة البربر القصبية وهي أولى العمائر التي أقيمت بهذه الديار (بضاحية اقسطن) كما كان لها شرف تأسيس أول مسجد بالمنطقة ومباشرة إقامة صلاة أول جمعة على مستوى ديار إقليم تيديكلت الشرقية	أغرم AGREM	03
نسبة للقبيلة التي عمرتها وسكنتها وتعد ثاني قصر بني بهذه الضواحي وأقيمت به أيضاً ثاني صلاة الجمعة بعد قصر اقسطن	ادغامشة ADGAMCHA	04

المصطلحات المحلية المستعملة في العمران المحلي

جدول رقم: 02

المصطلح	شرحه
01 أفراق Afrag	حزام سد الرياح من أغصان النخيل
02 أنفاد An fad	قناة باطنية تربط بين آبار الفقارة
03 أماجن Amagen	حوض جمع الماء
04 انفيف Anfif	رأس مقدمة قناة توزيع المياه (جزء يستقبل مياه الحوض)
05 ابادو Abadou	قناة رئيسية لتوزيع المياه بين الوحدات المغروسة في الحقل وتصنع من التربة
06 قمون Gamoun	مساحة زرع بمقاس 06 x 02
07 أغيسرو Aghisrou	أول جزء للفقارة على وجه الأرض ويكون مغطاً
08 اسارو Asarou	ممر ضيق بين مساحات الزرع
09 اسريحة Asriha	قطعة أرض مستطيلة الشكل بمقدار 02 x 09 مخصصة لزراعة نوع واحد من المحاصيل المفلحة
10 أزولال Azoulal	مخرج للمياه الزائدة عن الحوض ومكانه أعلى الحاشية. ونعني بها ايضاً الميزاب وهي قنوات لصرف مياه الأمطار من على السطوح إلى الخارج
11 تيميكة Timika	قطعة أرض صغيرة ومربعة الشكل تكون قريبة من مصدر السقي وهي عبارة عن مشتلة لعدة أنواع من المفلحات
12 تانمريت	مصطلح يدل على الشكر
13 أمغار	القرين في السن أو الشبيه في الاسم
14 آغيول (أكركور)	حمال مصنوع من عصي النخيل أو من جلد الجمل ومدعم بعصي النخيل
15 أجزريل	باب تقليدي من العصي وألياف النخيل
16 انفاد	نفق أرضي يصل بين آبار الفقارة
17 المجرى	قناة لنقل المياه تصنع من مادة الطين والحجارة
18 الكراع	آبار إضافية للفقارة بزاوية 30° أو 40° تضاف لزيادة منسوب الماء بالنسبة للآبار الرئيسية

19	الكرناف	مقدمة الغصن الذي يبقى لاصقا بالجذع بعد قطعه تستعمل في التسقيف
20	لفدام	وهو الياف النخيل الذي يلف جذعها ويثبت الأغصان ويستعمل في التسقيف وصنع مستلزمات الحياة العامة
21	الجريد	وهي مراوح النخيل أو أغصانها ويستعمل في التسقيف وصناعة الأثاث والحواجز
22	البغل	حوامل توضع فوق دعامتين جانبيتين من الطين تساعدان على حمل السقف ويزداد بهما عرض الغرفة
23	امنار	ويقصد به العتبة التي تعلو فتحات الأبواب والنوافذ ويصنع من خشب النخلة
24	افكر	قفل يصنع من الخشب
26	تغنجة	المغرف
27	الشيقيم	المغرف الكبير
28	تجلجيمت	الفأس الكبير
29	ازطام	حافظة النقود والاوراق
30	التافسوت	الذرة المحلية
31	تمنضود	المرتکز الذي يدور عليه الباب
32	الغلوس	او الخدوج: اناء لغرف الماء
33	القلوثة	قفة صغيرة من زعف النخيل مخصصة لجلب التربة أثناء حفر البئر
34	اغموس	الغموسة: أنية طبخ مصنعة من الطين
35	أقاصو	آنية من القرع اليابس تصنع لجمع الحليب
36	تغريبيت	اناء اكل مجوف مصنوع من الخشب
37	الدفناسة	غطاء سميك من القماش
38	الواغة	وعاء من الجلد لجمع وحفظ الاواني
39	اشضاض	عود من الحطب يثبت في ثقب على طرف الرحي لتدويرها

الحطب الناجم عن تقطيع وإبداع خشب الخيل	اقشبيط	40
القفة الصغيرة المصنوعة من زعف النخيل	التسقات	41
قطع من القماش توضع بين ظهر الدواب والدبش	آلويش	42
بيت مخصص لحفظ المحصول الزراعي (الغلة)	الميثار	43
اناء للكيل بمقدار ربع صاع	ازقن	44
وعاء مصنوع من صوان وزعف النخيل مخصص لحفظ التمر المدقوق	تدارة	45
آلة من العود مخصصة لضرب الطبل	تقنقانت	46
طبل مصنوع من خشب النخيل وجلد ذكر الماعز	اللدنون	47
طبل مصنوع من طين (الفخار) ومغرف من جلد انثى الماعز	ابقة	48
اسم رقصة فكلورية رجالية	اصارة	49
اسم رقصة فكلورية رجالية تستعمل فيها بنادق البارود	برزانة	50
آلة طبل مصنوع من طين (الفخار) ومغرف من جلد ذكر الماعز	اقلال	51
اسم رقصة فكلورية رجالية	احواش	52
اسم رقصة فكلورية رجالية وتعرف بقرقابو	ديراني	53
اسم رقصة فكلورية رجالية	اجلالة	54

المحطة	العلو فوق سطح البحر	الموقع الجغرافي- شرق	الموقع الجغرافي- غرب
01 رقان	214م	0.10	26.43
02 اولف	290م	1.05	26.58
03 اقبلي	-	1.23	26.43
04 ان غار	-	1.55	27.07
05 عين صالح	294م	2.28	27.12

أ- الموقع الفلكي وارتفاع مناطق إقليم تيديكلت

محطة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوي	الفترة
عين صالح	13.4	16.4	20.5	24.7	29.4	34.6	36.5	36.1	32.9	26.7	20	14.2	25.4	73/26

ب- القيم المتوسطة الشهرية والسنوية لدرجات الحرارة بإقليم تيديكلت

محطة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوي	الفترة
عين صالح	3.3	1.9	1.2	0.1	0.6	0.0	0.1	0.3	1.0	1.7	0.0	2.4	14.6	73 /26

ج- القيم النسبية لتساقط الأمطار الشهرية والسنوية بإقليم تيديكلت

محطة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوي	الفترة
عين صالح	06.00	45.0	39.0	31.7	22.3	20.7	23.6	28.2	33.7	38.2	46.8	51.7	36.6	73 /64
عين صالح	12.00	24.6	21.0	16.9	12.4	11.5	12.4	14.4	17.5	20.3	26.4	28.7	19.9	73 /64
عين صالح بعد الظهر	17.6	28.5	23.9	17.6	15.3	11.6	12.5	14.7	17.5	20.1	28.3	32.3	21.6	73 /64

ث- القيم المتوسطة للرطوبة الشهرية والسنوية بإقليم تيديكلت الشرقية

عن عبد السلام بوشارب ، الهقار امجاد وانجاد، المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الروبية، 1995، ص 48 و 49 و 52 و 54- بتصرف-

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر وا لمراجع باللغة العربية
- قائمة المصادر وا لمراجع باللغة الاجنبية

المصادر والمراجع العربية

• أولا المصادر:

1. القرآن الكريم
2. ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد)، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق، ناجي التكريتي، الطبعة 1، بيروت - باريس 1978.
3. ابن بطوطة (الإمام ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، القاهرة مصر، 1322هـ
4. ابن خلدون (732 - 808 هـ ، 1332 - 1407م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة الطبعة الثانية، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 1967، و الجزء الرابع والسادس والسابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959 و 1967. - والمقدمة، الجزء الثاني،الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
5. ابن الأزرق (ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد الاصبحي الأندلسي ت.896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق د حمد عبد الكريم،الدار العربية للكتاب، ج 2 ، 1977.
6. ابن الرامي(أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم اللخمي)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق، عبد الرحمن بن صالح الأطرم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود، 1406هـ .
7. ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل) ، تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثامنة طبعة جديدة ومنقحة، المجلد الثاني و الرابع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1424هـ/2003م.

8. الادريسي (مولاي احمد الطاهري الحسني)، نسيم النفحات من اخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعبيق مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر 2010
9. البخاري (الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، تحقيق د. محمد محمد تامر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة 2004
10. البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، درة الاقلام في اخبار المغرب بعد الاسلام، مخطوط بخزانة ابناء عبد الكريم، المطارفة ولاية أدرار
11. التميمي (أبو العراب ابن احمد بن تميم) ، كتاب طبقات علماء افريقية، نشره الشيخ حمد ابن شنب بالمدرسة الثعالبية،الجزائر، 1914.
12. الرازي (محمد بن ابي بكر بن عبد القادر)، مختارالصاح ، طبعة مدققة، دائرة المعاجم ، لبنان 1986
13. الزين (سميح عاطف)، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الثانية، لبنان 1404هـ - 1984م.
14. الفاسي (الحسن الوزانين محمد)، المعروف بليون الافريقي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1983م
15. الفرستائي (الشيخ أبي العباس أحمد)، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق وتعليق وتقديم الشيخ باكير ومحمد صالح ناصر، الطبعة 2، نشر جمعية التراث القرارة، 1997.
16. القرطبي (الإمام ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر.ت.671هـ)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء الاول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، ، بيروت لبنان، 1427هـ /2006م.
17. الشوكاني (الإمام محمد بن علي..ت. 1250هـ)، فتح القدير، مراجعة يوسف الغوث، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1428هـ/2007م.

18. المقريري(تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المجلد 02، دار صادر بيروت، طبعة مصورة عن طبعة بولاق لسنة 1270هـ (د.ت).

19. السعدي (الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر المعروف بالسعدي) ، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية والشرقية، باريس 1981

20. العياشي (أبو سالم)، الرحلة العياشية المعروفة بماء الموائد، الجزء الأول . تحقيق محمد حاجي ، ط 2 ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر ، المغرب 1397هـ/1977م

21. الطبراني (الإمام ابي جعفر محمد بن جرير)، مختصر تفسير الطبراني، المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا، المجلد 02، مكتبة رحاب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1991م.

• ثانيا- المراجع والرسائل الجامعية:

22. إسماعيل (علام نعمت) ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1977.

23. أكبر (عبد القادر) ،عمارة الأرض في الإسلام، دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة، مؤسسة علوم القرآن،بيروت،1992م.

24. ابو صالح الألفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1975 .

25. التومي (سعيدان)، سكان تديكلت القدماء والاتكال على النفس ، دار هومة الجزائر، 2005

26. بن يوسف (إبراهيم)، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، ابوداود، الحراش، 1992
27. بوشارب (عبد السلام)، الهقار امجاد وانجاد، المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار الروبية، 1995
28. حماد محمد، الطرز المعمارية والفنيول، القاهرة، 1973.
29. ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، الطبعة 01، الإسكندرية، 1995م.
30. ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963م
31. الخولي (بدر الدين)، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، الجامعة العربية، بيروت 1975.
32. الدراجي (بوزيان)، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2003،
33. السرطاوي فؤاد عبد اللطيف، البيئة والبعد الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان (الأردن)، 1420هـ/1999م
34. الريحاوي (عبد القادر)، العمارة العربية السورية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979.
35. القرضاوي (يوسف)، رعاية البيئة في الإسلام، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة 1421هـ / 2001
36. العربي (إسماعيل)، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.
37. الفقي (محمد عبد القادر)، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث (سلسلة مكتبة الأسرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999.

38. الولي (طه): المسجد في الاسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، بيروت لبنان،
1409هـ/1988م
39. العوامر (إبراهيم محمد الساسي) ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ثالة
للنشر، الجزائر 2007.
40. راتب سلامة السعود الإنسان والبيئة الكارثة والأمل د. ، مكتبة مؤتة، عمان الاردن
2000 ،
41. بلعالم(محمد باي)- الرحلة العلية إلى منطقة توات, ج 1 دار هومة الجزائر
2005م.
42. بن بكير (يوسف الحاج سعيد)، تاريخ بني مزاب، الطبعة الثانية، المطبعة العربية،
الجزائر 1427هـ- 2006م.
43. بيج(بيرتون)، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة عبد الحميد يونس
وإبراهيم خورشيد وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981.
44. حملوي(علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة
الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
45. حسن فتحي، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، ترجمة المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت 1988
46. حمودة الفت يحيى، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، الدار المصرية
اللبنانية، القاهرة 1987
47. خزام(عهد عفيف): تاريخ العمارة الطينية في سوريا، منطقة القلمون نموذجا،
المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، الرباط، جامعة محمد الخامس،كلية
الآداب والعلوم الإنسانية
48. زيايدية(عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، الجزائر 1971.

49. سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الاهرام التجارية، مصر 1976.
50. سالم (السيد عبد العزيز) ، بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة الإسلامية، القسم 02، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1992
51. السيد عبد العزيز سالم: بعض المصطلحات للعمارة الاندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد الخامس، عدد 1-2 ، اسبانيا 1377هـ/1957م
52. سعد (عبد الكريم شهاب)، بلدة القصر وآثارها الإسلامية، دار الآفاق العربية، الطبعة الاولى، القاهرة 1421هـ/ 2001م
53. سويدي (محمد)، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
54. شفيق العوضي الوكيل، ومحمد عبد الله سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، القاهرة(1985)
55. بن قرية (صالح)، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م
56. صفر(احمد)، مدينة المغرب العربي في التاريخ ،دار النشر بوسلامة تونس(ب.ت).
57. علام نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في الصور الإسلامية ، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1977،
58. عبد الله (احمد محمد) ، المناخ والعمارة، دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية.

59. عثمان (محمد عبد الستار)، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط 1980م.
60. ----- المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة 01، 1419هـ / 1999م.
61. عزوق (عبد الكريم) القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1996،
62. عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصور القنادسة الأثرية دراسة معمارية، الجزائر، 2007
63. عكاشة (ثروت) القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق ، القاهرة ، 1414هـ / 1994م
64. علي (لبيب محمد)، تأصيل القيم المعمارية الإسلامية في عمارة الصحراء بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة 1987.
65. فرج (محمود فرج)، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
66. ك (إبراهيم)، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير سنيتي و رشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، لجزائر 1982م.
- قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة اولف العريقة، دراسة تاريخية ثقافية واجتماعية، بدون تاريخ
67. كمال (الدين سامح)، العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1982.
68. لويس (مفورد)، المدينة على مرّ العصور - أصلها وتطورها ومستقبلها، الجزء الأول، ترجمة إبراهيم نصحي، انجلو المصرية، القاهرة 1964م.

69. محمد (بن عبد الله بن صالح)، الطين كمادة منظمة لانتقال الحرارة، بحث مقدم لكلية العمارة والتخطيط، قسم العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، شعبان 1408هـ.

70. محمد رفعت رمضان، أصول التربية وعلم النفس دار الفكر العربي، الطبعة 05، 1964م

71. محمد صابر سليم وآخرون، علوم البيئة، الجزء الأول، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع كلية التربية بجامعة عين شمس، القاهرة، 1983-1984

72. محمود (حسين احمد)، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م.

73. محمود (وصفي محمد): دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية القاهرة، دار الثقافة، 1400هـ/1980م

74. نسيب (محمد) - زوايا العلم والقرآن بالجزائر - دار الفكر الجزائر (د.ت).

75. لحسن تاوشيخت: عمران سجلماسة، مطبعة النجاح، الجزء الأول، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2008

• ثالثاً - الموسوعات والمناجد والقواميس ودوائر المعارف:

76. ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، 1431هـ/2010م

77. ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد)، لسان العرب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1388هـ/1968م

78. المنجد في الإعلام، دار المشرق بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، لبنان 1984، ص 52.
79. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس، دار الفكر، بيروت (ب ت)
80. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة 1425هـ/2004م،
81. سهيل إدريس، المنهل قاموس فرنسي عربي، الطبعة السادسة عشرة، دار الآداب بيروت، لبنان 1995
82. الزركلي (خير الدين)، الإعلام، قاموس تراجم، الجزء الثالث والرابع، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان / ايار / مايو 2002.
83. المنجد في الإعلام، دار المشرق بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، لبنان 1984.
84. الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1397هـ/1977م.
85. رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2000.
86. معلمة المغرب (قاموس)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط 1410هـ/1989م،

• رابعاً - الجرائد والمجلات والملتقيات والتقارير والدراسات التقنية:

87. الأمانة العامة للحكومة، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية (المرسوم رقم: 231.87) المؤرخ في 03-11-1987م.
88. المركز الثقافي الإسلامي فرع عين صالح، مجلة ملتقى أعلام منطقة عين صالح- تنظيم المجلس العلمي الولائي - في 20 و21 ربيع الأول 1417هـ الموافق لـ 6 و5 أغسطس 1996م، أرشيف معتمدية الشؤون الدينية والأوقاف بعين صالح.

89. الاشعب (خالد حسني) ، والطائي (اياد عاشور) ، (تخطيط المدن في المغرب العربي)- دراسة في الأصالة والتأصيل- مجلة المورد، العدد الثالث، 1998.
90. الخلادي (عبد القادر)،(لمحة تاريخية وادبية عن الحمامات في المجتمع الاسلامي)، مجلة دعوة الحق، السنة الثامنة العدد 09 و10، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب الرباط ربيع الاول والثاني 1385هـ/ يوليو وغشت 1965م .
91. بلدية عين صالح، مخطط لتهيئة العمرانية لدائرة عين صالح -أرشيف بلدية عين صالح.
92. مديرية الإحصاء لولاية تمنراست، ملخص إحصائيات ولاية تمنراست لسنة 1996 أرشيف مديرية الإحصاء.
- يشار قويدر، (القوافل التجارية المغاربية، طبيعة التجارة وأثارها)، طريق القوافل- مجلة يصدرها المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ- م.و.ب.م.إ.ت.، مطابع قرفي، باتنة، الجزائر 2001
93. بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1980.
94. بنعبد الله (عبد العزيز) ،(تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث)، اللسان العربي- مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية- المجلد 07، الجزء 01، يناير 1970م/ دو القعدة 1389هـ ، الرباط- المغرب.
95. بنعبد الله (عبد العزيز) ، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية.
96. حسن فتحي، العمارة والبيئة، سلسلة كتابك عدد 97، دارالمعارف، القاهرة (د- ت)
97. رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، عدد 22، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، اكتوبر 1979،
98. عثمان(محمد عبد الستار): المدينة الاسلامية، سلسلة عالم المعرفة، دراسة رقم 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1985

99. المومني،(طلال محمد)، حماية البيئة من منظور إسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، 1427هـ/ 2006م،
100. صفر محمود عزو، البيئة المناخية، (سلسلة قضايا بيئية)، جمعية حماية البيئة الكويتية، الكويت 1980.
- طلال محمد المومني، حماية البيئة من منظور إسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، 1427هـ/ 2006م،
101. وزير (يحيى)، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2004.
102. يحي وزير، (توافق العمران مع الظروف البيئية)، مجلة حراء ، العدد 24، تركيا، 2011
103. حملاوي(علي)، (البيئة الصحراوية وأثرها على العمارة والعمران)، مجلة آثار، العدد 07 عدد خاص بالملتقى الأول للآثار والبيئة)، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2008.
104. حملاوي(علي)،«القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته»، حوليات المتحف الوطني للآثار، الجزائر، العدد، 2001
105. حسن رامو، المصطلحات الجغرافية الامازيغية، الجزء الثالث، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 27، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2011.
106. ولد السعيد (محمد المختار)،(مسالك القوافل ودورها في التواصل الثقافي بين طرفي الصحراء خلال القرن 19)، طريق القوافل - مجلة يصدرها المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ - م.و.ب.م.إ.ت.، مطابع قرفي، باتنة، الجزائر 2001.

107. عقاب(محمد الطيب)، المسكن في القبائل الصغرى، حوليات المتحف الوطني
للآثار، العدد 12، الجزائر، 2002

108. يمينة (بن اصغير حاضري)، (القصور الحراوية بالجزائر صورة للابداع
الهندسي)،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 15، المركز الجامعي غرداية،
الجزائر، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م

109. تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى ،
كناش ملكي، المطبعة الملكية الرباط، 1381 هـ ، 1962م،

110. محاضرة الشيخ باي بلعالم ، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار
(د،ت).

111. محاضرة للأستاذ مبروك مقدم. جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار أدرار،
الجزائر 1987م.

• خامسا- المقابلات والاستجابات:

112. مقابلات مباشرة مع بعض شيوخ الزوايا وأعيان المنطقة سنة 1995م

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1. ANDRE(C), *Reconnaissance géologique dans l'Erg d'Oubari*
etla Hamada Zeher (Fezzan), Travaux., T. I. R. S, tom 6,
1950

2. - Bazzana(André) : L'architecture de terre au moyen-âge,
considérations générales et exemples andalous,
Colloque International sur Architectures de terre en
Méditerranée, Histoire et perspectives 1996

3. Capitaine LO, Les foggaras des Tidikelt, Travaux de L I.R.S,
année 1953, TOME 10

- CARATINIR.R ,(construction et industrie du bâtiment) , .4
Inbordas ecylopedie, n° 63 /69,technique et métiers,
bordas,Paris, 1975
- CONRAD (L),L évolution continentale post hercynienne du .5
Sahara algérien(Saoura, erg chech ,tanzroufet, ahnet,
mouidir)Edition de centre national de la recherche
scientifique, Paris 1862
- DESPOIS. (J), le djebel amour, Presses universitaires de la .6
France, Paris, 1957
- Déporter, la question du Touate Sahara Algérien ,Alger- 1891 .7
- Fathi(Hassan) : Construire avec le Peuple,Paris, .8
Sindibad,collection Hommes et Societés, édition 2éme
,tranduit de l anglais par Yana Kormel 1970
- VOINOT Louis, le Tidikelt : étude sur la géographie, l’histoire et .9
Les mœurs du pays, bulletin de la société de géographie et
d’archéologie de la province d’Oran,T 29
- Malte brum, Résumé historique et géographique de L .10
exploration de Gerhard Rolfs à Touat et Ain Salah, Paris, 1966
- Rebert ;Montagne « les Berbères et le Makhzen dans le sud – .11
Marocain Paris», 1930
- MALTHE V.A BRUM, le commerce et L Agriculture au touat, .12
.Oran 1905
- Pons, l’habitat de Figuig revue marocaine, 1931 .13
- Lacaze(Jenan-Paul) :la ville et l urbanisme ,Parise ,Dominos .14
/Flammarion ,1995
- MARCAIS (G), Dar, In Encyclopédie de l islam, Paris, 1977 .15
- Montagne (R),Villages et Kasbas berbères, Paris 1930 .16
- GALLOTTI.(J) , le jardin et la maison arabe au Maroc, Tom 01, .17
édition. ALBERT LEVY, Paris, 1926

- MEUNIER. A, Technologie professionnelle de construction, Les matériaux de construction, édition foucher, Paris, 1970 .18
- Hakim B .Selim, Arab Islamic cities, Building and planning Principles, KPllimited ; London, England, 1986 .19
- ROBERT. (C R), L'Afrique blanche française, le Sahara française, T 02, Presses universitaires de la France, Paris, 1959 .20
- ROBERT. (C R), Greniers domestiques et Grenier fortinner fortifies au Sahara, le cas du Gourara, t /i .r .s. t . T x i v ,1956 .21
- ODAR(c), L Oasis Moderne, Essais Urbanismes Saharien maison de livre, Alger, 1954 .22
- SUTER(K) , Etude sur la population et L habitat d une région du Sahara ; le touât, Revue geog alpinegrenoble, T.XII,1953 .23
- LEZINE. A, Notes sur la consolidation des monuments historiques de Tunisie, Imprimerie officielle de la Tunisie, Tunis, 1953 .24

الفهارس

- فهرس الخرائط والاشكال واللوحات والخرائط
والمخطوطات والجداول
- فهرس الموضوعات

فهرس الخرائط والمحططات والأشكال واللوحات والمخطوطات والجداول

01- الخرائط:

- خريطة رقم(01): تحديد منطقة تيديكلت الشرقية في الخريطة الإقليمية لحظيرة الأهقار الوطنية.
- خريطة رقم(02): تحديد منطقة تيديكلت الشرقية الشرقية.
- خريطة(03): تحديد قسيمي إقليم تيديكلت.
- خريطة رقم(04): مناطق التجمعات السكنية بإقليم تيديكلت الشرقية من القمر الصناعي.

02- الأشكال والمخططات :

- المخطط رقم(01):مخطط للقصبه المحصنة.
- المخطط رقم(02): مخطط للبيت التقليدي بتيديكلت الشرقية .
- المخطط رقم(03): طريقة التسقيف التقليدية (مقطع شاقولي) بتيديكلت الشرقية.
- المخطط رقم(04): نموذج توضيحي لسقيفة مرفوعة بالأقواس بتيديكلت الشرقية (السواري).
- الشكل رقم(05): نموذج من واجهات المباني المتوجة بأشكال هندسية مكررة.
- المخطط رقم(06): مخطط عمارة المسجد القديم بتيديكلت الشرقية.
- الشكل رقم(07): نماذج من تتويج المباني المعمارية بالقباب بتيديكلت الشرقية.
- الشكل رقم(08): نموذج لطريقة بناء العقود (الأقواس) بالإقليم
- الشكل رقم(09): نموذجنا لمدخل الرئيسية بالإقليم
- الشكل رقم(10): نماذج من المداخل الرئيسية للمباني المحصنة بالإقليم.
- المخطط رقم(11): مخطط لزاوية سيدي الحاج بالقاسم بعين صالح.
- المخطط رقم(12): مخطط يحدد القصبه العتيقة بالقصر الكبير بعين صالح.
- المخطط رقم(13): مخطط يبين موقع المرافق المركزية بوسط مدينة بعين صالح.

03- اللوحات:

- اللوحة رقم (01): صور تحدد الطرق التي تتصل بالجمعيات السكنية بالوحدات (قصور عين صالح)
- اللوحة رقم (02/أ): منظر عام لقصبة باجودة وسط المدينة.
- اللوحة رقم (02/ب): منظر عام لقصبة اولاد الحاج قصر المرابطين
- اللوحة رقم (03/أ): صورة جوية تبرز تخطيط العمارة الدفاعية (قصبة باجودة).
- اللوحة رقم (03/ب): صورة تبرز مخطط البيت القديم (اقسطن).
- اللوحة رقم (04): لوحة توضح عملية تحضير الطوب المجفف واستعماله في البناء المحلي.
- اللوحة رقم (05): تضييق وتسقيف وتظليل المباني بتديكالت الشرقية.
- اللوحة رقم (06): نماذج من استعمال الدعامات الطينية بتديكالت الشرقية.
- اللوحة رقم (07): نماذج من العمائر الطينية (عمارة المزارات الدينية بتديكالت الشرقية).
- اللوحة رقم (08): نماذج من نتويج العمارة الطينية بتديكالت الشرقية.
- اللوحة رقم (09): نماذج من تفريغ كتل المباني المحلية.
- اللوحة رقم (10): شبكات توصيل المياه إلى التكوينات المعمارية المختلفة بالإقليم.
- اللوحة رقم (11) نماذج من فتحات التهوية والإضاءة في العمارة المحلية
- اللوحة رقم (012/أ): بقايا من العمران تبين فناء مسكن قديم والسقائف المحيطة به (بالساهلة الغربية)
- اللوحة رقم (012/ب): بقايا من العمران تبين تفاصيل لعناصر معمارية لمسكن تقليدي (بالبركة)
- اللوحة رقم (13) خرائب من عمران المسكن التقليدي.
- اللوحة رقم (014/أ): نموذج من تزيين الواجهات بعناصر الزخرفة المعمارية (مقر البريد القديم قبل هدمه)
- اللوحة رقم (014/ب): نموذج من تزيين الواجهات بعناصر الزخرفة المعمارية (مقر الدائرة القديم قبل تهديمه)

- اللوحة رقم (15) اللوحة التأسيسية لجامع اسول باقسطن
- اللوحة رقم (16) لوحة تبين شكل المآذن وموقعها في عمارة المسجد بالاقليم
(جامع الشيخ السنوسي بوسط مدينة عين صالح)
- اللوحة رقم (17) اثار من عمران الفقارة
- 04- المخطوطات: :
- نموذج من عقود حبوس الجنان (البساتين) في سبيل الله
- نموذج من عقود حبوس الجنان على الاشخاص
- نموذج من عقود الوقف وقسمة المياه
- 04- الجداول:
- جدول رقم (01): أسماء المواقع والأماكن القديمة بالإقليم
- جدول رقم (02): المصطلحات المحلية المستعملة في العمارة المحلي
- جدول رقم: (03): جداول استدلالية لموقع الاقليم والطقس

فهرس المحتويات

اهداء كلمة شكر وتقدير

مقدمة:	أ،ب،ج،د،هـ،و،ز،ح،ط
الفصل الاول: التعريف بالبيئة واقسامها واثرها على العمارة والعمران البشري.....	
01-التعريف بالبيئة.....	02
01-1-تعريف البيئة في اللغة.....	02
01-2-مفاهيم البيئة من خلال مصادر التشريع.....	05
01-3-تعريف البيئة الاصطلاحي	
02- اقسام البيئة.....	13
02-1-البيئة الطبيعية.....	13
02-2-البيئة الحضارية.....	15
02-3-البيئة غير الحضارية.....	22
03-اثر البيئة على العمارة والعمران البشري.....	23
الفصل الثاني: الاطار الجغرافي والتاريخي لاقليم تيديكت الشرقية.....	
01-الاطار الجغرافي.....	37
01-1- التعريف بالاقليم.....	37
01-2-تحديد اقليم تيديكت الشرقية.....	46
01-3-موقع تيديكت الشرقية.....	47
01-4- التكوين الجيولوجي والمورفولوجي للإقليم.....	47
01-5-تضاريس الاقليم.....	50

52.....	02-الإطار التاريخي.....
52.....	02-1-مرحلة ما قبل التاريخ.....
55.....	02-2-الفترة الاسلامية.....
63.....	02-3-معالم الحركة التجارية.....
64.....	02-4-مآثر العمران بالاقليم.....
69.....	02-5-قصور ووحدات تيديكلت الشرقية.....
73.....	03-اصل كلمة تيديكلت ومعناها.....
75.....	04-ظروف وعوامل الاستقرار.....
75.....	04-1-الظروف المساعدة على الاستقرار.....
76.....	04-2-العوامل البيئية المساعدة على الاستقرار في الاقليم.....
83.....	04-3-السوق.....
84.....	04-4-البعد عن مواطن الصراع والنزاع السياسي.....
	الفصل الثالث: الدراسة الوصفية لنماذج من المنشآت المعمارية بالاقليم.....
87.....	01-الوصف العام للمنشآت والعناصر المعمارية.....
93.....	01-1-المنشآت المعمارية المدنية.....
93.....	01-1-1-المسكن.....
99.....	01-1-2-القصر والكتلة المعمارية.....
109.....	01-1-3-لشوارع والازقة.....
113.....	01-1-4-الساحات.....
113.....	01-1-4-وصف تخطيط العمائر المدنية.....
115.....	01-2-المنشآت المعمارية الدفاعية.....
115.....	01-2-1.....
118.....	01-3-المنشآت المعمارية الاقتصادية.....
118.....	01-3-1-الوحدات ومصادر المياه.....

124.....	01-3-2-السوق
128.....	01-4-المنشآت المعمارية الدينية
128.....	01-4-1-المسجد
131.....	01-4-2-المصلى
135.....	01-4-3-المدرسة القرآنية
135.....	01-4-4-الاضرحة والمقابر
139.....	01-5-وصف العناصر المعمارية
139.....	01-5-1-المداخل والابواب
140.....	01-5-2-المزراب
140.....	01-5-3-الجدار الحائل
143.....	01-5-4-العتبة
143.....	01-5-5-السقف
145.....	01-5-6-التحصين
148.....	01-5-7-وسائل الدعم

الفصل الرابع: الدراسة التحليلية للعناصر والعوامل المؤثرة على العمارة والعمران المحلي.

151.....	01-العوامل البيئية المؤثرة على العمارة والعمران المحلي
151.....	01-1-العامل الطبوغرافي (طبيعة الارض)
153.....	01-2-العامل الجيولوجي (مواد البناء)
154.....	01-3-العامل المناخي (الحرارة)
157.....	01-4-العامل الزراعي
159.....	01-5-العامل البشري (الانسان)

- 02-تأثيرات العوامل البيئية على العمارة والعمران المحلي.....164
- 02-1-1-02-اثر العوامل البيئية وضوابطها في العمران الاسلامي.....164
- 02-1-1-02-مراعاة اختيار مواقع التجمعات العمرانية.....166
- 02-1-2-02-أهمية الظلال كأحد وسائل تحقيق الراحة الحرارية.....167
- 02-1-3-02- فكرة التصميم البيئي في القرآن.....171
- 02-2-02-اثر العوامل البيئية في اختيار العناصر والمعالجات التصميمية.....174
- 02-2-02-1-عناصر البناء المتاحة.....175
- 02-2-02-1-1-الطين.....177
- 02-2-02-1-2-الطوب.....180
- 02-2-02-1-3-الخشب.....182
- 02-2-02-1-4-الحجارة.....186
- 02-2-02-1-5-الجير.....167
- 02-2-02-2-الفناء الداخلي.....189
- 02-2-02-3-السطح.....191
- 02-3-02-اثر العوامل البيئية في التجانس المعماري.....193
- 02-3-02-1-التجانس بين عناصر البيوت التقليدية.....193
- 02-3-02-2-التجانس العام بين واجهات المباني بعناصرها الجمالية.....194
- 02-3-02-1-2-المداخل البارزة.....195
- 02-3-02-2-2-تتويج المباني.....195
- 02-3-02-3-2-تبليط المباني.....196
- 02-4-02-اثرالعوامل البيئية في تصميم وتنفيذ مخططات العمارة والعمران المحلي....
- 02-4-02-1-توفير الماء الشروب.....197
- 02-4-02-2-اتباع الحل المتضام للمباني.....199

200.....	3-4-02-تضييق الشوارع وتعرجها.....
201.....	4-4-02-تغطية الشوارع.....
204.....	الخاتمة.....
209.....	الملاحق.....
254.....	قائمة المصادر والمراجع.....
.....	الفهارس.....
270.....	فهرس الخرائط والمخططات والاشكال واللوحات والمخطوطات والجداول.....
273.....	فهرس المحتويات.....